

حَوْلَ الْكَرْسِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ إِلَيْهِمْ أُولُو

د. مُحَسِّنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الاستاذ المساعد بجامعة قطر
قسم التفسير والحديث

حقوق الطبع محفوظة للناسخ
الطبعة الاولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م



دار الدعوة للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦٦٥٢٠ بيان

ت : ٢٦١٥٠٤٥

الرمز البريدي 43756

الكويت

حَوْلَهُ الْمَرْكُوزُ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْيَوْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

في أحاديث الرسول ﷺ ينابيع تغذي الفكر وتقوم السلوك وتكسب الفرد قوة ومناعة وقدرات ذهنية تيسر له اقناع غيره وتبليغه ما توصل إليه من علم أو عمل.

وكثيرا ما تبين هذه الينابيع المنهج التربوي والطرق الدقيقة التي اتبعها عليه الصلاة والسلام وهو يتعامل مع الأحداث التي تجدد في المجتمع والدوافع التي تحرك الاتباع والخصوم.

ومن هذه الينابيع الفياضة الحوار الذي كان عليه الصلاة والسلام يمارسه مع هذا أو ذاك وفي هذه المناسبة أو تلك.

ففضل الحوار كان رسول الرحمة ﷺ يوقظ النفوس اللوامة ويكسب أصحابها شحنات من الايمان والعزم والتصميم يستطيعون بفضلها مقاومة القوى الشيطانية وتهذيب الشهوات البشرية وبسط سلطان العقل والايمان على أقوال المؤمنين وأعمالهم.

وبفضله كان يقيم الحجة والبرهان على المشركين وأهل الكتاب وغيرهم من الذين يدعوهم إلى الايمان بالله تعالى واتباع رسله وتطبيق الشريعة المنزلة. حاور عليه الصلاة والسلام المخالفين وسلك معهم المنهج الالهي الذي جاء في قوله تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّدْ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

واتبع عليه الصلاة والسلام طريقة الحوار وهو يرد كيد الكائدين ويكشف

أخطاءهم ويجلي ما بأنفسهم من مركبات ما أنزل الله بها من سلطان وعقد لم تزدها الايام إلا تعقيدا وتطاولا على الحق.

وبحواره رسم عليه الصلاة والسلام للمسلمين السياسة التي يستطيعون بفضلها الدفاع عن الحق وإحراز النصر وإقحام المكابرين والمتسلطين من الخصوم والأعداء الذين يتربصون بهم الشر.

والمتتبع لما جاء في القرآن الكريم ولما ورد بالسنة النبوية يقف على أنواع الحوار التي مارسها عليه الصلاة والسلام وحقق بها النصر تلو النصر. وتوصل بفضلها إلى أداء الأمانة وتبليغ الرسالة ونشر الاسلام في الجزيرة العربية وتهيئة الظروف التي أوصلته إلى مشارق الأرض ومغاربها.

إن الوقوف عند نوع واحد من أنواع الحوار التي مارسها الرسول ﷺ يظهر جوانب العظمة في طرق تعامل الرسول ﷺ مع الخصوم والأحداث المهمة كما يظهر طريقة أولئك الذين كانوا وسوف يبقون ألد خصوم المسلمين وأشر أعداء الأنبياء والمرسلين، وأجراً خلق الله على الله، وأكثرهم رياء ونفاقاً وتحريفاً للحقائق وانتهاكاً للحرمان وفساداً في الأرض.

إن جوانب هذا النوع من الحوار كثيرة ومتنوعة. وتسعى هذه الدراسة بعون من الله إلى تجليتها وبيانها وتزودهم بوسائل يستخدمونها عند الحاجة متأسين في ذلك برسول الله ﷺ.

والله أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علماً ويجعله خالصاً لوجهه والحمد لله رب العالمين.

محسن محمد عبدالناظر

كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

جامعة قطر

٢٠ شعبان ١٤٠٩

المدخل —

نزل الدين الاسلامي على رسول الله ﷺ في بيئة غلب عليها الشرك . فجّل أفرادها قد جعلوا لله شركاء في خلق الكائنات وتصريف الأمور . فكان من الطبيعي أن يبدأ بين الرسول ﷺ وبين هؤلاء حوار وجدل نزل الوحي المتلو ببعضهما وصدر البعض الآخر عن صاحب الرسالة وحيا مرويا .

وفي أول البعثة لم يشارك أهل الكتاب من يهود ونصارى في هذا الجدل لأسباب موضوعية : من أهمها خلو المجتمع المكي من أصحاب الديانتين عموما ، والتشابه الموجود بين الدعوة الإسلامية وما كان عليه اليهود والنصارى من توحيد الربوبية .

ومع انتشار الاسلام ، وخاصة عند انتقاله الى المدينة ، نشأت ظروف الحوار بين الديانات الثلاث ، وخاصة بين المسلمين واليهود . وجاء في آيات كثيرة من القرآن الكريم حوار مع اليهود . اهتم بالجانب العقدي والتشريعي والأخلاقي وغيرها من الموضوعات . كما أوردت الأحاديث النبوية جانبا مهما من هذا الحوار يمكن للبحث العلمي أن يستقرئه للوقوف على نشأته وأسبابها ، وموضوعاته وأبعادها ، ودوافعه وأهدافها ، وطرقه ومصادرها .

نشأة الحوار مع اليهود وأسبابها

أدرك مشركو مكة وجود بعض الشبه بين دين اليهود وما يدعو اليه محمد ﷺ من ترك عبادة الأوثان وما يقوله من أن الوحي يأتيه من السماء . فأرسلوا إلى أحبار المدينة يسألونهم علّهم يجدون عندهم ما يتغلبون به على هذه الدعوة الجديدة .

أخرج الترمذي^(١) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل: فقالوا سلوه عن الروح. قال فسألوه عن الروح فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥) ﴿٢﴾. فالمشركون وقد كانت لهم صلات بيهود المدينة الذين لم يدعوهم الى ترك الشرك وعبادة الله الواحد الأحد، ولم يحذروهم مما هم عليه من وثنية، إستنجدوا باليهود، وبذلك كان الحوار الأول بين الرسول ﷺ واليهود، وهو حوار غير مباشر، ذلك أن اليهود لم يلتقوا بمحمد ﷺ، ولم يلتقوا منه جوابا عن أسئلتهم بل تركوا ذلك للمشركين.

وبعد الهجرة النبوية أصبحت المدينة المنورة تضم مجموعتين عقديتين: المسلمين واليهود الى جانب بعض المشركين.

أراد الرسول ﷺ أن ينظم الحياة داخل المدينة المنورة تنظيما يأخذ بعين الاعتبار كثيرا من المعطيات. ولم يخف عليه ﷺ أن مشاكل متعددة قد تنشأ بين سكان المدينة وقد تسبب في توترات كما لم يخف عليه أن صراعا عقديا وجدليا موضوعية ودوافع بشرية ستحدث بين المجموعات المختلفة التي أصبحت تعيش في وسط جغرافي واحد، وتتجاذبها دوافع فيها تجانس تارة وتنافر أخرى، وحتى لا يتولد عن ذلك صراع فكري يثير الحقد فلا بد من توجيهات واضحة وقوانين محددة تمكن الأفراد والجماعات من معرفة حقوقهم وواجباتهم. ولذلك وضع الرسول ﷺ معاهدة تنظيمية يمكن القول بأنها عقد سياسي واجتماعي تنظيمي.

لقد كثر الجدل حول صحة هذه المعاهدة. وما يلاحظ أن أغلب الذين رفضوها انطلقوا من أدلة شكلية كعدم ورودها في كتب الفقه والحديث الصحيح، وكروايتها بدون اسناد من طرف ابن اسحاق وابن سيد الناس^(٣).

ولا يسمح المقام بإيراد أدلة الرافضين لهذه الوثيقة للرد عليها والتنبيه على

(١) ت: ٤٨ تفسير القرآن ب ١٨ - انظر ايضا التحرير والتنوير ١٥/١٩٤.

(٢) ١٧ الاسراء: ٨٥.

(٣) فان فلوتن: الدولة العربية وسقوطها. ترجمة يوسف العش. انظر الحاشية ٩ ص ٢٠.

تهافتها. فليس ذلك موضوع هذا البحث وقد تكفل بذلك العمل بعض الباحثين^(١) ويكفي هنا أن نشير الى أن هذه المعاهدة تستجيب لظروف عقدية واجتماعية وسياسية واقتصادية كانت عليها المدينة المنورة لما هاجر اليها الرسول ﷺ. وقد وجدت هذه الظروف رسولا كريما لا ينطق عن هوى ولا يريد للانسانية إلا الخير والطمأنينة والعدل والحياة المنظمة ولذلك دخل في حوار مع المجموعات التي يتكون منها المجتمع المدني، توج بعقد معاهدة صداقة تفسح المجال للتعايش السلمي بين الديانتين «وتطبع الواقع الجديد بطابعها المتسامح المبني على قاعدة متينة من مواطن اللقاء الكثيرة المشتركة»^(٢).

وتتبع ما ورد في هذه الوثيقة يبين أنها ليست عملا فرديا ولا أوامر تسلطية. فجانبا التشاور والتحاور بارز في شكلها ومضمونها. فهي تهتم بالمهاجرين من قريش ومن اتصل بهم من العرب وغيرهم. . وهي تصنف الأنصار وتميز بين بطونهم وأفخاذهم، وكذلك تفعل بالنسبة لليهود، ولا يتوقف أمر المعاهدة على حقوق وواجبات المجموعات والأفراد الذين يقيمون في المدينة بل يتجاوزه ليبين حرمة المكان الذي تقيم فيه هذه المجموعات والعلاقات الخارجية التي يتقيد بها سكان المدينة عند تعاملهم مع الأجانب عنها وخاصة قريش.

وعلى كل فالذي يستنتج من هذه المعاهدة أنها عقدت بعد حوار وتشاور قادة الرسول ﷺ وشاركت فيه الأطراف التي ذكرت فيها.

لقد طبقت البنود الخاصة بالمهاجرين والأنصار تطبيقا سليما لم يزد المجموعتين إلا ايمانا ووحدرة وقوة. أما التي تعود الى اليهود فلم يكن لها أن تؤتي أكلها ذلك أن اليهود وأخبارهم ناصبوا الرسول ﷺ والمسلمين العداوة وأدركوا الخطأ الذي وقعوا فيه لما لم يقاوموا الاسلام منذ الهجرة.

(١) انظر مثلا: محمد حميد الله: الوثائق السياسية ص ٥٧ وما بعدها.

د. ضياء الدين العمري: المجتمع النبوي في عهد النبوة ص ١٠٩.

(٢) محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن ص ١١٨.

لقد كانوا يمتنون أنفسهم بكثرة اليد العاملة عند قدوم المسلمين المهاجرين، وكانوا يتوقعون أن تصبح المجموعة الجديدة التي حلت بالمدينة عنصرا من عناصر التوتر الذي يعتمده يهود المدينة للسيطرة على الثروة ولتصريف انتاجهم، ولتحقيق السيولة المالية ولكنهم لما لاحظوا الوحدة التي تجمع بين المسلمين، ولما أدركوا أن الاسلام يدعو إلى العمل والبذل والابتكار والمساهمة في استثمار نعم الله الظاهرة والباطنة بطريقة تختلف اختلافا جذريا عن طريقة اليهود الأنانية، شرعوا في الدس والتشكيك وإثارة الأحقاد، فقد ذكر ابن اسحاق أن شاس بن قيس وكان شيخا قد عسا (أسن) عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، قد مرّ على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه . فغاضه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية . فقال : قد اجتمع ملائ بني قيلة بهذه البلاد . لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤها بها من قرار . فأمر فتى شابا من يهود كان معهم فقال : اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار^(١) .

لقد كان شاس بن قيس يمني النفس بأن يجد في الوافدين الجدد على المدينة عنصرا من عناصر القوة بالنسبة إليه . لم ينظر إليهم على أنهم يشتركون معه في توحيد الله ونبذ الأوثان والتوجه بالشكر والثناء والعبادة الى الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد . لم ينظر اليهم بهذا المنظار ذلك أن نشر التوحيد لا يهمه وعبادة الأوثان لا تقلقه . المهم بالنسبة إليه أن يجد من يعمل بثمر زهيد في حقوله ومن يقترض بفائض مححف أمواله ومن ينصره بدون قيد أو شرط في خصوماته .

ولما أدرك هذا الشيخ أن عهدا جديدا قد بدأ في المدينة المنورة وأن الاسلام قد وحّد قلوب معتنقيه وأغلق الباب أمام تلاعب اليهود وأفسد عليهم سياستهم لجأ الى طريقة فيها دس وإثارة .

(١) ابن هشام : السيرة ٥٥٥/١ .

ان هذه الطريقة لم تكن غريبة على اليهود وأحبارهم فالأخرون قد سلكوا طريق التعنت والباس الحق بالباطل . فكانوا يتظاهرون بمحاورة الرسول ﷺ وسؤاله لاثارة بعض القضايا التي تولد في بعض النفوس قلقا ذهنيا وشكا سلبيا ، وقد تشغل المسلمين عن عملهم اليومي الذي يسعون من ورائه الى أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس .

وهكذا يستطيع الباحث أن يدرك نوعية هذه الاسئلة التي كانت تصدر عن اليهود الذين تأكدوا من أنهم ارتكبوا خطأ بمهادنة الاسلام مهادنة مكنته من أن يصبح قوة تهدد وجودهم بالمدينة ويصعب عليهم محاربتة بطريقة مكشوفة . قال ابن اسحاق : وكان أحبار يهود الذين يسألون رسول الله ﷺ ويتعنتونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل . فكان القرآن ينزل فيهم وفيما يسألون عنه إلا قليلا من مسائل الحرام والحلال كان المسلمون يسألون عنها^(١) .

أدرك الرسول ﷺ أن اليهود يريدون بعث الضغائن ونشر الحقد والجدل العقيم بين المسلمين كما أدرك أنهم يستخدمون لبلوغ مآربهم رصيدهم المعرفي المتمثل في التوراة التي ما أتى الاسلام ليشكك فيها وانما ليخلص أحكامها من الزيغ والتحريف ولذلك أمر الصحابة بأن يقفوا موقفا حذرا مما ينقله اليهم اليهود ، وأن يمسكوا عن التصديق والتكذيب ، فقد عقد البخاري بابا في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة عنوان له : باب قول النبي ﷺ : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، وخرج فيه حديث أبي هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل اليكم »^(٢) .

واستنتج بعض العلماء من هذا الحديث ومن أحاديث أخرى تتفق معه في

(١) ابن هشام : سيرة ٣٥٨/١ .

(٢) خ ، ٩٦ الاعتصام بالكتاب والسنة / باب قول النبي ﷺ لا تسألون أهل الكتاب شيء . انظر أيضا ٦٥ تفسير سورة البقرة باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا .

النهي عن الأخذ من اليهود^(١) ومن بعض الآيات القرآنية المطابقة له في المعنى^(٢) أن الحوار مع اليهود والأخذ عنهم غير مسموح به في الشريعة الإسلامية في القضايا التي لم يتعرض لها القرآن الكريم والسنة النبوية . فقد يكون ما يخبرون به المسلمين صدقا فيأثم هؤلاء إن هم كذبوهم ، أو يكون كذبا فيرتكبون ذنبا إن هم صدقوهم وآمنوا بما أخبروهم به . ولكن تدبر ما جاء في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية في هذه القضية يؤدي الى بعض الاستنتاجات منها :

١ - أن النهي عن محاورة اليهود والأخذ عنهم مقيد . فلا يكون إلا في القضايا التي سكت عنها القرآن الكريم والسنة النبوية . فما جاء عنهم مسابير للقرآن والسنة يمكن للمرء أن يتناوله معهم بالبحث وكذلك ما خالفوا فيه أحد الأصلين فالواجب يدعو إلى محاورتهم لرد ما أولوه تأويلا فاسدا أو انتحلوه أو كتموه فقد ذكر ابن حجر أن الامام الشافعي نبه الى أنه لم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعا بخلافه ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعا بوفاقه^(٣) .

٢ - تحتاج موافقة اليهود أو تكذيبهم الى أدلة نقلية وعقلية وهذه الأخيرة لا تقام أحيانا إلا بواسطة الحوار . فالدين الاسلامي يمتاز بشمولية جعلت المعرفة فيه لا تقتصر على أدلته وأحكامه وبراهينه ، وإنما تتجاوز ذلك لتشمل التجربة الانسانية والشرائع المنزلة .

فالقرآن الكريم قد أشار في بعض الأحيان الى ضرورة الرجوع إلى الأمم السابقة وسؤالها عن بعض القضايا .

(١) أخرج الامام أحمد بسنده عن جابر بن عبدالله ان عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب فقال : امتهوكون فيها يا ابن الخطاب (الحديث) المسند ٣٨٧/٣ .

أخرج البخاري بسنده عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الاخبار (الحديث) ٥٢ الشهادات ب ٢٩ : لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها .

(٢) من هذه الآيات قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَالِغِيهِمْ أَحْسَنُ ﴾ (الآية) ٢٩ العنكبوت ٤٦ .

(٣) ابن حجر : فتح الباري ١٣٨/٨ .

قال تعالى: ﴿وَسَعَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ فالمقصود حسب بعض المفسرين أن يسأل أممهم وعلماء دينهم وهو كقوله تعالى: ﴿فَسَعَلَ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ .

قال الفراء مبينا وجه المجاز في الآية: هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء عليهم السلام^(٢) .

ورأى بعضهم أن في الآية تمثيلا لشهرة الخبر وتحققه فسؤال الرسول محمد ﷺ الذين قبله متعذر على الحقيقة والمعنى «استقر شرائع الرسل وكتبهم وأخبارهم هل تجد فيها عبادة آلهة»^(٣) .

وسواء أخذنا بالتفسير الأول أو الثاني فما ينتج عن العمل بالآية واحد، فالاستقراء يتطلب البحث عن النصوص والأخبار والدخول في حوار مع المكلفين بتطبيقها والسهر عليها. وفي هذا السياق تندرج الأخبار التي تفيد أن الرسول ﷺ قد استمع لبعض اليهود وهم يتلون التوراة. فقد روى الامام أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: «ان الله عز وجل ابتعث نبيه لادخال رجل الجنة فدخل الكنيسة فإذا يهودي يقرأ عليهم التوراة فلما أتوا على صفة النبي ﷺ أمسكوا. وفي ناحيتها رجل مريض فقال النبي ﷺ ما لكم أمسكتم؟ فقال المريض: أنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا. ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبي ﷺ وأمته فقال: هذه صفتك وصفة أمتك أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله»^(٤) .

يبين هذا الحديث: (أ) ان المدينة في عصر الرسول ﷺ وقبل اجلاء اليهود

(١) ٤٣ الزخرف: ٤٥ .

(٢) انظر: د. محمد السيد حسين الذهبي: الاسرائيليات في التفسير والحديث ص ٦٠ .

(٣) انظر: التحرير والتنوير ٢٥/٢٢٢ .

(٤) حم: مسند ١/٤١٦ .

عنها كان بها دور للعبادة والعلم خاصة باليهود. فقد جاءت لفظة كنيسة في هذا الحديث كما وردت عبارة «بيت المدارس» في أحاديث أخرى^(١).

وتفيد هذه العبارة أن اليهود كانوا يتوجهون الى مكان خاص عند دراسة التوراة، (ب) أن الرسول ﷺ كان يدخل أحيانا هذه الدور ويطلع على ما يدور فيها ويسأل اذا ما استدعى الأمر ذلك.

كما كانت هذه الزيارات والأسئلة رافدا من الروافد التي اطلع بواسطتها الرسول ﷺ على أخبار اليهود وأدرك طرق تعاملهم مع النصوص وتبين له أن اخبارهم التي لا تناقض ما نزل عليه ولا تعارض الكليات التي قامت عليها أحكام الاسلام وتوجيهاته، يمكن للمسلم أن يسمعها منهم وأن يناقشهم فيها لمزيد من الفهم أو التثبت. وفي هذا السياق يندرج الحديث النبوي المروي عن عبدالله بن عمرو والذي جاء فيه «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذلك علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»^(٢).

٣- كان الرسول ﷺ : يدرك مكانة الحوار في التأثير على النفوس وفي هداية أصحابها إلى نبد تقليد الضالين والمضلين. لقد علمه ربه عن طريق الوحي الجلي أن بعض الكافرين يتركون ملة آبائهم عندما يتبين لهم عن طريق الحوار صدق النبي المرسل إليهم. وجرب هو هذه الطريقة مع كفار مكة ومع يهود المدينة، فأثمرت خيرا مع البعض من هؤلاء وأولئك، ولذلك استمر يطبقها ويحث عليها أصحابه بعد أن بين لهم الحدود التي يجب الوقوف عندها. فإذا ما حُفَّت بالحوار الشبهات، وإذا ما تناول قضايا سكت عنها القرآن الكريم والسنة النبوية وهي مشتركة بين امكانية الصدق والكذب فحري بالمسلم أن يوقف الحوار وأن يقول: ﴿أَمَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

(١) خ ٨٩ الاكراه/ الباب الثاني في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره.

(٢) خ: ٦٠ أحاديث الانبياء/ باب ٤٣ ما ذكر عن بني اسرائيل ح ٩.

(٣) ٢٩ العنكبوت ٤٦.

وهكذا يتضح أن الرسول ﷺ قد حاور اليهود كما حاور غيرهم واستمع اليهم وسمح لهم بأن ينشروا ما عندهم من معرفة بل أذن لصحابته بأن ينقلوا أحاديثهم التي تطابق أصل ديانتهم، ولا تعارض ما جاء به الاسلام. وهكذا احتوت كتب الصحاح والسنن حوارا متنوعا طرفاه الرسول ﷺ وبعض المسلمين من جهة وأحبار اليهود أو عامتهم من جهة أخرى.

والمتتبع لهذا الحوار يلاحظ أنه يمكن تقسيمه الى الأنواع الآتية:

أ - الحوار الجدلي: ويبرز في القضايا المتعلقة بالعقيدة والتي أثارها اليهود ليزرعوا الشك في النفوس.

ب - الحوار التشريعي: وتظهر فيه القضايا التي كانت أصلا لحكم تشريعي أو الأحداث التي أظهرت التطابق بين أحكام التوراة قبل تحريفها وبين التي جاء بها الاسلام.

ج - الحوار الاجتماعي: وهو الذي يهتم ببعض العلاقات الاجتماعية التي كانت قائمة بين المسلمين واليهود.

د - الحوار المصري: وهو الذي تحدد أثناءه مصير اليهود بالمدينة المنورة خاصة والجزيرة العربية عامة.

الفصل الأول ————— الحوار الجدلي

لقد مر بنا أن اليهود أدركوا أنهم ارتكبوا خطأ بمهادنتهم الرسول ﷺ عند انتقاله الى المدينة وأن البعض من أعيانهم وأحبارهم نصب له العداوة بغيا وحسدا وضعنا وأنهم سعوا الى الدس والفتنة والجدل عن طريق اثاره القضايا التي توجد في المجتمع قلقا نفسيا وشكا خانقا وصراعا بين المجموعات . وفي هذا السياق تدرج اسئلتهم الرسول ﷺ عن الروح وقد ذكر آنفا أنهم شرعوا في توجيهها الى الرسول ﷺ عن طريق مشركي مكة وواصلوا ذلك بعد الهجرة . .

أخرج البخاري في كتاب العلم عن شيخه قيس بن حفص قال : حدثنا عبدالواحد حدثنا الأعمش سليمان عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال : بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح . وقال بعضهم لا تسألوه ، لا يجيء بشيء تكرهونه ، فقال بعضهم : لنسألنه . فقام رجل منهم فقال : «يا أبا القاسم : ما الروح ؟ فسكت : فقلت إنه يوحى إليه . فقامت . فلما انجلى عنه فقال : ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتوا من العلم الا قليلا . قال الأعمش هكذا قراءتنا^(١) .

تخريج الحديث :

أورد البخاري هذا الحديث أيضا في التفسير والاعتصام بالكتاب والسنة والتوحيد فذكره ضمن أبواب الأول عند تفسير سورة بني اسرائيل (الاسراء) وعنون له بباب ويسألونك عن الروح وفي الكتاب الثاني باب ما يكره من كثرة السؤال . وأما

(١) خ ٢ . العلم / ٤٧ قول الله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .

في الكتاب الثالث فقد خرج في بابين متتالين عنون لأولهما بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ ولثانيهما بقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ وخرج الامام مسلم الحديث في كتاب المنافقين ضمن باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ وأورده هناك بثلاث روايات واحدة منها مزدوجة السند. وخرج الحديث أيضا الإمامان أحمد بن حنبل والترمذي فقد كرره الأول في ثلاثة مواضع من مسند عبدالله بن مسعود وذكره الثاني في كتاب التفسير في الباب الثامن عشر الذي أورد فيه أحاديث لتفسير بعض آيات سورة بني اسرائيل وعلق عليه بقوله هذا حديث حسن صحيح وذكر قبله حديث ابن عباس الذي ورد فيه أن قريشا طلبت من اليهود أن يعطوهم شيئا يسألون عنه الرسول ﷺ^(١).

خصائص الاسناد

تنتهي كل الأسانيد التي أوردت هذا الحديث الى عبدالله بن مسعود الذي رفعه الى الرسول ﷺ والمتتبع لسلاسل الاسناد يلاحظ:

١ - اشترك المخرجون في أن راوي الحديث عن ابن مسعود هو علقمة ولم يُضف اليه مسروق إلا في روايتين: أحدهما للإمام أحمد والثانية للإمام مسلم. واشتركت الروايات في أن الذي أخذه عن علقمة هو ابراهيم النخعي^(٢) وعنه أخذه الأعمش الذي رواه لكل من عبدالواحد وحفص بن غياث ووكيع وعيسى بن يونس.

وعن هؤلاء رواه كل من قيس بن حفص وعمر بن حفص ومحمد بن عبيد ويحيى بن جعفر وموسى بن اسماعيل الذين حدثوا به الامام البخاري.

والمتتبع لسلاسل البخاري وطرقه يلاحظ:

أ - تضم احدى سلاسل اسناد هذا الحديث ستة رجال: ^(٣) ثلاثة منهم كوفيون واثنان

(١) تقدم في هذا البحث ص ٧.

(٢) العيني: عمدة القارئ ١٩٩/٢.

(٣) هي السلسلة المتكونة من شيخ البخاري قيس بن حفص وعبدالواحد بن زياد وسليمان بن مهران الأعمش وابراهيم بن يزيد النخعي وعلقمة بن قيس النخعي وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

بصريون الى جانب الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود وفي هذه السلسلة ثلاثة من التابعين المتقنين يروي بعضهم عن بعض^(١) وهم علقمة بن قيس النخعي^(٢) وابراهيم بن يزيد النخعي^(٣) وسليمان بن مهران الأعمش الكوفي^(٤).

ب - تربط صلة الرحم بين راويين من رواة هذا الحديث وهما علقمة بن قيس النخعي وابراهيم بن يزيد النخعي فالثاني ابن اخت للأول.

ج - أخذ البخاري الحديث عن شيخين يشتركان في اسم الأب ويختلفان في المصير فاسم والد كل منهما هو حفص ولكن أحدهما وهو عمر بن حفص كوفي وثانيهما هو قيس بن حفص بصري^(٥) وكانا شيخين للبخاري.

د - تشتمل إحدى سلاسل الاسناد رواية الابناء على الآباء فعمر بن حفص بن غياث قد روى الحديث عن أبيه.

هـ - اشترك البخاري ومسلم اشتراكا تاما في إحدى سلاسل هذا الحديث فقد صدر الامام مسلم ذكره لطرقه بالسلسلة التي قال فيها عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش ثني ابراهيم عن علقمة عن عبدالله وهذه هي سلسلة اسناد الحديث عن البخاري في كتاب التفسير.

(١) العيني: عمدة القارئ ١٩٩/٢.

(٢) علقمة بن قيس النخعي ولد في حياة الرسول ﷺ روى عن عمر وعثمان وعلي وسعد وحذيفة. من بين الذين رَوَوْا عنه ابن اخته ابراهيم بن يزيد النخعي مات بين سنتي ٦١ و ٧٣ هـ. تهـ. تهـ ٢٧٦/٨ وما بعدها. تر ٤٨٤.

(٣) ابراهيم بن يزيد النخعي ابو عمران الكوفي الفقيه روى عن خاليه الاسود وعبدالرحمن ابني يزيد ومسروق وعلقمة ومن الذين رَوَوْا عنه الاعمش رأى عائشة رضي الله عنها. كان مفتي أهل الكوفة. مات في عهد الحجاج بن يوسف (تهـ. تهـ. ١٧٧/١ تر ٣٢٥).

(٤) سليمان بن مهران. أبو محمد الكوفي الاعمش روى عن انس ولم يثبت له منه سماع. مات ١٤٧. ١٤٨ تهـ. تهـ ٢٢٢/٤ تر ٣٧٦.

(٥) قيس بن حفص بن القعقاع التميمي روى عن عبدالواحد بن زياد وروى عنه البخاري اثني عشر حديثا. مات ٢٢٧ (تهـ. تهـ. ٣٩٠/٨ تر ٦٩٢).

ولم يقتصر الاشتراك على أسماء الرواة فقد شمل أيضا طرق الرواية الذي جاء بصيغة حدثنا في ثلاثة مواضع وحدثني في موضع واحد والعننة في موضعين .

ومما يلاحظ أن سلسلة اسناد البخاري في كتاب العلم قد وردت بحدثنا في ثلاثة مواضع وبالعننة في ثلاثة أخرى . وجاء اسناده في الاعتصام بحدثنا في موضعين وبالعننة في أربعة .

وجاءت إحدى روايتي كتاب التوحيد بالعننة دون سواها^(١) .

٢ - يبلغ مجموع عدد الرجال الذين تكونت منهم سلاسل البخاري التي خرجت الحديث ثلاثة عشر رجلا منهم صحابي واحد وثلاثة تابعين وأربعة من شيوخ شيوخ البخاري وخمسة من شيوخه . أما رجال مسلم فعددهم أربعة عشر رجلا اشترك مع البخاري في ستة منهم .

٣ - جاءت إحدى سلاسل الامام مسلم مطابقة لسلسلة الامام أحمد وهي التي يستنتج منها أن مسروقا قد اشترك مع علقمة في أخذ الحديث عن عبدالله بن مسعود^(٢) وتتبع الدارقطني هذه السلسلة مبينا أن أصحاب الأعمش كعبدالله بن زياد وعيسى بن يونس وحفص بن غياث ووکیع رووا الحديث عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله ، وكان يرمي من وراء ذلك الى التأكيد على أن رواية الحديث عن مسروق تعد شذوذاً ذلك أن روايات أصحاب الأعمش المذكورين هي الضواب^(٣) .

وما ذهب إليه الدارقطني يحتاج إلى توقف ذلك أن من العلماء من ذهب إلى القول بأن الامام مسلما أورد رواية مسروق متابعة ليعين علة اسنادها^(٤) ومنهم من أرجع ذلك الى الصناعة الحديثية التي امتاز بها الامام مسلم والتي وصفها القاضي عياض فقال: ان مسلما ذكر في صحيحه أحاديث الحفاظ

(١) خ ٩٧ توحيد / ٢٩ باب قول الله تعالى انما قولنا لشيء ح ٤ .

(٢) م . ٥٠ صفات المنافقين وأحكامهم / ٤ . ٢٧٩٤ ط ٣ ، حم ٤١٠ / ١ .

(٣) الدارقطني : الالتزامات والتتبع ٢٣٦ .

(٤) م . س تعليق المحقق ٢٣٧ .

المتقدمين أولاً وجعلها أصولاً ثم اتبعها بأحاديث المستورين المتوسطين في الحفظ والاتقان على سبيل المتابعة والاستشهاد فمراد الامام مسلم من ذكر أحاديث هذه الطبقة ذكر علل الأحاديث. وقد حقق ذلك ضمن ما أتى به في صحيحه من جمع الطرق والأسانيد والاختلاف^(١).

وقد يستطيع الباحث أن يستنتج من صنيع مسلم بالنسبة لسلاسل اسناد الحديث الذي نحن بصدده أنه أراد أن يقدم لنا نوعين من أنواع سلاسل اسناد الحديث الصحيح فالنوع الأول تنقل سلاسله الحديث الصحيح لذاته وهي التي لا يتطرق اليها الشك في ضبط وعدالة رواتها واتقانهم وما شابهها من شروط الصحة التي اشترطوها والتي لا يناسب المقام تحليلها. أما الثاني فتتفق سلاسله مع سلاسل النوع الأول في الشروط الأساسية ولكن قد تحف بها النقائص في بعض الجزئيات وهي هنا الشهرة ذلك أن رجال طريق مسروق لم يتهم منهم أي واحد غاية ما في الأمر أن أصحاب الأعمش كما قال الدارقطني رووا الحديث عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله فالرواية عن مسروق صحيحة لغيرها لأنها لم تشتهر اشتهار الرواية عن علقمة.

ألفاظ الحديث :

إن جميع ألفاظ الحديث برواياته التي وقعت الإشارة إليها يمكن من استخراج المعاني الآتية :

(١) مصاحبة عبدالله بن مسعود الرسول ﷺ ووجوده الى جانبه طيلة الحوار الذي دار بينه عليه الصلاة والسلام وبين اليهود.

(٢) مرور الرسول ﷺ بجماعة من اليهود عبر عنها بالنفر تارة وبالقوم أخرى. وجاء في رواية أن نفرا من اليهود قد قاموا الى الرسول ﷺ.

(٣) التأكيد على أن نقاشا قد دار بين اليهود قبل محاورتهم الرسول ﷺ فبعضهم كان يرى سؤال الرسول ﷺ عن الروح في حين ذهب شق آخر الى خلاف ذلك خوفا من

(١) انظر: صيانة صحيح مسلم. ابن الصلاح ٩٠-٩١.

أن يصدر عنه ﷺ مالا يستجيب لرغائبهم ، أو ما يفضحهم ويجعلهم يندمون على ما قدموا عليه .

وعبر عن هذا الموقف المتخوف بصيغ متعددة منها :

— لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه^(١) .
— لا تسألوه لا يسمعكم ما تكرهونه في رواية^(٢) وانه يسمعكم ما تكرهون في أخرى^(٣) .

— لا يستقبلكم بشيء تكرهونه^(٤) .

— ما رابكم إليه^(٥) وقال النووي ما رابكم اليه أي ما دعاكم الى سؤاله أو ما شككم فيه حتى احتجتم الى سؤاله أو مادعاكم الى سؤال تخشون سوء عقابه^(٦) وقرأها بعضهم بصيغة الفعل الماضي على أنها من الريب وذهب البعض الآخر الى أن اليهود قالوا ما رابكم بصيغة المصدر وتفيد الاصلاح . واستبعد هذا القول ابن حجر^(٧) ورأى الخطابي أن الصواب هو ما أربكم أي ما حاجتكم . واستحسن ابن حجر هذه الصورة وقال انه رأى ما يدعمها في رواية للمسعودي عن الأعمش عند الطبري^(٨) وأخيرا قال الكرمانى هي ما رأيكم أي ما فكركم .

٤ - ذكرت كل الروايات أن الداعين من اليهود الى سؤاله عليه الصلاة والسلام كانت لهم الغلبة ولكنها تفاوتت في التعبير عن مصدر السؤال وصيغته فذكرت روايات أن واحدا فقط هو الذي سأل الرسول ﷺ ، فقام رجل منهم . في حين جاء في أخرى أن الجميع أو بعضه هم مصدر السؤال . فقالوا : يا أبا القاسم . فسألوه . فقام إليه بعضهم . أما صيغة السؤال فجاءت انشائية في روايات كقول السائل : يا أبا القاسم ما الروح ؟ وحدثنا عن الروح وإخبارية في روايات أخرى فقد روى أن عبدالله بن مسعود قد نقل سؤاله اليهود فقال : فسألوه عن الروح في رواية

(١) خ ٢ علم / ٤٧ .

(٢) خ ٩٦ - اعتصام ٣ / ٩ .

(٣) ت تفسير سورة بني اسرائيل ١٨ ح ٣١٤١ .

(٤ + ٥) خ ٦٥ تفسير سورة بني اسرائيل ١٢ .

(٦) النووي ١٧ / ١٣٧ .

(٧ + ٨) ابن حجر ٨ / ٣٢٤ .

(و) فسأله عن الروح في ثانية.

٥ - أجمعت الروايات على أن الرسول ﷺ لم يجب اليهود على الفور اذ مرت فترة زمنية بين صدور السؤال والجواب النبوي وتفاوتت ألفاظ الروايات في التعبير عما فعله وشعر به عبدالله بن مسعود طيلة هذه الفترة.

جاء في رواية أنه عرف أن الرسول ﷺ يوحى إليه فتأخر عنه في رواية^(١) وقام مقامه في ثانية^(٢) واستمر على ذلك حتى صعد الوحي في الثالثة^(٣) وإلى جانب الروايات التي جاء فيها أن عبدالله بن مسعود كان على ادراك وعلم بنزول الوحي في فترة الصمت هذه وردت روايات أخرى جاء فيها أن الصحابي الجليل ظن أنه يوحى إليه^(٤) وهناك نوع ثالث من الروايات جاء فيها أن الرسول ﷺ قد سكت ولم تشر إلى الوحي^(٥).

٦ - أجمعت الروايات على أن الرسول ﷺ اجاب عن سؤال اليهود بآية قرآنية اذ تلا على مسامعهم قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وجاء في رواية كتاب العلم للبخاري «وما أوتوا» مكان وما أوتيتم وقد جاء الحديث بلفظ وما أوتوا ايضا في رواية لمسلم^(٦).

وتتبع العلماء قوله الأعمش هذه فتبين لهم أن هذه القراءة ليست في السبعة بل ولا في المشهور من غيرها وقد أغفلها أبو عبيد في كتاب القراءات له من قراءة الأعمش^(٧) ولذلك ذهب بعضهم الى ضرورة اصلاح «أوتوا» بأوتيتم في حين تمسك البعض الآخر بتركها على حالها مع التنبيه الى ذلك فلعلها قراءة شاذة.

واستدل القاضي عياض على فساد المذهب الأخير بأن القراءة الشاذة لا يحتج

(١) أنظر: خ = تفسير سورة بني اسرائيل ١٢ ح - ١ - ٩٦ اعتصام/ ٣ ح ٩.

(٢) خ تفسير سورة بني اسرائيل/ ١٢ ح ١.

(٣) انظر خ = علم/ ٤٧ - ت: تفسير سورة بني اسرائيل ب ١٨/ ٣١٤١.

(٤) خ ٩٧ توحيد/ ٢٨. (فطننت أنه يوحى إليه).

(٥) حم ١/ ٤١٠ (فسأله عن الروح فسكت ثم تلا هذه الآية).

(٦) مسلم: ٤/ ٥٠ ح ٢٧٩٤.

(٧) ابن حجر: ف ١/ ١٨١.

بها في شيء فقد نفى الامام الشافعي وجمهور العلماء الاحتجاج بمصحف ابن مسعود^(١).

وهكذا يتضح أن الاختلاف في الفاظ الحديث لم يكن أساسيا الا في مسألتين:

أ - المكان الذي التقى فيه الرسول ﷺ باليهود هل هو حرث المدينة أم خرب المدينة وترجح أغلب الروايات اللفظ الأول.

ب - الضمير الذي لحق فعل أتى المبني للمجهول ، هل هو ضمير الخطاب أم ضمير الغائب ورجح العلماء الأول لأنه هو المتواتر.

المباحث:

قدم الحديث بطرقه المتعددة مادة تسمح للباحث بأن يدرس الجانب النفسي والسلوكي ليهود المدينة وهم يحاورون الرسول ﷺ فالجدل الذي دار بين اليهود قبل توجههم بالسؤال عن الروح للرسول ﷺ يظهر الحيرة التي كان عليها اليهود والخوف الذي انتابهم والجانب التسلطي الكامن في نفوسهم.

فهذا البغض من اليهود الذي قال لما مر الرسول ﷺ بهم سلوه عن الروح يعبر عن النزعة العدائية التي تمكنت من نفوس أغلبهم ، لقد شاهدوا الرسول ﷺ ينتقل بينهم ويحیی حياتهم ويتفاعل مع أصحابه الذين هاجروا معه ونصروه وعزروه فتكونت منهم أمة وصفها الله تعالى بأنها خير أمة أخرجت للناس وقال فيها ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾^(١).

لم تقبل نفوس اليهود هذه السلم الاجتماعية وتلكم الطمأنينة النفسية التي عمت المسلمين وجعلتهم يؤمنون بما يقوله الرسول ﷺ ولا ينتابهم الشك والبواس ولا تعترى أنفسهم دوافع الضعف والوهن ، ولا تعرف مجموعة من الأمراض الفتاكة مثل الحسد وشح الأنفس اليهم سبيلا . لقد كان كثير من اليهود يتألم باطنيا من هذه الرابطة التي أنشأها الرسول ﷺ بين أصحابه فجعلهم يتحدثون في السراء والضراء

(١) انظر: العيني ١٩٩/٢ وما بعدها.

(٢) ٤٨ ، الفتح ٢٩ .

ويؤمنون أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ، لقد أصبح رسول الله ﷺ أسوتهم الحسنة والمرجع الذي يعودون اليه كلما وجدوا أنفسهم أمام قضية من القضايا التي يعسر حلها أو اذا ما نشأت بينهم بعض المشاكل اليومية التي لا يخلو منها مجتمع انساني لقد توجه الله تعالى الى عباده المؤمنين بالخطاب لفض ما يطرأ بينهم فقال : ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ^(١) .

أراد بعض اليهود أن يحل العقد الذي يربط بين الرسول ﷺ وصحابته الأبرار وذلك بأن يظهر للصحابة أن ما عند محمد ﷺ من علم قد يتطرق اليه الشك ، وقد يخالف ما نزل على غيره من الرسل . ولما رأى الرسول ﷺ صحبة أحد الصحابة الأبرار هو عبد الله بن مسعود ، سولت له نفسه أن يوجه سؤالاً للرسول ﷺ عليه يحميه بما هو قابل للشك أو بما هو مخالف لما نزل على موسى عليه السلام فينتقل من ذلك ليبرهن للصحابة أن ثقتهم في الرسول ﷺ ليست في محلها فسؤال اليهود عن الروح هو سؤال تعجيز وتغليب ^(٢) .

فالروح كما ذكر ذلك المفسرون وشرح السنة لفظ مشترك ورد في القرآن الكريم فدل على ما به حياة الاجسام واذا اضيف الى الله تعالى فهو للملك والتشريف كما استخدم للدلالة على بعض الأمور الخفية كالوحي وأمر النبوة وأطلق أيضاً على بعض الملائكة وخاصة ملاك الوحي جبريل عليه السلام .

واستخدم في الأحاديث النبوية للدلالة على روح الانسان أو الحيوان التي اذا ما زرعت في الجسد نفخت فيه الحياة كقوله ﷺ : «من فارق الروح الجسد» ^(٣) وللدلالة على قضايا غيبية كاضافتها الى الله تعالى : «وتقذفهم روح الرحمن» وللدلالة على ملك الوحي أو أحد الملائكة .
كما في الحديث سبوح قدوس رب الملائكة والروح .

(١) ٤ . النساء ٥٩ .

(٢) ابن حجر : فتح الباري ٣٢٥/٨ .

(٣) جزء من حديث أخرجه الترمذي : كتاب السير/ ٢١ .

ولذلك اختلف المفسرون في تحديد المقصود بالروح في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ فقيل ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدار البدن الانساني ومبدأ حياته^(١) وقيل هو جبريل عليه السلام وقيل هو ملك من الملائكة سعى بعضهم الى تجسيمه لبيان القدرات العظيمة التي يمتاز بها وقيل هو ضرب من الملائكة ، واستدل القائلون بأن مدار السؤال هو غير الروح الحالة بالجسد بأن اليهود إنما يسألونه عليه الصلاة والسلام عن أمر لا يعرفه إلا بالوحي ، وأما أرواح بني آدم فليست من الغيب^(٢) .

لاشك أن اليهود كانوا يودون أن يتلقوا من الرسول ﷺ جوابا محددا يتمكنون بواسطته من أن يكذبوه وأن يبينوا أن ذلك ليس هو المقصود بالروح وهم يريدون بعملهم ذلك أن ينفض الصحابة من حوله عليه الصلاة والسلام .

لقد استمر هذا الأمل يراودهم ويزين لهم سيئات أعمالهم فهم يستغلون المناسبات لاثارة الصحابة رضي الله عنهم ، ولجعلهم يختصمون عليهم يجدون من خلال خصوماتهم منفذا يصلون بفضلهم الى زرع الشك في بعض المسلمين وجعلهم يتخلون عن التصديق المطلق بصاحب الرسالة .

فقد روى البخاري بسنده عن أسامة بن زيد أن النبي ﷺ ركب حمارا عليه أكاف تحته قطيفة فذكية وأردف وراءه أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عباد بن الحارث بن الخزرج ، وذلك قبل وقعة بدر حتى مر في مجلس فيه اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان ، واليهود وفيهم عبدالله بن أبي بن سلول . وفي المجلس عبدالله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خر عبدالله بن أبي أنفه بردائه ثم قال : « لا تغبروا علينا . فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل فدعا الى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبدالله بن أبي بن سلول أيها المرء لا أحسن من هذا ان كان ما تقول حقا فلا تؤذنا في مجالسنا^(٣) .

(١) اللوسي : روح المعاني ١٥ / ١٥١ .

(٢) اللوسي : روح المعاني ١٥ / ١٥١ .

(٣) خ ٧٩ . الاستذنان / ٢٠ التسليم في مجلس فيه اخلاط من المسلمين والمشركين .

يبين هذا الجزء من الحديث أن سكان المدينة بعد أن حل بها الرسول ﷺ كانوا يجتمعون ويتناولون بالبحث القضايا التي تهم مجتمعهم فلاختلاف العقدي لم يحل بينهم وبين الأمن الاجتماعي وحرية التفكير والقول فالرسول ﷺ قد عقد بينهم معاهدة تنظم العلاقات بين الأفراد والجماعات ، وبذلك استطاع عبد الله بن أبي بن سلول وغيره أن يجالسوا المؤمنين الصادقين ، وأن يثيروا معهم القضايا المتصلة اتصالا وثيقا بالايان والمعاملات والسلوك وغيرها من القضايا . لم ينه الرسول ﷺ الصحابة عن مجالسة أهل الكتاب والمشركين ولم يطلب منهم أن يقاطعوهم اقتصاديا أو فكريا بل تركهم يجتمعون بهم في الأسواق والمنازل ودور العلم . ولكن أغلب اليهود لم يتخلصوا من عقدة التفوق التي أصيبوا بها ولم يقبلوا التعايش بين المجموعات الذي جاء به الاسلام فلم تزدهم الأيام الا عداوة لصاحب الرسالة فعبد الله بن أبي بن سلول أراد أن يظهر بالتخميم على أنفه أن يوحى للجالسين وخاصة المسلمين منهم بأن الرسول ﷺ يؤدي غيره بما تثيره دابته من غبار . ولم يكتف بالاشارة والايحاء بل عبر عن ذلك بصريح القول « لا تغبروا علينا » أراد أن يظهر نفسه محاميا على كل أفراد المجلس وعارفا بالأداب والسلوك ومدافعا عن الفضيلة ، وأفسد عليه الرسول ﷺ تدبيره فنزل : من ظهر دابته ودعا الى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وتلا على الجميع الآيات الكريمة التي تشفي الصدور من شحها وتفتح أمام العقل أبواب التدبر والمعرفة ولما شعر ابن سلول أن الرياح سارت بما لا يشتهي وأن الحكمة النبوية منعتة من تحقيق مآربه وبلوغ أهدافه تظاهر باستحسان ما صدر عنه ﷺ مع السعي للمرة الثانية الى التشكيك في سلامة الطريقة النبوية من التسلط وسوء اختيار الوقت المناسب والمكان اللائق .

لقد أراد أن يوحى للحاضرين بأن الرسول ﷺ قد اعتدى على أفراد المجلس فلم يحترم مسلمهم ولا يهوديهم ولا مشركهم . فلاساعة قد وجهت الى الجميع والألم قد حل بكل الحاضرين والسبب في ذلك هو الرسول ﷺ .

كان ابن سلول يمني النفس وهو يوحى للحاضرين بهذه المعاني أن يرى الشك في سيرة الرسول ﷺ ينتاب بعض المسلمين ويتملك منهم فيقرون بما أشار ويصدقون بما قاله فتنقص ثقتهم في النبي الكريم فيتركون اتباعه وينفضون من

حواله ويعودون الى شركهم والى قبول التفوق اليهودي الذي كان سائدا بالمدينة قبل هجرة الرسول ﷺ .

إن غايته هذه لا تختلف كثيرا عن غاية الذين سألوا الرسول ﷺ عن الروح ، فهما تشركان في البحث عن منفذ لمقاومة أسباب قوة المسلمين المتمثلة أساسا في الايمان بكل ما يقوله الرسول ﷺ أو يفعله . لقد انطلق السائلون عن الروح من قضية تبدو متصلة بالعقيدة ومرتبطة بالمعرفة ليثيروا الشبهات وليبينوا أنهم أعلم من الرسول ﷺ في حين اتخذ ابن أبي بن سلول من قضية سلوكية منطلقا له ليصل الى نفس الغرض .

لقد أصبحت معرفة اليهود بعد حلول الرسول ﷺ بالمدينة مشكوكا فيها لذلك فقدوا الكثير من هيبتهم ومناعتهم وادركوا أنه لا نجاة لهم ولا عودة لسيطرتهم على النفوس والأموال إلا إذا ما زرعوا الشك في نفوس بعض المسلمين حتى يتخللوا عن الايمان بها يأتي به محمد ﷺ ولتحقيق هذا الهدف كان الجدل يحدث بينهم احيانا لمعرفة ما ينتج عن الاسئلة الماكرة التي كانوا يعدونها لالقاءها على الرسول ﷺ في الوقت المناسب . لقد ذكر حديث عبدالله بن مسعود أن بعض اليهود كان يخاف من نتيجة سؤاله ﷺ عن الروح لذلك حذر هؤلاء المتخوفون من أن يأتي الجواب النبوي بمعلومات لا تزيد مكانة اليهود في المجتمع المدني الا تدهورا . خاف هؤلاء من أن يكون السؤال الموجه الى الرسول ﷺ لتعجيزه وتشكيك أصحابه فيه مناسبة تظهر وقوف الوحي إلى جانبه وتبرز للمسلمين وغيرهم أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ولا يصدر عنه الا ما ينفع الناس ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (١) .

لقد ذكر الحديث بطرقه المتعددة أن هؤلاء المتخوفين عبروا عن شعورهم . والمتتبع لما صدر عنهم قبل الجواب النبوي وبعده يدرك أن تخوفهم لم يكن تخوف الباحث عن الحقيقة أو التمسك بها . وانما هو تخوف الاناني الذي يبقى دائما حائرا

بين الفعل وعدمه لم يمنعوا أصحابهم من القاء السؤال ولم ينسحبوا وانما ترصدوا الاحداث وترقبوا الجواب. ولما جاء داحرا للظلم لم يؤمنوا ولم يقولوها صريحة انه مطابق لما هو عندهم في التوراة وانما ساهموا في الجزء الثاني من الحوار الذي دار بين الرسول وبين مجموعتهم.

فقد ذكرت بعض الروايات أن اليهود قالوا للرسول ﷺ لما اجابهم عن سؤالهم عن الروح بقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ نحن مختصون بهذا الخطاب قال ﷺ بل نحن وأنتم فقالوا: ما اعجب شأنك ساعة تقول: ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، وساعة تقول هذا فانزلت: ﴿وَلَوْ أَتَمَّافِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(١).

لقد أدرك اليهود الحاضرون المعارضون منهم والمؤيدون لتوجيه السؤال عن الروح أن الجواب النبوي لم يحقق لهم ما كانوا يريدون بل أبرز أن هناك معلومات كثيرة لم يصل بعد الفكر الانساني إلى ادراكها وأنه توجد معلومات أخرى لا يمكن لهذا الفكر أن يصل إليها ذلك أن طبيعتها تختلف اختلافا جذريا عن تكوينه، وأنها تتطلب قوى لم تتوفر فيه بعد فالله لم يخلق للانسان أجهزة تمكنه من بلوغها في الدنيا على أقل تقدير ولذلك خاطب الحاضرين بقوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ان هذا الخطاب لا يفيد تعجيزا ولا يدعو الى السلبية وانما يبين للانسان انه من الحكمة أن يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية^(٢).

فالانسان مطالب بأن يستخدم الأجهزة التي سخرها الله له ليعلم ما فيه صلاحه وصلاح الانسانية وان يسلم بأن ما توصل إليه ناقص بالنسبة لما سيتوصل اليه الانسان في مستقبل الايام. وان علم الانسانية مهما بلغ من كمال فانه يبقى ناقصا بالنسبة لعلم الله تعالى المخالف لعلم الانسان والخالق اياه. ولكن اليهود سعوا الى التشكيك عن طريق الايحاء والمقارنات الناقصة فقالوا للرسول ﷺ كيف

(١) ٣١ لقمان ٢٧.

(٢) أبو السعود - تفسير ١٩٢/٥.

تقول ان علمنا ناقص وان ما أوتيناه قليل في حين انك تتلو ان التوراة قد نزلت وفيها حكمة وأن الذي اوتي الحكمة قد اوتي خيرا كثيرا. ألا يعد هذا من المتناقضات التي تحكم بالشيء وضده .

وللمرة الثانية يظهر الوحي فساد أدلتهم فيبين لهم الرسول ﷺ ان التوراة هي تنزيل من الله تعالى . وهي في علمه قليل ، آتاهم بها ما أن تعلموه انتفعوا به ويمكنوا عقولهم من المعرفة وحواسهم من استثمار خيرات الله الظاهرة والباطنة وتلا عليهم قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ﴾ (الآية) .

أراد اليهود في مناسبات متعددة أن يشككوا فيما أتى به الرسول ﷺ من آيات وخاصة تلك التي تمسهم من قريب أو من بعيد ، فقد مر بنا أنهم سعوا الى اظهار التناقض فيما تلاه الرسول ﷺ لما سأله عن الروح ليعلم الحاضرين وغيرهم أن علم الانسان لا يقارن بعلم الله ، وان الانسان مهما أوتي من علم فانه يبقى في حاجة الى مواصلة البحث والمثابرة ذلك أن العلم الانساني يسعى الى اكتشاف ما أودعه الله في الكون بجميع عناصره من أسرار تتمثل وظيفة العلم الانساني في الوقوف عليها وادراكها واستخدامها لما يعود عليه بالخير والبركة ومع ذلك فان ملك الله لا يعرف النهاية ونعمه لن يستطيع الانسان حصرها أو عدها ولكنه مطالب بالبحث عنها وباستثمارها ، وهكذا يبقى افق البحث مفتوحا امام الانسان فيسلم بأمرين : يتمثل أولهما في أن علم الله الكلي الأزلي لا يمكن أن يفنى أو أن ينتهي ، ومن هنا فان علم الانسان مهما كان فانه لن يستطيع ان يصل الى مستواه . اما ثاني الأمرين فيدعو الانسان الى التسليم بأن تقدم العلم البشري وتطوره رهين ما يبذله الفكر وما تحققة الآلة وانه كلما نمت المعرفة ازداد العلم البشري اتساعا وعمقا وقد يصل الى مراحل تجعله في عصر ما اكثر فهما واستخداما لما أودعه الله في الكائنات ولما حبا به عباده من نعم .

ولكن النظرة الضيقة جعلت اليهود يدعون انهم محور الوجود وان علمهم هو الحكمة وهو مصدر الخير ولذلك لم يتصوروا كيف ينزل الوحي ليقول لهم ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وعبروا عن عدم التصور هذا للرسول ﷺ وسعوا من

وراء ذلك الى تشكيك الصحابة رضي الله عنهم في الوحي . والى جانب سؤالهم عن الروح ومناقشتهم للوحي نراهم احيانا يسألون عن ماهية الروح ويتساءلون عن كيفية عذابها ليزيدوا الأمور تعقيدا والبحث تشعبا والعقول حيرة فهم يدركون ان الروح من الأمور الغيبية التي لا يستطيع العقل المجرد أن يبحث فيها دون الرجوع الى النص ، ولذلك أكثر اليهود من السؤال عن الروح بطريقة تعمدوا فيها اثاره الشبهات ، فقد أورد الطبري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود قالوا للنبي ﷺ أخبرنا ما الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من الله عز وجل . وضع اليهود هذه الاسئلة على الرسول ﷺ مترقين ان يصدر عنه عليه الصلاة والسلام جوابا ينطلقون منه لوضع مجموعة اخرى من الاسئلة حول كيفية حلول الروح في الجسد وخروجها منه وهل يمكن للجسد أن يعذب دون ان تكون الروح حالة به وإذا تعذر ذلك فهل يمكن للروح أن تنجو من العذاب المسلط وهي حالة به . واذا ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام ما يفيد أن الروح تعذب فانهم سيثيرون مجموعة من الاسئلة تتعلق هذه المرة بكيفية تعذيب الروح وهي كما نعلم من الله عز وجل . وهكذا يستطيعون ان يشغلوا المسلمين بقضايا شبيهة بتلك التي فرضوها على الفكر المسيحي عندما نشروا فيه قضية ماهية المسيح واتحاد الناسوت باللاهوت ، وما شابهها من قضايا صورية أدت بالمسيحية إلى أن تصبح ظلا لبعض الفلسفات اليونانية أو الطقوس الهندية .

ولما أجابهم الرسول ﷺ بقوله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ أَعْلَمَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قالوا له «من جاءك بهذا فقال لهم النبي ﷺ جاءني به جبريل من عند الله فقالوا : والله ما قاله الا عدولنا»^(١) .

لما أفسد الجواب النبوي على اليهود المخطط الذي أعدوه وأغلق أمامهم باب السؤال التشكيكي الذي يجعل العقل تائها والنفس حائرة ويساهم في هدر الطاقات البشرية ولما أصابهم من الجواب النبوي ما أصابهم جرحوا جبريل عليه السلام فادعوا

(١) الطبري : جامع البيان ١٥/١٠٤ .

انه عدوهم وأن بينهم وبينه خصومة فلا يمكن لاخباره أن تكون حجة لديهم لقد أرادوا ان يطفئوا نور الله ويشككوا في ملاك الوحي . فأنزل الله تعالى على نبيه قوله : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْحَبِيبِ فَلِإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

ظل اليهود ولايزالون ينشرون في الناس أنهم أبناء الله وأحباؤه وشعبه المختار حباهم بعلم لم يؤته غيرهم وميزهم في هذه الدنيا بأن خلق لهم ما على الأرض من نعم ومن بشر وأعد لهم في الآخرة الثواب الجزيل والجنة الخالدة وما لم يخلقه لغيرهم .

كانت لهم مواقف مع الرسول ﷺ في سبيل اظهار تفوقهم المعرفي ، ولكنهم عجزوا على بلوغ أهدافهم وتحقيق ما سطره ، فتوجهوا الى موضوع آخر عسى ان يجيهم الرسول ﷺ جوابا يستطيعون تأويله وتحميله ما لا يتحمل فينشرون في الناس أن محمدا ﷺ أفادهم بأن الله تعالى سوف لن يعذبهم إلا لأيام معدودات لا تزيد عن الاربعين ليلة وان هذا دليل على أنهم على صواب ومن سواهم على باطل . فقد أخرج الطبري (٢) من طريق عكرمة قال : خاصمت اليهود رسول الله ﷺ وأصحابه فقالوا : لن ندخل النار إلا أربعين ليلة وسيخلفنا اليها قوم آخرون : يعنون محمدا وأصحابه فقال رسول الله ﷺ بيده على رؤوسهم : بل أنتم خالدون مخلدون لا يخلفكم فيها أحد فأنزل الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمْسَنَ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذُمُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا قُلْ يَخْلَفُ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وبهذا المنهج القويم الذي يعتمد في أساسه على ربط الجزاء الأخروي بالتكليف وبالعمل وبالعدل ، بين الرسول ﷺ لليهود ولغيرهم ، بأن البشر سواسية عند الله تعالى من حيث الخلق والتكليف وأن الامتياز بينهم في الجزاء والأجر يقوم أساسا على الايمان ومدى صفائه ، والعمل ودرجة التقوى فيه ، والسلوك وما يتصف به من استقامة وما يحققه للفرد وللمجموعة من طمأنينة وتعاون وتكاتف وتقدم حضاري

(١) البقرة ٩٧ .

(٢) الطبري : جامع البيان ٣٠٢/١ - ٣٠٣ .

(٣) البقرة ٨٠ .

فلا أحد يستطيع الجزم في هذه الدنيا بأنه من أصحاب النعيم أو أن مدة بقائه بجحهم لا تتجاوز الأربعين ليلة أو ما شابهها، ومن يفعل ذلك فانه جاهل يفرض على الله تعالى ما يساير هواه وذلك من علامات الكفر والنفاق ومن كان ذلك شأنه فهو مخلد في النار.

لقد كان الرسول ﷺ عالما بمكر اليهود وبادعائهم الباطل وبسعيهم المستمر الى تشكيك المسلمين في الوحي بالطرق المتنوعة التي قد تصل الى دس السم للرسول ﷺ حتى يتخلصوا منه. وفي ظنهم أنهم يقضون بذلك على الدين الذي شاهدوا أثره في توحيد أهل المدينة ومن هاجر اليهم من مكة وأدركوا انه سيوحد لا محالة كامل الجزيرة العربية وكل الاقطار والأمصار التي سيصل اليها وذلك أمر لا تقبله كبرياؤهم ويناقض مصالحهم وخاصة المادية منها.

كان الرسول ﷺ يعلم قوة عداوة اليهود للدين ولخاتم النبيين فقد أعلمه الوحي بذلك. قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ إِنَّ مِنْهُمْ فِيسِيْنَ وَرَهْبَانًا أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (١).

وفعلا جرب اليهود القضاء على الرسول ﷺ بواسطة السم فدفعوا احدى نسايتهم الى أن تقدم له عليه الصلاة والسلام شاة مسمومة. وحمل الله تعالى رسوله الكريم الذي قال فيما رواه عنه أبو هريرة «اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود، فجمعوا له فقال: «إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟ فقالوا: نعم. قال لهم النبي ﷺ من أبوكم؟ قالوا: فلان. فقال: كذبتكم، بل أبوكم فلان. قالوا صدقت. قال: فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفت في أبينا. قال لهم: من أهل النار. قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها. فقال النبي ﷺ احسبوا فيها أبدا والله لانخلفكم فيها أبدا. ثم قال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه، فقالوا نعم يا أبا القاسم، قال: هل

جعلتم في هذه الشاة سماً، قالوا: نعم. قال: ما حملكم على ذلك. قالوا أردنا ان كنت كاذباً نستريح وان كنت نبياً لم يضر ك^(١).

بين هذا الحديث أن اليهود يتعمدون الكذب ويستخدمونه للترفع وهم يعلمون ان الرسول ﷺ سيفضحهم ويرد مقالاتهم فقد جربوا ذلك معه فكذبوا وهو يسمون أباهم الذي ينتسبون اليه ولكنهم لم يتخلوا عن الكذب عندما سئلوا عن مصيرهم يوم القيامة فعقدة التفوق عندهم أقوى من النفس اللوامة ومن التفكير المنطقي لذلك ادعوا باطلا انهم سوف لن يعذبوا الا قليلا وان غيرهم وخاصة خصومهم سوف يحلون محلهم في العذاب فتمتلئ بهم جهنم ويبقون خالدين فيها. ولما سئلوا السؤال الثالث لم يجدوا بدا من قول الحق والاعتراف بأنهم قدموا هذه الشاة المسمومة للرسول ﷺ ولكنهم قدموا تبريراً أرادوا به التمويه على العقول والتهرب من المسؤولية.

لقد قدموا انفسهم ابطالا يبحثون عن الحقيقة ويستخدمون في سبيل ذلك الحنكة والتجربة هم يعلمون حسب دعواهم ان الانبياء لا يضرهم السم، ولا تصل اليهم السهام والاسنة. فالواجب على الرسول ﷺ وعلى الصحابة رضي الله عنهم بالمفهوم اليهودي يقتضي منه ومنهم ان يشكروا اليهود وان يمدحوهم على فعلتهم التي أظهرت عن طريق التجربة ان محمداً ﷺ نبي الله والتي بينت للمسلمين ولغيرهم ان الله تعالى يعصم الانبياء من الناس فيحميهم من الشرور ويدفع عنهم الآفات.

هكذا قدم يهود خبير أنفسهم عالين متدبرين متفوقين، ولكنهم لم يؤمنوا بالذي تبين لهم صدقه، ولم يدخلوا في الدين الخفيف فأثبتوا بذلك أنهم كانوا يدبرون ويخططون ويتآمرون ويتفقون فيما بينهم على الجواب الذي يقدمونه اذا ما فشلت خططهم ووقعوا متلبسين بجريمتهم. فقد أوردت بعض روايات حديث الشاة المسمومة ان امرأة من يهود خبير أهدت للرسول ﷺ شاة مصلية فتناول منها وتناول منها بشر بن البراء ثم رفع النبي يده ثم قال: ان هذه تخبرني انها مسمومة. فمات بشر بن البراء

(١) خ ٥٨ الجزية والمواعدة / ٧.

فأرسل إليها النبي ﷺ: ما حملك على ما صنعت. فقالت: ان كنت نبيا لم يضرك
وان كنت ملكا أرحمت الناس منك^(١).

فجواب هذه اليهودية لا يختلف كثيرا عن جواب اليهود الذي ذكرته رواية البخاري، والجمع بين الروایتين يثبت أن اليهود خططوا ودبروا وكلفوا امرأة منهم بالتنفيذ، وقدموا لها الجواب المناسب الذي ظنوا انه ينجيها من العقاب بل لعل البعض من المسلمين يقف الى صفهم ويعترف لهم بالمعرفة والفضل وبعد النظر، فينسى فعلتهم النكراء واقدامهم على الغدر والخداع، ويحمد لهم ما وفروه لغير اليهود من دليل يعين على اظهار الحق وانتشار الاسلام. فهم بهذا المفهوم مساهمون مساهمة فعالة في انتصار الحق على الباطل، وفي تبليغ الرسالة الالهية. ومع ذلك فهم غير مطالبين باتباع محمد ﷺ ذلك أن دينهم هو الأصل وان جنسهم لا يكون تابعا هم يرشدون ويقودون ويهدون ويمكنون الأمم التي لا تستطيع الارتقاء الى مرتبتهم من تتبع الدين الذي يرضونه ويعلمون صدق صاحبه فهذه الامم في حاجة الى اليهود والى معرفتهم والى توجيهاتهم حق لا يقع افرادها في الضلال وحتى لا يتسلط عليهم المتقولون والمتنبئون. بهذا المنهج التسلطي والجدل التحكيمي أراد اليهود أن يبرروا كذبهم وغدرهم واعتداءهم على الرسول ﷺ وعلى صحابته رضي الله عنهم. ولكن الرسول الكريم بين للصحابة خطر اليهود على الدين الاسلامي، وعلى الافراد والجماعات المسلمة، وعلى الفكر الانساني بصفة عامة فهم يستخدمون شتى الطرق والوسائل لابرار تفوقهم وامتيازهم على العالمين. لقد جادلوا الرسول ﷺ والمسلمين في الحياة الدنيا واستخدموا في جدلهم كلمة الحق ولكنهم أرادوا بها الباطل وهم سيفعلون نفس الشيء في الدار الآخرة، فقد خرج البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري حديثا طويلا رفعه الى الرسول ﷺ يتعلق برؤية البشر لله تعالى يوم القيامة وجاء فيه حوار بين اليهود والملائكة. قال ﷺ: . . . فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزيز ابن الله فيقال لهم: كذبتم. ما اتخذ الله من صاحبة

(١) دي = المقدمة ١١.

ولا ولد، فماذا تبغون. فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا فيشار الا تردون فيحشرون الى النار^(١).

إن هذا الموقف من اليهود يصور المركبات التي تمكنت من أنفسهم وجعلتهم لا يتخلون عن حب الامتياز حتى وهم يعرضون على الحساب فقد قدموا انفسهم إلى الملائكة على أنهم كانوا يختلفون عن البشر المؤمنين الموحيين. فعبادتهم لابن الله كانوا حسب زعمهم أكثر قربا منه وأوسع معرفة اياه من غيرهم.

ولما ردت زعمهم الملائكة فذكرتهم بأنه تعالى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا لم يتوبوا ولم يستغفروا ولم يندموا على ما افتروه بل طالبوا بما يذهب عنهم العطش ويحميهم من الظمأ وغاب عنهم أنهم ظلموا أنفسهم وأن جزاءهم لن يكون الا النار. لم يتعظ اليهود بالأحداث التي وقعت لهم زمن الرسول ﷺ ولم يتخلوا عن سعيهم الظهور بمظهر العارفين الممتازين الذين لا يدانيهم في العلم احد ولا يستغني عن معارفهم بشر، ولا تفتح ابواب النبوة لمن سواهم الا اذا سمحوا هم بذلك. لقد ظلت هذه المركبات تسيطر على نفوسهم، وتولي عليهم تصرفاتهم مع البشر عامة والمسلمين منهم خاصة. فكم من يهودي سعى الى تلوين الاسلام بما يريده ويبتغيه، وكم من يهودي منى النفس بأن يرى المسلمين يأخذون عنه قصصه وتفسيره لبعض الوقائع وتأويله لبعض الآيات. وكم من يهودي منى النفس بأن يعجز علماء المسلمين بأسئلته وملاحظاته. فقد أخرج البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: سألت يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ قلت لا أدري، حتى أقدم على خبر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله اذا قال فعل^(٢) فهذا الحديث يصور ثلاثة مواقف وقفها يهودي وتابعي وصحابي جليل. أما اليهودي فقد بلغه ان القرآن الكريم قد قص قصة موسى عليه السلام منذ صدور الامر الفرعوني القاضي بتقتيل أبناء بني اسرائيل واستحياء نساءهم الى أن بلغ عليه

(١) خ ٦٥ تفسير سورة النساء: ٨.

(٢) خ ٥٢ الشهادات / ٢٨ ح ٥.

السلام رسالة ربه وترك امته على الدين الحق الذي ارتضاه لهم ربهم . علم اليهودي هذا الامر كما علم أن القرآن الكريم قد نزه الانبياء والرسل عن الاستمرار على الخطأ ، ولذلك لم يشر الى ما هو معلوم بالضرورة صدورهم عنهم عليهم السلام وقد أدرك الى جانب ذلك ان القرآن الكريم قد ذكر في قصة موسى عليه السلام اتصاله بشعيب وقول هذا الاخير له لما أراد ان يزوجه ابنته . ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمْنَيْنِ حَجَجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾^(١) (الآية).

ولكنه أراد بوضعه السؤال على أحد التابعين بلوغ امرين : يتمثل احدهما في بيان جهل المسلمين بقضايا كثيرة ومتعددة فمعرفتهم قليلة بالنسبة لمعرفة اليهود . ومرد ذلك هو النقص الموجود بالقرآن وهو نقص لا يمكن اكماله والتغلب عليه الا بفضل التوراة ، وهكذا سعى اليهود قديما وحديثا الى التأكيد على أن القرآن في حاجة ماسة الى التوراة فهو قراءة جديدة قام بها محمد ﷺ حسب دعواهم للتوراة . وهذه القراءة كانت سلبية في بعض الاحيان لذلك هي في حاجة الى اليهود والى أحبارهم .

أما الأمر الثاني الذي مني هذا اليهودي نفسه ببلوغه فيتمثل في تسجيل خطأ قد يصدر عن التابعي سعيد بن جبير فيحمل على القول والتمحل فيقال حينئذ ان اخبار الاسلام هي ترسانة من الأكاذيب والأباطيل التي نشأت منذ عصر الرسول ﷺ ، واستمرت في التضخم والتكاثر فالأيام لم تزدها الا انتشارا ، والأحداث لم تستطع ايقافها او الحد منها ، بل قدمت لها الظروف المناسبة لتصبح حقائق تبنى عليها الأحكام والتوجيهات وأسس السلوك .

أراد هذا اليهودي بسؤاله أن يحقق احد الامرين أو كليهما ولكن موقف سعيد ابن جبير أفسد عليه مخططة وحرمه من تحقيق مأربه . فقد كان موقف المسلم الذي تربى في مدرسة الصحابة الميامين الذين علموا المسلمين ضرورة التثبت في السنة

النبوية وخطر تفسير القرآن الكريم بالأدلة العقلية المجردة التي لا تقوم على نص نقلي أو برهان مستمد من الثوابت التي أتى بها القرآن الكريم والسنة المطهرة.

أظهر موقف سعيد بن جبير ان المسلمين في عصر الصحابة رضي الله عنهم وفي أوساط عامة التابعين لم يكونوا يسمحون لأنفسهم بالتقول على الرسول ﷺ . فقد بلغهم عنه عليه الصلاة والسلام قوله «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»^(١) كما بلغهم ان القرآن الكريم مهيمن على ما قبله وان به ختم الدين واكملت نعم الله على عباده الصالحين وان الله تعالى حفظه من التحريف والزيف وهي أمور لم تتوفر للكتب المتقدمة .

ولذلك لم يتقول هذا التابعي ولم يقل في القرآن برأيه المجرد كما أنه لم يسلم لهذا اليهودي بالتفوق فلم يطلب منه افادته بما هو موجود في التوراة أو في غيرها من كتب اليهود لأنه يدرك ان اليهود قد يكذبون وقد يصدقون، قد يكتمون وقد يوحون، ألم تصدر عنهم المواقف المتناقضة، ألم يسعوا الى التضليل . فإلى جانب ما حكاه القرآن الكريم عن طريقة تعاملهم مع النصوص المنزلة تواترت الاخبار عن كتمهم اخبار التوراة تارة وتبديلها تارة اخرى فقد روى ان مروان بن الحكم بن العاص قال لبوابه اذهب يا رافع الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل^(٢) معذبا لعذبتنا أجمعين؟ فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه انما دعا النبي ﷺ يهودا فسألهم عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فأروه ان قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتبناهم . ثم قرأ ابن عباس (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى قَوْلِهِ: يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا)^(٣) .

كان ابن جبير على بينة من المركبات التي تحرك اليهود فلم يجب سائله ولم

(١) خ ٢ علم / ٣٨ ح ٢ .

(٢) اشارة الى قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣ آل عمران ١٨٨) .

(٣) خ ٦٥ تفسير ال عمران ١٦ ح ٢ .

يطلب منه التوضيح والبيان واكتفى «بلا ادري» التي عدها بعض العلماء نصف العلم اذا كانت دافعا للطلب وأصلا للبحث ووسيلة للمعرفة المبنية على ما يشبه اليقين. أجاب ابن جبير سائله بلا أدري وصمم على الذهاب الى حبر الامة الذي دعا له الرسول ﷺ فقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» وهكذا أقدم هذا التابعي الجليل على عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وسأله ووجد عنده الجواب المعلن والتأويل المبني على كليات الشريعة وأصولها وخاصة ما اتصف به الأنبياء والرسل عليهم السلام من أنهم يحولون أقوالهم أفعالا.

وهذا تتضح الدوافع التي حركت اليهود في حوارهم الجدلي مع الرسول ﷺ فاذا هي لا تخرج عما ركب فيهم من عقد نفسية جعلتهم يؤمنون بأنهم شعب الله المختار وبأن معرفتهم لا تدانيها معرفة وأن الناس جميعا قد خلقوا ليكونوا في خدمتهم وتحت سلطتهم فإذا ما سمحوا لأحد بأن يكون ملكا كان واذا ما أباحوا له بأن يصير نبيا صار. وإذا ما سلموا بصدق شخص أو خبر فواجب على الناس أن يصدقوا به وأن يعملوا بمقتضاه اذا ما صدر عنهم ما يفيد ذلك.

وأما الوسائل التي استخدموها لتحقيق دوافعهم فهي كثيرة ومتنوعة بينت لنا الأحاديث التي نقلت حوارهم مع الرسول ﷺ جانبا مهما منها. وهو المتمثل في السعي الى السيطرة على ما يتعارض مع مصلحتهم فالحقيقة في نظرهم متحركة تابعة للأهواء وفي خدمة الأغراض والمنافع. وحتى يظهر الرسول ﷺ تحملهم وانانيتهم، وحتى يفسد عليهم مخططاتهم كان عليه الصلاة والسلام يتجنب اطالة الحوار الجدلي معهم فيجيبهم بآية بيّنة أو بدليل قاطع فيسد أمامهم باب القيل والقال. والسؤال الذي فيه مغالطة وهو الى جانب ذلك يعمق في المؤمنين ايمانهم بوحداية الله تعالى وقدرته وحكمته ولطفه بعباده الذين أنعم عليهم نعمًا ظاهرة وباطنة من أهمها: وأجلها نعمتا العقل والنبوة. وهكذا حمى الرسول ﷺ العقيدة الاسلامية من السلبية ومن التحول الى مجموعة من النظريات المجردة التي لا يمكن تنزيلها الى الواقع العملي او استخدامها لتعديل السلوك البشري فلم يترك الرسول ﷺ اليهود ينعمون بفرحة الانتصار إذ كان يجيبهم بطريقة

فيها من الایجاز والاعجاز الشيء الكثير فيظهر تهافت أدلتهم ومخالفتها الى جانب قوة أدلته ونفاذها الى العقل لما اتسمت به من رفق في القول وبلاغة في التعبير وارتباط بالحياة وبما جبلت عليه النفس البشرية .

الفصل الثاني———— الحوار التشريعي

من خصائص الاسلام انه أتى ليتم الدين الالهي الذي ظهر منذ أنزل الله تعالى آدم على الأرض. فتكاثر أبنائه وأعلمهم الله تعالى أنه خلقهم لعمارته وأنه كلفهم باستثمار نعمه الظاهرة والباطنة وأنه سخر لهم ما في الكون من ارض وبحر وفضاء. فما عليهم إلا عبادته وطاعته وطلب العلم وانجاز العمل وبناء الحضارة الانسانية في نطاق ما حدده لهم من حدود وما ضبطه لهم من تشريعات، وما وهبهم اياه من اجهزة وقدرات، وما حباهم به من فضل ولطف لما بعث الرسل ليخرجوهم من الضلالة وليخلصوا الحقيقة من الزيغ والانحراف كلما اختلطت السبل وتسلط الهوى على العقيدة والشريعة.

واقتضت حكمته تعالى أن تحتم النبوات برسالة محمد عليه السلام. فلا عجب إذا قيل إن الاسلام مهيمن على ما جاء قبله أي مشتمل على ما شرعه الله تعالى لعباده منذ بعث أول رسول لهم، ما لم تتعلق ارادته سبحانه وتعالى بنسخه أو بتعديله، ولهذا السبب طلب الرسول ﷺ من اليهود أن يقيموا على مرتكبي الذنوب منهم الحدود الواردة في التوراة وان يتعدوا عن التحريف والهوى وترك شرع الله الى تشريع مصدره المصالح المتغيرة. فقد خرج الامام البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أتى رسول الله ﷺ بيهودي ويهودية قد أحدثا جميعا. فقال لهم ما تجدون في كتابكم؟ قالوا: إن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتجبية. قال عبدالله بن سلام: ادعهم يا رسول الله بالتوراة. فأتي بها فوضع أحدهم يده على آية الرجم، وجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له ابن سلام: ارفع

يدك. فإذا آية الرجم تحت يده. فأمر بهما رسول ﷺ فرجما قال ابن عمر فرجما عند البلاط. فرأيت اليهودي أجنأ عليها^(١).

تخريج الحديث:

خرج الامام البخاري هذا الحديث مرة ثانية في كتاب الحدود^(٢) وثالثة في كتاب التفسير^(٣) ورابعة في كتاب التوحيد^(٤). وخرجه مختصرا في كتاب الجنائز^(٥) فلم يرد هناك الحوار الذي دار بينه عليه الصلاة والسلام وبين اليهود. وخرجه الامام مالك في الموطأ عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما^(٦).

وخرج الامام مسلم الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين اليهود حول رجم الزاني في كتاب الحدود بخمسة طرق أحدها مركب ورد في اسناده تحويل^(٧) وخرج الحديث أيضا أبو داود في كتاب الحدود بتسعة طرق الأخيران منها فيهما ارسال^(٨) كما خرجه أحمد بن حنبل^(٩) وابن ماجه^(١٠) والترمذي^(١١) والنسائي^(١٢) والدارمي^(١٣) فهو من الأحاديث المتفق عليها.

(١) خ. ٨٦ حدود/ ٢٤ - الرجم في البلاط

(٢) م. س. ٨٦. حدود/ ٣٨ أحكام أهل الذمة واحصانهم اذا زنوا ووقعوا الى الامام.

(٣) م. س. ٦٥ تفسير/ سورة آل عمران.

(٤) م. س. ٩٧ توحيد/ ٥١ ح ٢.

(٥) خ. ٢٣ جنائز/ ٦١ ح ٢.

(٦) ط. ٤١ حدود ١ ما جاء في الرجم.

(٧) ٢٩ حدود ٦ ح ١٦٩٩.

(٨) د. ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٤٤٦ الى ٤٤٥٤.

(٩) حم ٢٨٦/٤.

(١٠) ج. ٢٠ حدود ١٠ ح ٢٥٥٨.

(١١) ت. ١٥ حدود ١٠ ح ١٤٣٦+١٤٣٧.

(١٢) ن رجم نقلا عن عمدة القارئ ١٤٧/٤.

(١٣) دي ١٣ حدود ١٥.

سلاسل الاسناد وخصائصها:

استخدم البخاري في تخريج هذا الحديث أربع سلاسل في المواضع الخمسة التي أورده فيها فقد استخدم سلسلة واحدة في كتابي التفسير والجنائز.

وتكونت هذه السلاسل من أربعة عشر رجلا فيهم صحابي واحد هو عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما الذي رفع الحديث الى الرسول ﷺ وأخذه عنه اثنان من التابعين هما نافع مولى ابن عمر وعبدالله بن دينار وعنهما أخذ مالك وسليمان وأيوب وموسى بن عقبة. وعن هؤلاء تلقاه شيوخ شيوخ البخاري والبعض من شيوخه كاسماعيل بن عبدالله وخالد بن مخلد القطواني الكوفي الذي رواه عنه البخاري بواسطة محمد بن عثمان. روى عنه في مواضع بلا واسطة^(١). وهكذا يتضح أن البخاري كانت له في هذا الحديث سلسلة ذات اسناد عال بالنسبة للسلاسل الأخرى التي نقله بواسطتها. وهذه السلسلة هي التي روى بها الحديث عن شيخه اسماعيل بن عبدالله الذي قال حدثني مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر. ومن الملاحظ أن يحيى بن يحيى الليثي قال في روايته للموطأ حدثنا مالك بصيغة الجمع^(٢). أما أسانيد مسلم وأصحاب السنن فقد ذكرت أن الحديث رفعه الى الرسول ﷺ مع عبدالله بن عمر كل من البراء بن عازب^(٣) وأبي هريرة^(٤) وجابر بن عبدالله^(٥) وجابر بن سمرة^(٦).

ألفاظ الحديث:

اتفقت روايات الحديث على أن أمر الزنا الذي اقترفه يهودي ويهودية في المدينة

(١) العيني ١١/١٥٢.

(٢) ط ٤١ حدود ١.

(٣) م ٢٩ حدود ٦ ح ٢٨ (١٧٠٠)، د. ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٤٤٧-٤٤٤٨. جه ٢٠ حدود ١ ح ٢٥٥٨، حم ٢٨٦/٤.

(٤) د. ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٤٥١.

(٥) د. ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٤٥٢.

(٦) ت ١٥ حدود ١٠ ح ١٤٣٧.

المنورة بلغ أمره الى الرسول ﷺ ، وأنه كان مصدرا لحوار دار بين الرسول ﷺ وبعض الصحابة من جهة وبين اليهود وبعض أحبارهم من جهة أخرى . كما اتفقت الروايات على نتيجة هذا الحوار المتمثلة في اقامة حد الرجم على اليهودي واليهودية الزانين . والمتتبع لألفاظ الحديث برواياته المختلفة يستطيع أن يتناول القضايا الآتية عند تحليل ألفاظه والمقارنة بينها .

اطلاع الرسول ﷺ على أمر الزانين

جاء في روايات أن الرسول ﷺ قد رفع إليه أمر الزانين دون تعيين الشخص أو الجماعة الذين قاموا بذلك . فالرسول ﷺ أتى بيهودي ويهودية قد أحدثا جميعاً^(١) وفسر بعضهم لفظة أحدثا : فقال : «معناه زنيا . من أحدث إذا زنى^(٢) . وأشار البعض الآخر الى أن معنى «أحدثا» فعلا أمرا فاحشا»^(٣) حدده وبينه الحديث فحصره في الزنى دون غيره . وحددت روايات أخرى صفة الذين رفعوا الأمر الى الرسول ﷺ فذكرت أن اليهود هم الذين فعلوا ذلك . وتفاوتت ألفاظ هذه الروايات في بيان الدوافع التي جعلت اليهود يحكمون الرسول في اصدار حكم على من زنا منهم . ففي حين لم تتعرض روايات البخاري لهذه القضية بينت رواية أبي هريرة أن اليهود قد توجهوا الى الرسول ﷺ بحثا عن التيسير في الحكم . فقالوا إنه (الرسول ﷺ) نبي بعث بالتخفيف ، فان افتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله^(٤) .

وحددت رواية أن الرجل الزاني هو من فذك ، وأن أهله كتبوا إلى ناس من اليهود بالمدينة : أن سلوا محمدا عن ذلك . فإن أمركم بالجلد فخذوه ، وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه^(٥) .

(١) خ ٨٦ حدود ٢٤ .

(٢) العيني ١١/١٥٣ .

(٣) ابن حجر : ١٢/١٠٧ .

(٤) د . ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٤٥٠ .

(٥) القرطبي : أحكام القرآن ٦/١٧٦ .

فهذه الرواية تتفق مع سابقتها في أن اليهود لم يحكموا الرسول ﷺ في الزانيين الا بحثا عن التيسير. فهم يشترطون في الأخذ بما يحكم به أن يكون مسائرا لما هم عليه أو دونه من حيث الشدة.

وجاء في رواية أن نفرا من اليهود قد قدم على الرسول ﷺ ودعاه الى ان يتحول معهم الى مكان بالمدينة يسمى القف^(١).

فهذه المجموعة من الروايات تذكر أن اليهود هم الذين رفعوا للرسول ﷺ أمر الزانيين وأنهم طلبوا منه أن يبين لهم الحكم المناسب. ولكن روايات أخرى ذكرت أن الرسول ﷺ هو الذي طلب من اليهود أن يبينوا له حكم الزاني المحصن الوارد في التوراة ذلك أنه عليه الصلاة والسلام شاهد اليهود يقيمون حدا على يهودي فسألهم أهذا هو حد الزنى في التوراة؟

فقد جاء في رواية البراء بن عازب أنه مرَّ على النبي ﷺ بيهودي محمما مجلودا فدعاهم ﷺ فقال: أهكذا تجدون حد الزنى في كتابكم؟^(٢).

وجاء في إحدى روايات أبي داود عن البراء بن عازب أيضا: مروا على رسول الله ﷺ بيهودي قد حُم وجهه.

فقد ذكرت هذه الروايات أن اليهود لم يرفعوا أمر الزاني والزانية الى الرسول ﷺ بل أقاموا على الزاني الحد حسب الطريقة المتبعة لديهم والتي لا تصل الى الرجم، حتى ولو كان الزاني محصنا. ولكن الرسول ﷺ عندما شاهد ذلك حاورهم ليظهر الحكم الصحيح الوارد في التوراة وليطبقه على الجاني.

مكان الحوار:

لم تشر روايات البخاري الى المكان الذي دار فيه الحوار بين الرسول ﷺ وبين

(١) د. ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٤٤٩.

(٢) م. ٢٩ حدود ٦ ح ١٧٠٠. د. ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٤٤٨ ط٤ جه. ٢٠ حدود ١٠ ح ٢٥٥٨،

حم ٢٨٦/٤.

اليهود حول حكم الرجم . ولكن رواية مسلم^(١) للحديث عن ابن عمر رضي عنهما اشارت إلى أن الرسول ﷺ قد تحول من مكان الى آخر ليحاوّر اليهود في هذه القضية فقد ورد فيها : « فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء يهود . فاليهود في هذه الرواية لم يرفعوا أمر الزانيين الى الرسول ﷺ فغيرهم هو الذي فعل ذلك . والرسول ﷺ قد تحول اليهم بنفسه حين بلغه الخبر .

وجاء في رواية : ابن عمر عن أبي الدرداء^(٢) ان اليهود قد أتوا الرسول ﷺ ودعوه الى القف وانه تحول معهم الى بيت المدراس أي المكان الذي كانت تحفظ فيه التوراة وتدرس . وان اليهود قد وضعوا لرسول الله ﷺ وسادة فجلس عليها قبل أن يبدأ الحوار .

أطراف الحوار :

بتتبع الحوار الوارد في روايات حديث البحث عن حكم الزنا في التوراة يتبين أن المشاركين فيه هم الرسول ﷺ ، وكان الى جانبه عبدالله بن سلام الذي دخل في الحوار بصفة مباشرة وساهم إلى حد بعيد في تعرية اليهود وبيان جحودهم آية الرجم الواردة في التوراة . وجاء في بعض الروايات أن الحوار قد بدأ والرسول ﷺ في المسجد بين أصحابه ثم إنه عليه الصلاة والسلام انتقل بعد ذلك الى بيت مدارسهم وهناك تواصل الحوار^(٣) .

أما اليهود المشاركون في الحديث فيمكن تصنيفهم الى صنفين :

أ- الصنف الأول : جماعة من عامة اليهود أتوا الرسول ﷺ أو أرسلوا اليه من قبل أحبارهم . فقد جاء في رواية لأبي داود اجتمع أحبار اليهود فبعثوا قوما الى رسول الله ﷺ . فالأحبار وقد رفع اليهم أمر الزاني والزانية لم يصدروا الحكم ، ولم يتحولوا

(١) م ، ٢٩ حدود ٦ ح ١٦٩٩ .

(٢) د . ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٤٤٩ .

(٣) انظر : د . ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٥٠ جاء فيه : فأتوا النبي ﷺ وهو جالس في المسجد في أصحابه فقالوا يا أبا القاسم . فلم يكلمهم حتى أتى بيت مدارسهم .

هم الى الرسول ﷺ ليسألوه، وإنما أرسلوا جماعة منهم الى الرسول ﷺ عليه يصدر حكما أيسر مما هو موجود عندهم، أو لادراكهم أنهم أهل ذمة وأن واجبهم يفرض عليهم رفع القضايا المهمة الى المسؤول الأول عن المدينة المنورة وهو النبي ﷺ، أو لعلمهم أرادوا فتنه المسلمين وتشكيكهم في الجانب التشريعي الذي يطبقه الرسول ﷺ فهم يمتنون النفس بأن يتبع الرسول ﷺ ما هم عليه من تحريف.

ب - الصنف الثاني: ويمتاز أصحابه الذين ذكرهم الحديث بالعلم والمعرفة. فبعض الروايات قد ذكرت أن الرسول ﷺ دعا رجلا من علماء اليهود، أو طلب منهم أن يبعثوا أحد علمائهم ليتولى قراءة ما بالتوراة أو تقديم الجواب عن اسئلة الرسول ﷺ. وجاء في رواية أن اليهود هم الذين أحالوا الرسول ﷺ على رجل منهم.

وجاء في بعض الروايات وصف للشخص الذي تولى قراءة التوراة أو الجواب على أسئلته ﷺ ومن هذه الصفات أن الرجل هو ممن يرضون، وأنه أعور^(١) وهو من الذين يدرسون التوراة^(٢) وأنه فتى شاب^(٣) وأنه من علمائهم^(٤) وذكرت إحدى الروايات أن الرسول ﷺ قال لليهود اثنوني بأعلم رجلين منكم فأتوه بابني صوريا^(٥).

وأخيرا اكتفت بعض الروايات بأن أحد اليهود قد تقدم لقراءة التوراة وما يمكن للباحث أن يستنتجه أن الرسول ﷺ عمل على أن يمنع اليهود من اتهام القارئ منهم أو المحاور من أنه من جهلتهم أو الذين لا يستطيعون البحث في التوراة أو نقل ما عليه اليهود من تشريع يتعلق بقضية الزنا. ولذلك حاور من يرضى اليهود بعلمه ومعرفته. وذلك بحضور الخاصة منهم والعامه. وهكذا لا يستطيعون بعد ذلك رد الحكم الذي سيصدره عليه الصلاة والسلام أو القدح فيه أو الانطلاق من هذه الحادثة لزرع الفتنة والتقول.

(١) خ ٩٧ توحيد ٥١ ح ٢

(٢) (م، س) ٦٥ تفسير ال عمران ٦.

(٣) د ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٤٤٩.

(٤) (م، س) ح ٤٤٤٨.

(٥) (م، س) ح ٤٤٥٢.

مضمون الحوار أ - أسئلة الرسول ﷺ

لما طالب اليهود من الرسول ﷺ أن يبين لهم حكم الزاني والزانية وجه لهم عليه الصلاة والسلام سؤالاً جاء بالفاظ متفاوتة ، فذكرت الروايات الصيغ التالية لسؤال الرسول ﷺ :

كيف تفعلون بمن زنى منكم ؟ .
ما تجدون في كتابكم .
ما تجدون في التوراة في شأن الرجم . في شأن الزنا على من زنا
هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ .

وذكرت بعض الروايات ان الرسول ﷺ ناشد اليهود وهو يسألهم فلما مروا عليه ﷺ بيهودي قد حمى وجهه وهو يطاف به ناشدهم ما حد الزاني في كتابهم^(١) وجاء ذكر المناشدة في أغلب الروايات التي ورد فيها أن الرسول ﷺ قد طلب من اليهود أن يأتوه برجل من علمائهم .

وهناك مجموعة من الروايات ورد فيها السؤال بصيغة انكارية جاء فيها أن الرسول ﷺ قد شاهد اليهود يقيمون الحد على الزاني بطريقة فيها من التمثل والاعتداء على أحكام الله المنزلة الشيء الكثير ، فلما مر عليه الصلاة والسلام بيهودي محمم مجلود قال : « هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم^(١) ؟ وفي رواية ابن ماجه هكذا تجدون في كتابكم حد الزاني^(٢) ؟

(١) م - ٢٩ حدود ٦-١٧٠٠ ، حم ٤/٢٨٦ .

(٢) جـ ٢٠ حدود ١٠ ح ٢٥٥٨ .

وهكذا يتضح أن التفاوت في الألفاظ التي حملت السؤال النبوي الموجه لليهود في قضية الزاني والزانية يمكن الباحث من استنتاج موقفين وقفهما الرسول ﷺ، ويتمثل أولهما في أنه عليه الصلاة والسلام أراد أن يجعلهم يقرون ويسلمون بأن حكم الزاني المحصن موجود في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام.

وقال الشراح إن معرفة الرسول ﷺ هذه مصدرها إما وحي أو بعض اليهود الذين دخلوا الاسلام^(١).

أما ثانيهما فيفيد أن الرسول ﷺ، وقد علم ما أقدم عليه اليهود من تغيير وتحريف للحكم الالهي، أراد أن يبين لهم أن شرع الله محفوظ وأن سلوكهم مفضوح وأنهم لن يستطيعوا أن يطفثوا نور الله ولن يفلحوا في تلاعبهم بالأحكام.

وعلى كل فالسؤال النبوي بالألفاظ المختلفة لا يفيد أنه عليه الصلاة والسلام كان يريد تقليدهم أو معرفة الحكم منهم، وإنما هو لالزامهم بما يعتقدونه في كتابهم^(٢).

أجوبة اليهود:

يمكن تقسيم أجوبة اليهود عن أسئلة الرسول ﷺ الموجهة اليهم حول حد الزاني والزانية الى مجموعتين:

المجموعة الأولى: وتضم جواب اليهود الذين حضروا الواقعة والذين لم تصفهم الأحاديث بأنهم من العلماء أو من الأخبار. لقد كان في جواب هؤلاء تأكيد على أن التوراة لم تأت برجم الزاني. فقد أجابوا عن سؤال الرسول ﷺ: لا تجدون في التوراة الرجم؟ بلا نجد فيها شيئا^(٣).

(١) انظر عمدة القاري ١٤٨/٤.

(٢) م. س. ١٤٨/٤.

(٣) خ ٦٥ تفسير آل عمران/٦.

وجاءت أجوبة اليهود في روايات مؤكدة ان ما بالتوراة هو ما عليه التشريع اليهودي في حكم الزاني وهو المتمثل في التحميم والتجبيه والجلد.

فلما قال الرسول ﷺ لليهود ما تجدون في التوراة على من زنى؟ قالوا نسود وجوهها ونحملها ونخالف بين وجوهها ويطاف بهما^(١).

ومن الملاحظ أن وصف الطريقة التي كان اليهود يقيمون بها الحد على الزانية والزاني قد ورد بالألفاظ ذكر بعضها أن اليهود قالوا للرسول ﷺ أن الرجل والمرأة اذا زنيا فإننا نحممهما ونضربهما^(٢).

وقال الشراح نحممهما أي نسكب عليهما الماء الحميم. وقيل نجعل في وجوههما الحمة أي السواد^(٣) ذلك ان الحمم هو الفحم^(٤).
قال ابن الأثير: الحمة وجمعها: حمم^(٥).

وجاء في بعض الروايات نحملها مكان نحممها^(٦) فدل على أن الزاني والزانية يجعلان على شيء مرتفع ليظهرها. وعينت بعض الروايات هذا الشيء فذكرت أنه الجمل. فقد حلت لفظة نجلها مكان نحملها أو نحممها.

والألفاظ نحممها ونحملها ونجلها تشترك في الدلالة على أن الزاني والزانية يكونان ظاهرين للعيان ومعروفين بطريقة لا تسمح لهما بالاختفاء أو الاختلاط بالحاضرين، وهي وسيلة من وسائل الفضح التي ذكرتها أجوبة بعض اليهود في وصف عقاب الزاني والزانية^(٧).

وجاء في بعض الروايات لفظة نسخم وجوهها والتسخيم والتحميم بمعنى

(١) م ٢٩ حدود ٦ ح ١٦٩٨.

(٢) خ ٦٥ تفسير آل عمران/ ٦.

(٣) ابن حجر: فتح ٨/ ١٨٠.

(٤) العيني: عمدة ١١/ ٥٢٥.

(٥) ابن الأثير: منال الطالب في شرح طوال الغرائب ١٢٥.

(٦) م ٢٩ حدود ٦ ح ١٦٩٨.

(٧) انظر خ ٩٧ توحيد ٥١ ح ٢.

واحد، قال ابن حجر تحميم الوجه اي يصب عليه ماء حار مخلوط بالرماد والمراد تسخين لوجهه بالحميم وهو الفحم^(١).

والى جانب الحمل والتحميم ذكرت أجوبة اليهود، التي وصفت العقوبة المسلطة على الزانيين، الطواف بهما وتجييهما. والتجيه من جبهت الرجل اذا قابلته بما يكره: من الاغلاظ في القول. ويفيد أيضا الاركاب منكوسا. قال عياض: «المراد بالتجيه» حمل الزاني والزانية على دابة مخالفين وجوهها^(٢).

ومن معاني التجيه وضع اليدين على الركبتين فيصير المفعول به ذلك كالراكم، وأضاف الفارابي الى ركوع من سلط عليه التجيه، تعرية جسمه من اللباس.

وهكذا يتضح أن عقوبة الزاني عند اليهود فيها تشهير بصاحبها واذلال له وإيلام جسدي ونفسي. ولكنها لا تصل الى حد الرجم الذي دلت الاجوبة الواردة في هذه المجموعة على أن المسؤولين سعوا الى جحد وروده في التوراة، وقد وصل الأمر ببعضهم الى وضع يده على آية الرجم حتى لا يراها الرسول ﷺ. فلما طلب عبدالله ابن سلام من الرسول ﷺ أن يدعو اليهود الذين أنكروا وجود حكم الرجم في كتابهم وقالوا: ان أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتجيه حتى يأتوا بالتوراة فلما حصل ذلك وضع «أحدهم يده على آية الرجم وجعل يقرأ ما قبلها»^(٣).

وعينت رواية الدارمي هذا الذي كلف بقراءة التوراة فوضع يده على آية الرجم فذكرت أنه القائم بتدريسها. جاء في هذه الرواية: فجاءوا بالتوراة فوضع مدارسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم^(٤) فهذه الرواية تبين أن من بين اليهود من كان مختصا في قراءة التوراة وفهمها ومعرفة مواطن الآيات والأحكام فيها وأن هؤلاء كانوا يبيحون لنفسهم اخفاء الأحكام وتبديلها ليحكموا بغير ما أمر الله

(١) ابن حجر: فتح ١٠٧/١٢.

(٢) انظر ابن حجر: فتح ١٠٨/١٢.

(٣) خ: ٨٦ حدود ٢٤. د: ٣٢ حدود ٢٦/٤٤٤٦.

(٤) دي ١٣ حدود ١٥.

تعالى فهم من الذين أضاف اليهم القرآن الظلم والكفر والفسق في قوله تعالى :
﴿وَمَنْ لَّا يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١) وفي قوله : ﴿وَمَنْ لَّا يَحْكَمْ بِمَا
أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢) وفي قوله : ﴿وَمَنْ لَّا يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ﴾^(٣).

المجموعة الثانية :

وتضم أجوبة أفراد من اليهود وصفوا بأنهم من العلماء وكان الرسول ﷺ قد ناشدهم، وطلب منهم أن يبينوا حكم الزاني الوارد في التوراة. لقد جاءت أجوبة هؤلاء مؤكدة أن حكم الزاني المحصن الوارد في التوراة هو الرجم. ولكن الظروف والدوافع البشرية هي التي جعلت أحبار اليهود يتركون الحكم الالهي ويعدلون به الى حكم آخر، فلما أتى الرسول ﷺ بابني سوريا على أنها أعلم رجلين فيهم نشدهما ﷺ وقال: كيف تجدان أمر هذين (الزاني والزانية) في التوراة فقالا: نجد في التوراة اذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة رجما^(٤).

وجاء في رواية ابن ماجه ان الرسول ﷺ دعا رجلا من علماء اليهود. فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني؟ قال: لا. ولولا انك نشدتني لم أخبرك نجد حد الزاني في كتابنا الرجم^(٥).

فهل الرجل المعني هنا هو أحد ابني سوريا، أم هو رجل آخر توجه إليه الرسول ﷺ بالسؤال والمناشدة كما توجه الى ابني سوريا. لم يشر الشراح الى ذلك، ولم يقدموا ما يمكن الباحث من اختيار أحد الجوابين ولكن الذي يطمئن اليه الباحث هو أن الرسول ﷺ قد توجه بأسئلته التي أراد من ورائها أن يبين لليهود ولغيرهم أن بعض المتسلطين قد غيروا وبدلوا حكم الله تعالى المنزل على موسى عليه السلام،

(١) و٢١٣) المائدة ٤٤. ٤٥. ٤٦.

(٤) د. ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٤٥٢.

(٥) ج ٢٠ حدود ١٠ ح ٢٥٥٨.

وأن محمدا ﷺ بعث لآحياء ما أماته هؤلاء، وليترك في الناس مصدرين لن يضلوا ما أخذوا بهما واتبعوا أحكامهما، وساروا على هديهما وأنه عليه الصلاة والسلام قد هيا الظروف المناسبة التي تمكنه من حمل بعض العلماء اليهود على الاصداع بالحقيقة فتوجه بالسؤال والمناشدة الى ابني سوريا والى مدرس التوراة، والى الفتى التي اشتهر بين قومه بالعلم، فاعترفوا في الملأ الذي حضر المجلس أن الرجم موجود في التوراة وأن بعض الظروف أدت بالأخبار الى التبديل والتغيير. ووصفت بعض الروايات الدوافع التي كانت سببا في تبديل حكم التوراة في الزنى بحكم آخر وضعي.

جاء في رواية لأبي داود أن الرجل من اليهود الذي نشده الرسول ﷺ بالله حتى يجيب على سؤال وجود الرجم في التوراة قال بعد أن اعترف بوجود هذا الحد: ولكنه [الزنى] كثر في اشرافنا. فكنا إذا أخذنا الرجل الشريف تركناه وإذا أخذنا الرجل الضعيف أقمنا عليه الحد. فقلنا: تعالوا فنجتمع على شيء نقيم على الشريف والضعيف، فاجتمعنا على التحميم والجلد وتركنا الرجم^(١).

فالذي دفع اليهود الى تبديل الحكم المنزل حسب هذه الرواية هو السعي الى ايجاد نوع من العدالة الوضعية لتمكين طبقة معينة من ممارسة الخطيئة. ذلك ان الاشراف وهم الذين كانوا في المجتمع اليهودي أصحاب القرار ومصدر القوانين أملوا على الإخبار ان يخففوا عليهم حد الزنا - وحتى يظهر الاخرون أنفسهم بمظهر يبدو فيه عدل ومساواة خففوا حد الزنا، فنزلوا به من الرجم الى التحميم والتجبيه والجلد وغيرها من الممارسات التي يسهل التفاوت في تطبيقها من شخص الى آخر.

فالتحميم مثلا يمكن الزاني الغني وذا الجاه من النجاة من العقاب بفضل ماله أو سلطته يضلل الناس فيجعل أحد الاتباع أو المأجورين يحل مكانه في تحمل العقاب إن وقع.

والى جانب هذا التعليل ذكرت رواية لأبي داود عن جابر بن عبد الله أن ابني سوريا أكدا وجود الرجم في التوراة ثم قالوا للرسول ﷺ لما سألهما «فما يمنعكما أن

(١) د. ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٤٤٨.

ترجموها: «ذهب سلطاننا فكرهنا القتل»^(١). وهكذا يتضح أن أجوبة اليهود عن وجود الرجم في التوراة تنوعت الى نوعين:

النوع الأول:

جاء على لسان العامة وبعض القائلين على شؤون التوراة وانكر وجود الرجم في النص المنزل على موسى عليه السلام ولم يكن هذا الانكار مبنيًا على جهل بالنسبة لبعضهم بل هو مقترن بالجحود والسعي الى طمس الحقيقة وتمثل ذلك في وضع يد القارئ على آية الرجم.

النوع الثاني:

جاء على لسان بعض الخاصة الذين نشدهم الرسول ﷺ ونبه أنفسهم اللوامة فأثبتوا وجود الرجم في التوراة وبينوا أنه ترك نتيجة لعوامل اجتماعية ولضعف الرجال الساهرين على تطبيق الشريعة المنزلة على موسى عليه السلام.

ولمقاومة الظاهرتين وأمثالهما بعث محمد ﷺ ليخلص الحقيقة من الخيال وليترك في الناس مصدرين لا يضل من اتبعهما ولن يستطيع أحد طمس ما بهما من تشريع وبيان وتوجيهات.

لقد انتهى هذا الحوار التشريعي الذي دار بين الرسول ﷺ وبين اليهود باحياء شريعة موسى عليه السلام وبتطبيق حكم الله تعالى في الزاني. فلما ظهرت الحقيقة للحاضرين وتأكد الرسول ﷺ من أنه أقام الحجة والبرهان على اليهود وأحبارهم وعلمائهم، أمر بالزانيين فرجا عند البلاط وذكرت بعض الروايات أنه عليه الصلاة والسلام قال: «اللهم إني أول من أحيى ما أمانوا من كتابك»^(٢).

(١) د. ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٤٥٢ .
(٢) م. حدود ١٧٠٠ . د. ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٤٤٧ .

المباحث:

تضمنت ألفاظ الحديث قضايا متعددة سعت هذه الدراسة الى جمع ما تشابه منها وضم بعضها الى بعض فتكون من ذلك مبحثان محور أولهما اجتماعي سياسي تربوي . أما محور ثانيهما فتشريعي يهتم ببعض الأحكام التي استنبطها الفقهاء من هذا الحديث .

الجوانب السياسية والاجتماعية والتربوية

أكد الحديث برواياته المتعددة أن الرسول ﷺ أمر بـرجم اليهودي واليهودية اللذين ارتكبا جريمة الزنا وأن اليهود الحاضرين بجميع أصنافهم ودرجاتهم العلمية والاجتماعية قد قبلوا الحكم النبوي ولم يعارضوه . جاء في رواية البخاري : فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما . قال ابن عمر فرجما عند البلاط فرأيت اليهودي أجناً عليها^(١) .

لقد تقبل كل سكان المدينة الحكم الذي أصدره الرسول ﷺ وشارك في تطبيقه جانب مهم من سكان المدينة . فمتى وقعت الحادثة ، وهل كان اليهود وقتها يقبلون الأحكام التي يصدرها الرسول ﷺ وما السلطة التي كانت تحملهم على ذلك القبول . تناول الشراح هذه القضايا وأضافوا إليها البحث في مصدر الحكم على اليهودي واليهودية الزانين وتطرقوا الى قضية الاحصان وهل الاسلام شرط من شروطها . وقد يبدو كلام الشراح في هذه القضايا متداخلا وستسعى هذه الدراسة إلى توضيحه وبيانه وإضافة ما أمكنها من تحليل وتعليل .

(١) خ ٨٦ حدود . ٢٤ الرجم في البلاط .

توقيت القضية :

لم يتفق شراح الحديث على تحديد الفترة الزمنية التي وقعت فيها هذه القضية ويعود ذلك الى أن ألفاظ الحديث جاءت بعبارات يفهم منها أن الحادثة قد تكررت في أوقات مختلفة . فقد ذكر بعضها أن الرسول ﷺ لما قدم المدينة أتاه اليهود . . واستنتج بعضهم من ذلك أن الحادثة وقعت بعد الهجرة بقليل . أي أن هذا الحكم قد صدر عن الرسول ﷺ قبل أن يصيح الاسلام مهاب الجانب في المدينة المنورة . ورفض بعض الشراح أن يكون اللفظ لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه اليهود دالا على الفور . ودعم هؤلاء رفضهم بما ورد في بعض طرق الحديث من أن اليهود تحاكموا اليه عليه الصلاة والسلام وهو في المسجد بين أصحابه . وبما أن المسجد لم يكتمل بناؤه إلا بعد مدة من دخوله ﷺ المدينة ، فلا دليل على أن الحادثة وقعت فور هجرة الرسول الى المدينة المنورة .

ولما تناول العلماء القضية من جانب فقهي وأثاروا مصدر الحكم النبوي فيها استنتجوا أن اليهودي واليهودية لا يمكن أن يكونا أهل ذمة ، فهما أهل حرب أي أن الحادثة وقعت بعد بداية الصراع المسلح بين المسلمين واليهود ودعم هؤلاء ما ذهبوا اليه بما نقله ابن العربي عن الطبري ، والثعلبي عن المفسرين قالوا : انطلق قوم من قريظة والنضير منهم كعب بن الاشرف وكعب بن أسد ، وسعيد بن عمرو ، ومالك ابن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق ، وشاس بن قيس ويوسف بن عازوراء . فسألوا النبي ﷺ ، وكان رجل وامرأة من اشراف أهل خيبر زنيا واسم المرأة بسرة وكانت خيبر يومئذ حرباً^(١) .

وأخيرا ذهب ابن حجر الى أن الحادثة وقعت بعد فتح مكة . ذلك أن حديث عبدالله بن الحارث بن جزء أشار الى أنه حضر ما دار بين الرسول ﷺ واليهود في أمر الزاني والزانية ، وبما أن عبدالله هذا إنما قدم مع أبيه مسلما بعد فتح مكة^(٢) فالحادثة لا يمكن التسليم بوقوعها قبل الفتح اللهم الا اذا قيل إنها تكررت .

(١) ابن حجر: فتح ١٢/١٤١ . انظر أيضا عمدة القاري ١٨/١٤٧ .

(٢) ابن حجر: فتح ١٢/١٤٤ .

وهكذا يتضح ان الشراح لم يجمعوا على تعيين الوقت الذي حدثت فيه هذه القضية فاعتمداهم على بعض الألفاظ الواردة في الروايات وتتبعهم لأخبار بعض الرواة جعلهم يقدمون تواريخ متباعدة، فهناك من قال بأن الواقعة حدثت بعد الهجرة بقليل، وهناك من أخرها الى ما بعد فتح مكة .

ولتحرير هذه القضية يجدر بنا التعرف على الوقت الذي أصبحت فيه للمسلمين سلطة تمكنهم من تطبيق ما يصدر عن الرسول ﷺ من أحكام على سكان المدينة المنورة، كما يجدر بنا تتبع الآيات المنزلة في الزنا والأحكام التي طبقت على الذين اقترفوا هذا الذنب .

سلطة الرسول ﷺ بالمدينة المنورة :

يرتبط بحثنا في هذه القضية بما اجمعت عليه روايات الحديث بألفاظه المتعددة من أن الرسول ﷺ قد أمر برجم الزاني والزانية من اليهود، وأن أمره ذاك قد طبق، ولم يجد معارضا من احبار اليهود أو عامتهم، فدل ذلك على أن اليهود عند صدور الحكم النبوي بما لم يكونوا يحبون لم يستطيعوا توقيف تنفيذه ولا تبديله، كما أنهم لم يسعوا الى فرض ما كانوا عليه من تحريف للنصوص المنزلة . وهذا يعني أن السلطة الفعلية لتطبيق الاحكام لم تكن بأيديهم، وأنهم كانوا عاجزين عن معصية الرسول ﷺ في تطبيق ما هو مقرر شرعا فهل كانت لرسول الله ﷺ مثل هذه السلطة منذ حلوله بالمدينة أم أن أمرها قد تأخر إلى ما بعد فتح مكة .

سلطة الرسول ﷺ عند حلوله بالمدينة المنورة :

ذكرت أغلب المصادر التي اهتمت بالمغازي والسير أن الرسول ﷺ لما حل بالمدينة المنورة كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار لتنظيم العلاقات بينهم، كما كتب كتابا آخر بين المسلمين واليهود. وذهب الدكتور أكرم ضياء العمري الى أن وثيقة

موادعة اليهود قد كتبت قبل موقعة بدر الكبرى^(١) واعتمد في ذلك على ما قاله أبو عبيد القاسم بن سلام من أن الوثيقة كتبت حدثان مقدم الرسول ﷺ المدينة، قبل أن يظهر الاسلام ويقوى. وقبل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب، كما اعتمد العمري ما قاله البلاذري: «قالوا وكان رسول الله ﷺ عند قدومه المدينة وادع يهودها، وكتب بينه وبينهم كتابا واشترط عليهم أن لا يمالئوا عدوه وأن ينصروه على دهمه وأن لا يقاتل عن أهل الذمة، فلم يحارب أحدا ولم يهجمه، ولم يبعث سرية حتى أنزل الله عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾».

وسواء كتبت المعاهدة قبل بدر الكبرى أو بعدها بقليل فهي تفيد أن سلطة الرسول ﷺ وقت كتابتها كانت تعتمد الاقتناع والسعي إلى بناء علاقات طبيعية بين سكان المدينة دون أن تفقد أية مجموعة مميزاتها أو ما كانت تتمتع به من نفوذ.

ومع أن الرسول قد هادن اليهود وضبط في المعاهدة التي عقدها بين المسلمين وبينهم حقوقهم وواجباتهم، وأشعرهم بأنهم يمثلون أقلية تتمتع بأحكامها الخاصة إلا أنهم استمروا يناصبونه العداء ويمارسونه في الخفاء تارة ويظهرونه كلما توفرت لهم الفرص.

روى البيهقي وغيره عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لما قدم الرسول ﷺ وأصحابه المدينة أو تهم الأنصار رمتهم العرب واليهود عن قوس واحد وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة وصاحوا بهم من كل جانب حتى كان المسلمون لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا فيه فقالوا: ترى نعيش حتى نبني مطمئين لا نخاف إلا الله عز وجل^(٢).

ففي هذه الفترة لا يمكن القول بأن اليهود كانوا يقبلون حكما بالرجم يصدره الرسول ﷺ على أحدهم ولو كان ذلك موجودا في التوراة. فالعداوة التي كانوا يكتنونها

(١) العمري: المجتمع المدني في عهد النبوة ١١٢-١١٣.

(٢) الامام محمد بن يوسف الصالحى الشامى: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٩/٤.

للمسلمين عامة وللرسول ﷺ خاصة تمنعهم من التسليم للرسول ﷺ بما ينزله على أفرادهم من حكم .

ان المسلمين في هذه الفترة لم يكونوا على درجة من القوة تمكنهم من اصدار الاحكام وتطبيقها، فقد ذكرت الاخبار أن اليهود والمشركون من أهل المدينة كانوا يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه . فأمرهم الله تبارك وتعالى بالصبر والعفو والصفح . قال تعالى : ﴿ لَسَلَوْنَ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيْرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾^(١)

وروى أبو داود عن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه قال : وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون والمشركون يعبدون الاوثان واليهود وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه^(٢) .

فاليهود في العهد الأول من حلول الرسول ﷺ بالمدينة كانت تتنازعهم قوتان : تدفعهم الأولى إلى أن يقبلوا الوافدين الجدد عساهم يعودون على فلاحتهم وتجارتهم وصناعتهم وما ركب فيهم من حب التفوق على الآخرين بالخير وعناصر القوة .

أما الثانية فكانت تدعوهم إلى أن يكونوا بالمرصاد لصاحب الرسالة حتى لا يتركوه يقيم الدليل والبرهان على أنه نبي مرسل ، لذلك كانوا كثيرا ما يسألونه كما مر في الحوار الجدلي أسئلة تزرع الشك في النفوس .

وجاء في احدى روايات هذا الحديث أن اليهود لما سألوا الرسول ﷺ عن حكم الزانية والزاني كانوا يطمعون في أن يأتي جوابه دالا على أنه ملك من الملوك ، ولو لم تجمع الروايات على أن الرسول ﷺ قد نفذ في الزانيين حكم الرجم لأمكن القول بأن القضية قد وقعت في الفترة التي كان اليهود يشعرون فيها بأنهم في مركز

(١) آل عمران ١٨٦ .

(٢) د . ١٤ الخراج والامارة والفية ٢٢/ ح ٣٠٠٠ .

القوة وبأن الاسئلة التي يوجهونها الى الرسول ﷺ لا يمكنها أن تخضعهم لما يصدر عنه من حكم أو قرار.

سلطة الرسول ﷺ بعد غزوة بدر:

لما اطمأن الرسول ﷺ بالمدينة واستقر به القرار وأقر الله عينه بألفة المهاجرين والأنصار، وأعز جنده باجتماع الكلمة والدار اذن الله له في الانتقام من أعدائه، والانتصار، فعقد ﷺ الألوية وجهز السرايا وشن الغارات^(١).

يمكن القول بأن التهيؤ للحرب واعداد القوة لها بدا بعد الهجرة بقليل، ففي السنة الأولى للهجرة بنى ﷺ مسجده ومساكنه وكتب الكتاب بين المهاجرين والأنصار، ووادع اليهود وشرط عليهم ولهم؛ وفي الثانية أمر زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود ليكتب لهم ويقرأ له كتبهم وفيها أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾^(٢) وفيها وقعت غزوة بدر الكبرى وبعدها بدأ اليهود ينقضون العهد الذي عاهدوا رسول الله ﷺ. واذاك قامت الحروب بينهم وبين المسلمين وهزموا فيها واخرجوا من قراهم تارة والتزموا بالعيش تحت الاسلام تارة أخرى.

ففي هذه الفترة صار الرسول ﷺ قادرا على أن يقيم الحدود على اليهود دون أن تكون لهم القدرة المادية على التحدي ورفض ما أنزله الله تعالى على الأنبياء والمرسلين.

وهكذا يمكن للباحث أن يطمئن الى ما ذهب اليه مالك من أن الزانيين من اليهود كانوا أهل حرب، فالحادثة قد وقعت بعد خير. ولعل بعضهم يثير قضية طريقة اطلاع الرسول ﷺ على أمر الزانيين، ويذكر بأن بعض الروايات أوردت أن اليهود هم أنفسهم الذين رفعوا الامر الى الرسول ﷺ في حين أنه جاء في البعض الآخر أن

(١) عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري: بهجة المحافل وبغية الأماثل ١٦٦/١.

(٢) ٤ - النساء ١٠٥.

الرسول ﷺ قد اطلع هو على أمر الزانين . فالمجموعة الأولى لا تدعم القول بأن اليهود الذي وقعت معهم الحادثة كانوا أهل حرب .

ان هذا الاعتراض يكون مقبولا لو أن القوم الذين تعامل معهم الرسول ﷺ كانوا غير اليهود ، أما وقد وصفت عداوة اليهود للاسلام والمسلمين بالنص المنزل والاخبار المتواترة فإن الأقرب إلى الصواب التسليم بأن اليهود لن يقبلوا تطبيق الرسول ﷺ لحكم على أحد افرادهم إلا إذا كانوا مغلوبين على أمرهم .

وتزداد هذه الملاحظة قوة اذا اضفنا اليها ما قاله بعض العلماء :

١ - قال أبو الوليد الباجي وهو يفسر رواية مالك لحديث الزاني والزانية من اليهود ورهبانهم^(١) فالذين رفعوا القضية الى الرسول ﷺ هم الذين أسند اليهم القضاء بين اليهود وتطبيق الشريعة المنزلة .

٢ - قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عند تفسير الآية ٤١ من سورة المائدة : واحسب أن التجاء اليهود الى تحكيم الرسول ﷺ في ذلك ليس لأنهم يصدقون برسالته ولا لأنهم يعدون حكمه ترجيحاً في اختلافهم ، ولكن لأنهم يعدونه ولي الامر في تلك الجهة وما يتبعها ولهم في قواعد أعمالهم وتقادير اخبارهم أن يطيعوا ولاية الحكم عليهم من غير أهل ملتهم^(٢) .

فالأخبار والرهبان كانوا عند رفع القضية الى الرسول ﷺ يسلمون بأنه صاحب الأمر الواجب تطبيق ما يصدر عنه من أحكام وجدت عندهم وفي أصولهم ، أو لم توجد . ولم يصبح الأخبار والرهبان على هذه الدرجة من التسليم والطاعة إلا بعد غزوة خيبر .

٣ - جاء في الرواية التي نقلها ابن العربي عن الطبري والثعلبي أن القوم الذين أتوا الرسول ﷺ كانوا من قريظة والنضير وأنهم سألوه عن حكم رجل وامرأة من اشراف خيبر زنيا ثم ذكر الخبر أن خيبر كانت حينئذ حرباً^(٣) .

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير ١٩٦/٧ .

(٢) انظر ابن حجر: فتح ١٤١/١٢ .

٤ - استدل مالك رضي الله عنه على أن الزانين كانا أهل حرب بالسؤال الذي وجهه الرسول ﷺ لليهود على حد الزاني في التوراة ، قال مالك ولو كانا أهل ذمة لم يسألهم كيف الحكم فيهم: ^(١)

والخلاصة فإن قبول اليهود الحكم الصادر عن الرسول ﷺ وتنفيذه دون مقاومة يهودية لفظية كانت أم مادية يثبت أن الحادثة وقعت واليهود قد انكسرت شوكتهم ، ومع ذلك فالرسول ﷺ يحاورهم ويبين لهم أنه أتى ليطبق شريعة الله المنزلة فهو قد أحيا شرعا ورد في التوراة وأماته اليهود.

لم يلجأ الرسول ﷺ الى منطق القوة الذي يلزم المغلوب قبول سلطة المنتصر دون توضيح أو بيان . لقد علمه ربه أن الجدال بالأحسن والمدارة أبدا مندوب إليها . وكان عليه السلام مع الأمر بالقتال يوادع اليهود ويدارهم ويصفح عن المنافقين ^(٢) .

وهذه الحادثة أكبر دليل على ذلك فإنه عليه الصلاة والسلام لم ينفذ في اليهوديين حكم الرجم إلا بعد أن أقام على اليهود الحجة والبرهان فلم يستطيعوا أن يشككوا في صواب الحكم كما أنهم لم يقدرُوا على منع تنفيذه .

الجانب التشريعي

مصدر حكم رجم الزانية والزاني اليهوديين :
أ - التوراة :

تناول الشراح بالبحث مصدر الحكم الذي نُفذ في الزانية والزاني اليهوديين ، فقال بعضهم ان الرسول ﷺ قد استمده من التوراة وطبقه على اليهود لئلزمهم بأحكامها . فبعد أن ذكر العيني المذاهب الفقهية في شروط الإحصان والأدلة التي اعتمدها بعضهم ليبين أن الاسلام ليس شرطا من شروطه معتمدين في ذلك على

(١) العيني : عمدة ١٨ / ١٤٧ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٣٠٤ .

رجمه ﷺ لليهودي واليهودية قال: إن الحكم الذي أصدره الرسول ﷺ كان بحكم التوراة قبل آية الجلد، في أول ما دخل عليه الصلاة والسلام المدينة وصار منسوخا بها ثم نسخ الجلد في حق المحصن. والكافر ليس بمحصن وهو قول علي وابن عباس وابن عمر ومالك^(١).

فالعيني يرى أن الرسول ﷺ قد نفذ في اليهودي واليهودية حكم التوراة قبل أن ينسخ بآية ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾. أما اليوم فإن الزاني والزانية من اليهود لا يرجان إذا طبق فيهما حكم الاسلام لأن الرجم الذي جاءت به السنة خاص بالمسلمين، أما غيرهم فيطبق فيهم الحكم العام الذي جاء في القرآن الكريم.

ان ما ذكره العيني أكده قبله الكاساني الذي بين أن زنا الكافر لا يساوي زنا المسلم الذي اختص زناه بمزيد قبح اذا ما قورن بزنا الكافر^(٢).

وبعد ذلك علل الكاساني رجم الرسول ﷺ لليهودي واليهودية فقال: اما حديث رجم اليهوديين فيحتمل انه كان قبل نزول آية الجلد فانتسخ بها ويحتمل انه كان بعد نزولها، ونسخ خبر الواحد أهون من نسخ الكتاب العزيز^(٣).

فالكاساني يقرر أن الرسول ﷺ قد استمد حكمه من التوراة. وأن هذا الحكم قد نسخ بعد ذلك ولا يمكن تطبيقه على اليهود الذين يحتكمون الى المسلمين، ذلك أن الله تعالى أنزل بعد ذلك آية الجلد عامة وأمر الرسول ﷺ بأن يحكم بين الكافرين بما أنزل الله.

ان عموم آية الجلد التي ذهب اليه الكاساني وغيره قد عارضه بعض الائمة، فقالوا انها خاصة بالمسلمين. اما اليهود وغيرهم فيمكن أن نحكم بينهم ويمكن أن لا نحكم. قال أبو عبيد القاسم بن سلام نقلا عن ابراهيم النخعي والشعبي: فاذا

(١) العيني ١٣٣/٨.

(٢) ر. الكاساني: بدائع الصنائع ٤١٦١/٩.

(٣) الكاساني ٤١٦٢/٩.

ارتفع أهل الكتاب الى الحكام المسلمين، فان شاء الحاكم حكم بينهم وان شاء أعرض عنهم. فان حكم بينهم حكم بما في كتاب الله عز وجل^(١).

فالحاكم اذا اعرض عن المتحاكمين إليه من أهل الكتاب يعطل حكم الله تعالى في الزانية والزاني الوارد في سورة الشورى وانما رأى أن هذا الحكم خاص بالمسلمين وهذا ما كان عليه الامام مالك لما قال ان جلد المائة انما هو في حد الزاني والزانية اذا كانا مسلمين حرين غير محصنين، فيخرج منها الكفار الذين يردون الى أهل دينهم ويخرج منها العبد والأمة والمحصن والمحصنة^(٢).

إن ما ذهب اليه مالك لا يربط بين وقت نزول آية الجلد وبين الرجم الذي نفذه الرسول ﷺ في اليهودي واليهودية الزانيين فيجوز أن تكون هذه الحادثة وقعت قبل نزول الآية أو بعدها. فحكمه ﷺ ليس من حكم الاسلام في شيء وإنما هو من باب تنفيذ الحكم عليهم بما في كتابهم فإن في التوراة الرجم على المحصن وغير المحصن^(٣).

وبعد أن أكد القائلون بأن مصدر الحكم الذي أصدره الرسول ﷺ والقاضي برجم اليهوديين الزانيين هو التوراة بحثوا في الطريقة التي اطلع بها الرسول ﷺ على هذا الحكم، فارجعوها الى أحد أمرين: الوحي، أو النقل عن التوراة بواسطة قد تكون متمثلة في بعض اليهود الذين أسلموا وخاصة عبدالله ابن سلام^(٤).

قال الباجي فيما نقله عنه ابن حجر يحتمل أن يكون علم بالوحي أن حكم الرجم فيها (التوراة) ثابت على ما شرع، لم يلحقه تبديل، ويحتمل أن يكون علم ذلك باخبار عبدالله بن سلام وغيره ممن أسلم منهم على وجه حصل له به العلم بصحة نقلهم، ويحتمل أن يكون إنما سألهم عن ذلك ليعلم ما عندهم فيه. والخلاصة فإن الذين قالوا بأن مصدر حكم الرسول ﷺ في

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام: الناسخ والمنسوخ. ١٨٠.

(٢) الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل ٥٨/٣.

(٣) ابن حجر: فتح الباري ١٢/١٧٠.

(٤) انظر المنتقى للباجي ١٣٣/٧.

اليهوديين هو التوراة قد انطلقوا من ألفاظ بعض الروايات التي ذكرت أن الرسول ﷺ قال: اني أحكم بما في التوراة^(١). «اللهم إني أول من أحيا ما أماتوا من كتابك»^(٢).

ب - الشريعة الاسلامية

رفض الخطابي أن يكون الرسول ﷺ قد استمد حكم الزانية والزاني اليهوديين من التوراة ذلك أنه لا يجوز أن يقيم الحجة عليهم بما لا يراه في شرعه مع قوله تعالى: ﴿وَأَن آحْكُم بِتَنهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾^(٣) فاليهود قد جاؤوا الى الرسول ﷺ سائلين عن حكم عنده كما دلت عليه بعض روايات الحديث. فالجائز هنا يتمثل في أن يبين لهم أن شريعته تحكم على الزاني المحصن بالرجم، وهي مطابقة لحكم وارد في التوراة، ولكنهم جحدوه وبدلوه، فحاورهم وناشدهم ودفعهم الى التسليم بوجود الرجم في التوراة وجعلهم يقرون بالأسباب التي دفعتهم إلى التبديل والجحود.

فالرسول حين سأل اليهود عن حكم الزاني في التوراة لم يكن يتربص منهم جوابا وإنما يريد منهم اقرارا وتسليما. ذكر العيني ما ذهب اليه بعض العلماء في قوله «لا تجدون في التوراة الرجم؟» من أن هذا السؤال ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم، وإنما هو لالزامهم بما يعتقدون في كتابهم^(٤) ويمجد هذا القول دعما في رواية أبي حاتم من طريق مجاهد: أن اليهود استفتوا رسول الله ﷺ في الزانيين فأفتاهم بالرجم، فأنكروه. فأمرهم أن يأتوا بأحبارهم فناشدتهم فكتموه الا رجلا من أصاغرهم أعور قال كذبوك يا رسول الله في التوراة^(٥) أي في التوراة حكم الرجم.

فالرسول ﷺ حسب هذه الرواية قد حكم بالرجم على الزانيين، فأنكر اليهود حكمه ورفضوه لأنه جاء متشددا حسب رأيهم، ولم يساير ما هم عليه من تحريف

(١) انظر م. س.

(٢) د. ٣٢ حدود ٢٦ ح ٤٤٤٧ وانظر أيضا م ٢٩ حدود ١٧٠٠ وجه: حدود ٢٥٥٨.

(٣) ابن حجر: فتح ١٤٣/١٢.

(٤) العيني: عمدة القاري ١٤٨/٤.

(٥) ابن حجر: فتح الباري ١٤٢/١٢.

وجحد، وحتى يقيم عليهم الحجة والبرهان طالبهم عليه الصلاة والسلام بقراءة التوراة.

فالرسول ﷺ قد أسس حكمه على الشريعة الاسلامية ودعمه بما علم أنه موجود في التوراة.

ومجدد الباحث أن يدرس حكم الزنا قبل الاسلام وأن يبحث في الآيات والأحاديث التي ورد فيها حد من حدوده حتى يستطيع بعد ذلك التوفيق بين القولين المتقدمين أو ترجيح أحدهما على الآخر.

حكم الزنا في القوانين الوضعية :

ذهب القانون الروماني الى أن جريمة الزنا لا ترتكبها الا المرأة فهي الوحيدة التي يسلط عليها زوجها العقوبة التي يراها بعد أن يعقد لها محاكمة عائلية . وكانت عقوبة النفي هي أغلب العقوبات التي يصدرها الأزواج على زوجاتهم الزانيات .

وفي عهد الامبراطور أغسطس صدر قانون ينظم المحاكمة على جريمة الزنا، فأعطى الزوج والولد حق رفع دعوى الزنا في ظرف الستين يوما التالية للطلاق وبعد هذا الأجل تصبح الدعوى عامة لكل فرد من أفراد الأسرة وسلط قانون أغسطس العقاب على الزانية والزاني وجعله السجن في مكان منعزل . وفي عهد الامبراطور قسطنطين أصبحت عقوبة الزنا الاعدام . وخص أقارب الزوجة المقربين بحق رفع دعوى الزنا دون غيرهم . وعدلت عقوبة الزنا في عهد جوستينيان ، فأصبحت الاعدام بالنسبة للشريك والضرب بالسياط والسجن في أحد الأديرة بالنسبة للمرأة .

وهكذا يتضح أن القانون الروماني القديم قد حكم بالقتل والسجن والنفي في الزنا وانه لم يسو في العقوبة بين الزانية والزاني .

حكم الزنا في التوراة المنزلة

أثبت الحديث الذي نحن بصدده أن الرسول ﷺ قد أظهر لليهود النص

التوراتي الذي جاء فيه حكم الرجم على الزانية والزاني .

جاء في سفر التثنية (٢٢) : « إذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان . وإذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فاضطجع معها فوجدا يُعطي الرجل الذي اضطجع معها لأبي الفتاة خمسين من الفضة . وتكون هي له زوجة ولا يقدر أن يطلقها كل أيامه ^(١) .

وروي عن أبي هريرة أن آية الرجم الواردة في التوراة تفيد أن المحصن والمحصنة اذا زنيا فقامت عليهما البيئة رجما وإن كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها ^(٢) .

فالنصان المتقدمان يتفقان على أن ما جاء في التوراة يقضي بقتل الزاني والزانية المحصنين وأما حكم غير المحصنين أو من زنى بغير مخطوبة أو محصنة ، فان عقابه يتمثل في دفع غرامة مالية .

حكم الزنا في القرآن والسنة :

جاءت في القرآن آيات بينت للمسلمين حد الزانية والزاني . وعلى طريقة القرآن الكريم تدرج هذا الحكم مسائرا الحياة العامة للمسلمين ليصل الى الحكم الذي ختمت به الشريعة الاسلامية الأحكام الالهية المنزلة .

وأول الآيات نزولا في الزنا وحده قول الله تعالى : ﴿ وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥ ﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَعَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝١٦ ﴾ ^(٣)

وآخر الآيات فيه نزولا هي قوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ

(١) نقلا عن التحرير والتنوير ٢٧٣/٤ .

(٢) ابن حجر: فتح : ١٢/١٤٢ .

(٣) النساء ١٦/١٥

مِنْهُمَا مَأْتَةٌ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

وهناك آيات وأحاديث تعين الباحث والمتدبر للأحداث التي جددت في عصر النبوة منصلة بالزنا وحده وهي :

أ - قوله تعالى المنسوخ تلاوة والمثبت حكما، كما صح ذلك عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الشيخ والشيخه اذا زنيا فارجموهما البتة ^(١).

ب - قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ ^(٢).

ج - ما رواه عبادة بن الصامت من أن النبي ﷺ كان اذا نزل عليه الوحي نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم . فلما سرى عنه رفع رأسه فقال : قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب ، والبكر بالبكر ، أما الثيب فتجلد ثم ترجم وأما البكر فتجلد ثم تنفى .

د) الحدود التي أقامها الرسول ﷺ على الذين ثبت لديه انهم وقعوا في هذا الذنب كالغامدية وماعرز والعسيب .

وحرى بالباحث أن يرتب هذه الآيات من حيث النزول ، والحدود من حيث التنفيذ ليستطيع بعد ذلك الترجيح بين من قالوا إن التوراة هي المصدر الذي استمد منه الرسول ﷺ حكم اليهوديين الزانين ، وبين الذين أكدوا أنه ﷺ أصدر تشريعا اسلاميا مستقلا عن التوراة . وأن غاية ما في الأمر أنه أقام الحجة والبرهان على اليهود وأحبارهم بما هو في القرآن ^(٤).

والمتتبع لما قاله المفسرون في أول ما نزل من آيات حكم الزانية والزاني يلاحظ

(١) النور ٢.

(٢) الشنقيطي : أضواء البيان ١/ ٣٧٦.

(٣) آل عمران ٢٣.

(٤) الطبري : جامع البيان ٨/ ٧٦.

أن بعضهم ميز بين حد الزانية وحد الزاني فالأولى تحبس في البيت لا تخرج منه حتى تموت. وخصص بعضهم البيت فقال أن المراد به البيوت التي يعينها ولاية الأمور لذلك^(١).

أما الثاني فيسلط عليه الأذى بالقول. ورفض البعض الآخر هذا التفريق في العقوبة للذنب الواحد، وقالوا إن الحكم الوارد في الآية الثانية قد نسخ الحكم المذكور في الأولى فقد كانت عقوبة الزنا الامساك في البيوت ثم نسخ ذلك بالأذى المذكور بعد هذا^(٢) وذهب بعضهم إلى أن الامساك خاص بالنساء والأذى عام جاء في المدونة الكبرى قلت لعبدالله بن عبدالعزيز فقول الله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ﴾ (الآية) قال كان هذا أول عقوبة الزنا، كانت المرأة تحبس ويؤذيان جميعا بالقول والشتيمة فأنزل الله في سورة النور الزانية والزاني (الآية)^(٣).

فالحكمان الواردان في هذه الآية أسهل من الرجم الوارد في التوراة. ولم تذكر كتب الحديث والتفسير والسير التي وصلتنا أن الرسول ﷺ قد أقامه قال الشيخ ابن عاشور ولم أقف على وقوع العمل بهاتين الآيتين قبل نسخهما^(٤).

لقد فهم المسلمون أن آيتي النساء تهيتان الى غاية أي الى حكم آخر سوف ينزله الله تعالى ويجعل فيه سبيلا لمن أذنب فزنا وهو ما يفهم من حديث عبادة بن الصامت^(٥).

اجمع المفسرون على أن آية النور قد نسخت آيتي النساء وأنها أتت بتوحيد العقاب بطريقة محكمة قال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن ذكر آيتي النساء: ونزلت هذه الآيات قبل أن تنزل سورة النور فنسختها هذه الآية: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي

(١) ابن عاشور: ٢٧١/٤.

(٢) الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل ١٣٤/١.

(٣) ابو غانم الخراساني الأباضي: المدونة الكبرى ٢٧٨/٢.

(٤) ابن عاشور: ٢٧٠/٤.

(٥) النص «ج» ص ٦٨.

فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً ﴿١﴾ ثم قال فالسبيل الذي جعله الله عز وجل لمن الجلد والرجم^(١) وذكر الشيخ الطاهر ابن عاشور أن أول سورة النساء نزل قبل سورة النور التي أنزلها الله تعالى على نبيه سنة ست بعد غزوة المصطلق على الصحيح^(٢). مما تقدم يستطيع الباحث أن يستنتج أن الرسول ﷺ لما أصدر حكمه على اليهودي واليهودية كان لديه حكمان إسلاميان أنزلهما الله تعالى عليه وقد نسخ أحدهما الآخر. وإذا أضفنا الآية المنسوخة تلاوة والثابتة حكما والتي جاء فيها حكم الرجم للشيخ والشيخة إذا زنيا^(٣) أدركنا أن اليهود كانوا على علم بأن الرسول ﷺ كان لديه أحكام ثلاثة في الزنا وأن واحدا منها وهو الرجم موجود عندهم في التوراة ولذلك حكموه عساه يطبق في الزانيين أخف الأحكام. ولذلك جاء في بعض الروايات أنهم قالوا لبعضهم: اذهبوا بنا إلى محمد، فانه بعث بالتخفيف فإن أفتى بالجلد دون الرجم قبلنا واحتجنا بها عند الله وقلنا فتيا نبي من أنبيائك^(٤).

وفهم الرسول ﷺ مقصدهم وأدرك أنهم يبحثون عن أمرين التفريق بين رسل الله تعالى، وفتح باب التغير في أحكام الشريعة الإسلامية فالحاكم له أن يختار الحكم المناسب للقضية الواحدة التي نزلت فيها أحكام نسخ بعضها بعضا. فهم يذهبون إلى أنه لا نسخ وأن الأمر يعود إلى اختيار هذا الحكم أو ذاك وغاب عنهم أن الرسول ﷺ والمسلمين يؤمنون بما نزل على كل الرسل ويدركون أن الأحكام الثابتة المنزلة على موسى عليه السلام هي أحكام للمسلمين. قال مالك: إن شريعة من قبلنا يلزمنا انفاذ ما ثبت عندنا منها بقرآن أو حديث عن نبينا ﷺ صحيح حتى يثبت عندنا نسخها^(٥).

وهكذا نستطيع القول بأن مصدر الحكم الذي أمر الرسول ﷺ أن ينفذ في

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام: الناسخ والمنسوخ: ١٧٧.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٢٦٩/٤.

(٣) النص (أ) ص ٦٨.

(٤) د. حدود ٤٤٥٠.

(٥) المنتقى للباقي ١٣٣/٧.

اليهوديين الزانين هو الوحي . وأنه عليه الصلاة والسلام قد بين لأصحابه عن طريق التلاوة وعن طريق الرواية قبل وقوع الحادثة . أن الزاني والزانية مجلدان إذا لم يحصنا ويرجمان إذا أحصنا وأنه حكم على اليهوديين بالرجم بما عنده من أحكام يوجد الذي طبقه منها عندهم في التوراة . ولكنهم بدلوا وحرفوا ، فكان بعمله ذلك قد أحيا حكما منزلا على موسى عليه السلام ومتبعا من قبل محمد عليه الصلاة والسلام وهو حكم الله تعالى في مرتكبي ذنب كان ولا يزال سببا في مصائب تنزل بمقتضيه ويأقرب الناس إليهم وبالمجتمع بصفة عامة .

إن الحوار التشريعي الذي دار بين الرسول ﷺ واليهود يبرز مرة ثانية أن مقاصد الشريعة الالهية هي حماية الفرد والجماعة وسنة الحياة ونشر العدالة والطمأنينة وتمكين الانسان من قدرات رادعة توقظ نفسه اللوامة كلما سعت الدوافع الذاتية أو الاجتماعية الى تغلب النفس الامارة بالسوء . ولكن اليهود ومن سار على طريقتهم في التعامل مع النصوص والأحكام المنزلة يريدون اخضاع الأحكام الالهية لهوى النفس وسلطان أصحاب النفوذ . ولذلك بدا لهم أن الرسول ﷺ يناقض دائما ما عندهم من أحكام . فقد أخرج الامام مسلم عن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت . فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَسَعَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ . فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ إلى آخر الآية . فقال رسول الله ﷺ اصنعوا كل شيء إلا النكاح . فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه (الحديث) ^(١) .

فهذا الحديث يشعرنا بأن المسلمين في عصر النبوة كانوا يدركون أن شرع الله واحد . وإن بعضه قد نزل على موسى عليه السلام لذلك كانوا يسألون الرسول ﷺ عما يوجد عند اليهود من أحكام ليعلموا مطابقتها لما نزل الله تعالى على أنبيائه ، وليتأكدوا من عدم نسخها ، وكان الرسول ﷺ يجيبهم بما علمه الله تعالى . ولذلك

(١) م . الحيض / ٣ . ح ٣٠٢ .

جاءت أحكامه في كثير من المواطن مخالفة لما عليه اليهود الذين حرفوا وبدلوا فابتعدوا عن الأحكام المنزلة على موسى عليه السلام . فجاء الاسلام ليخلص شريعة الله المنزلة على أنبيائه من الادران والزيغ والتحريف وليبين للناس ما ارتضاه الله للبشرية من أحكام ، وحكم ببقائها إلى أن يأتي أمره تعالى وينتقل الانسان من عالم التكليف إلى عالم الحساب والجزاء .

الفصل الثالث ————— الحوار الاجتماعي

ذكرنا سابقا أن الرسول ﷺ لما حل بالمدينة المنورة عمل على إقامة نظام تعاقدى يبين للأفراد والمجموعات المتساكنة داخل المدينة وخارجها حقوقهم وواجباتهم، ويضبط العلاقات البشرية بطريقة تحفظ المجتمع من التوترات الاجتماعية والصراعات الدينية والأحقاد التي تؤدي إلى تفتت المجتمع.

لقد عمل الرسول ﷺ على أن يكون المجتمع في المدينة مجتمع التسامح بين المسلمين واليهود إلى أن يقضي الله أمره. وسعى المسلمون إلى تطبيق العقد الاجتماعي الذي وضعه الرسول عليه السلام، وبادر عدد قليل من اليهود إلى الوفاء بما التزموا به، فأقاموا علاقات طبيعية مع المسلمين، فعمل بعضهم على فهم الاسلام فهما قد يعينه على بلوغ الحقيقة والايان بمحمد رسولا إذ توفرت لديه الحجة والبرهان فقد خرج البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء حديثا قال: حدثنا محمد بن سلام الفزاري عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبدالله بن سلام مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي؟ قال: ما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أخبرني بهذا أنفا جبريل قال: قال عبدالله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: أما أول أشرط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها». قال: أشهد أنك رسول الله ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل عبدالله البيت. فقال رسول الله ﷺ: أي رجل فيكم

عبدالله بن سلام قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا، فقال رسول الله ﷺ: أفرايتم إن أسلم عبدالله قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبدالله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. فقالوا أشرنا وابن أشرنا ووقعوا فيه ^(١).

إن أمثال عبدالله بن سلام قليل عددهم فأغلب اليهود كان لهم سلوك مخالف لسلوكه فكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر خاصة لما تيقنوا أن الاسلام حمى الأوس والخزرج وكل من آمن به أو تعاطف معه من أن يكونوا آلة طيعة بيد اليهود يستخدمونها لصالحهم ولتحقيق مآربهم ولذلك سعت الأغلبية من اليهود إلى أن تكون العلاقات متوترة بالمجتمع المدني واتبعت لتحقيق ذلك طرقا متعددة رأينا جانبا منها عند دراسة جدلهم العقدي وتسلطهم التشريعي ونتناول الآن جانبا من حوار يظهر السلوك الاجتماعي الذي مارسوه وأغلقوا به كل منفذ يمكن أن يؤدي إلى التعايش بين الأديان والجماعات لذلك كانوا يدعون على الرسول ﷺ ويشيرون الأحقاد ويسعون إلى تأليب القبائل حتى تعم الفوضى وتستعر نار الحرب.

الجهر بالدعاء على الرسول

أخرج الامام البخاري بسنده عن عائشة قال: حدثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها أن اليهود دخلوا على النبي ﷺ فقالوا: السّام عليك. فلعتنهم. فقال: مالك قلت أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: فلم تسمعي ما قلت. وعليكم ^(٢).

تخريج الحديث:

خرج البخاري الحديث المتقدم في كتاب الجهاد والسير وعنون لمجموعة

(١) خ ٦٠ أحاديث الأنبياء. ٤ خلق آدم وذريته.

(٢) خ ٥٦ الجهاد والسير/ ٩٨ ج ٥.

الأحاديث التي أورده ضمنها بباب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ثم أعاد تخريجه في كتاب الأدب في باين عنون لأحدهما بباب الرفق في الأمر كله^(١) وللثاني بباب لم يكن النبي فاحشا ولا متفحشا^(٢) كما خرج في كتاب الاستئذان باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام^(٣) وفي كتاب الدعوات ضمن باين عنون لأولهما بباب الدعاء على المشركين^(٤) وللثاني باب قول النبي ﷺ يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا^(٥) وأخيرا خرج في كتاب استتابة المرتدين وعنون له اذا عرض الذمي وغيره بسبب النبي ﷺ ولم يصرح نحو قوله السام عليك^(٦). وخرج الامام مسلم الحديث في كتاب السلام بطرق متعددة^(٧) أما الترمذي فخرجه في الاستئذان وعلق عليه بقوله وحديث عائشة حديث حسن صحيح^(٨) وخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب^(٩) وأخيرا أخرجه الامام أحمد في مسندي أنس بن مالك^(١٠) وعائشة أم المؤمنين^(١١) رضي الله عنهما.

وإلى جانب الروايات التي ذكرت ما وقع في مجلس الرسول ﷺ من حوار شارك فيه الرسول ﷺ وبعض الصحابة الحاضرين من جهة، ورهط من اليهود من جهة ثانية، رويت أحاديث جاء فيها أن الرسول ﷺ أنشأ مرة الكلام ليبين للمسلمين طريقة اليهود في السلام، وليلهم الى السلوك الواجب اتباعه معهم، ونشير الى تخريج هذه المجموعة من الأحاديث عند ذكرها.

(١) خ ٧٨ الأدب/٣٥-٣٨.

(٢) خ ٧٩ الاستئذان/ ٢٢.

(٣) خ ٨٠ دعوات/ ٥٨-٦٢.

(٤) خ ٨٨ استتابة المرتدين/ ٤٤ ح ٢.

(٥) م ٣٩ السلام/ ٤.

(٦) ت ٤٣ استئذان/ ١٢.

(٧) جـ: ٣٣ أدب/ ١٣.

(٨) حم ٣/ ١٤٠-١٤٤-٢١٠.

(٩) حم ١١٦/ ٦.

خصائص الاسناد:

إن جمع أسانيد روايات الحوار المتصل بسلام بعض اليهود على الرسول ﷺ يبين أن رواتها من الصحابة ثلاثة: هم أنس بن مالك وجابر بن عبد الله وعائشة رضي الله عنهم. وعن هؤلاء أخذ الحديث أربعة من التابعين هم عروة بن الزبير وعبد الله بن أبي مليكة وهشام بن زيد بن أنس وأبو الزبير. وما يلاحظ أن صلات قرابة تجمع بين بعض هؤلاء التابعين وبين الصحابي الذي روي عنه الحديث.

فعروة بن الزبير هو ابن أخت السيدة عائشة. وهشام بن زيد بن أنس هو حفيد الصحابي أنس رضي الله عنه. وعن هذه الطبقة أخذ الحديث كل من الزهري وشعبة وأيوب السختياني وصالح وسليمان والأعمش.

وما يلاحظ أنه يوجد من بين التابعين الذين أخذوا هذا الحديث ونقلوه من تحمل مسؤولية القضاء كابن أبي مليكة الأخول المكي الذي كان قاضياً على عهد ابن الزبير^(١).

ألفاظ الحديث:

للقوف على ألفاظ الحديث في الروايات التي خرجته وليان الثواب والمتغيرات فيها يجدر بنا أن نحدد مجال البحث في ثلاثة جوانب:

- هيكل الحديث.
- المشاركون فيه.
- ما صدر عن كل واحد منهم.

(١) العيني ٢٠٦/١٤.

أ- هيكل الحديث:

- جاءت روايات الحديث عن عائشة بأسلوب حوارى يثبت أنها حضرت المجلس وسمعت ما قاله اليهود للرسول ﷺ وما كان منه ﷺ وما صدر عنها. كما ذكرت هذه الروايات الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وعائشة رضي الله عنها.

ومما يلاحظ أنّ بعض روايات الحديث أدخلت في هذا الأسلوب الحوارى جانباً نقلياً وصفيّاً لبيان فهم عائشة رضي الله عنها لما صدر عن اليهود ولوصف غضبها.

فبعد أن كانت عائشة هي المتحدثّة في رواية معمر عن الزهري، أصبحت في نفس الرواية متحدّثاً عنها لبيان فطنتها ولنقل ما صدر عنها: «فطنت عائشة رضي الله عنها الى قولهم، فقالت عليكم السام واللعنة»^(١).

واقترنت رواية أحمد على نقل ما قالته عائشة رضي الله عنها أو على بيان ما أجابها به اليهود، لما قالت لهم عليكم لعنة الله ولعنة اللاعنين»^(٢).

وإذا كانت الروايات عن عائشة قد جاءت بأسلوب حوارى في أكثرها فإن الرواية عن جابر بن عبد الله^(٣) قد قصّت ما صدر في المجلس فالصحابي لم يشارك في الحوار، فهو ناقل لما رأى وسمع. نقل حديثه ما قاله اليهود وهم يسلمون على الرسول ﷺ وجواب الرسول ﷺ وما قالته عائشة رضي الله عنها وطريقة صدوره عنها، والتوجيهات التي أصدرها عليه الصلاة والسلام لزوجها عائشة رضي الله عنها، وجاءت الروايات عن أنس بن مالك في أسلوب مقارب لرواية جابر بن عبد الله إلا أن واحدة منها ذكرت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد تدخل فقال لما سمع سلام رجل من أهل الكتاب: «يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟»^(٤) ومما يلاحظ أن

(١) حم ١١٦/٦، خ ٨٠ دعوات ٥٨ ح ٤ م. ٣٩ السلام/٤ - ٢١٦٥ ط. ٣

(٢) حم ١١٦/٦.

(٣) م. ٣٩ السلام/٤ ح ٢١٦٦.

(٤) حم ٢١٠/٣.

روايات الحديث عن أنس لم تنقل الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين عائشة رضي الله عنها.

وأخيرا تجدر الإشارة إلى أن رواية عن عائشة لم تذكر أمر المجلس فجاء فيها أن اليهود قد تعودوا على السلام على الرسول ﷺ بقولهم السام عليك، وأن عائشة رضي الله عنها تفتنت إلى قولهم، فأجابتهم جوابا نهاها الرسول ﷺ عنه^(١).

ب - المشاركون في الحوار:

جاء في الروايات عن عائشة أنها سمعت ما قاله اليهود وهم يسلمون على رسول الله ﷺ، فدل ذلك على أنها كانت حاضرة. وأكدت هذا الحضور رواية جابر ابن عبد الله التي ورد فيها أن عائشة كانت حاضرة يوم سلم ناس من يهود على رسول الله ﷺ وأنها غضبت^(٢).

وأضافت رواية لأنس بن مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد حضر هذا المجلس إلى جانب الرسول ﷺ. وإلى جانب هذين الصحابين المذكورين باسميهما جاءت روايات تثبت أن مجموعة من الصحابة حضروا المجلس ففي رواية لأنس قال الرسول ﷺ بعد أن سمع سلام اليهودي: «ردوه علي»^(٣) فهذا الخطاب موجه الى مجموعة من الصحابة الذين حضروا المجلس، ولكنهم لم يعرفوا بأعيانهم. وفي رواية ثانية لأنس قال الرسول ﷺ: أتدرون ما قال؟ فدل ذلك على أن مجموعة من المسلمين كانوا حاضرين، وأن الرسول ﷺ سألهم عن سلام اليهودي، ثم طلب منهم أن يردوه عليه ففعلوا^(٤).

وهكذا يتضح أن الحاضرين من المسلمين الى جانب الرسول ﷺ هم عمر بن الخطاب وعائشة ومجموعة من الصحابة رضي الله عنهم، أما من جانب

(١) خ ٨٠ دعوات / ٥٨ ح ٤.

(٢) م ٣٩ / ح ٢١٦٦.

(٣) حم ١٤٠ / ٣.

(٤) انظر حم ٢١٤ / ٣.

اليهود فقد ذكرت روايات أنه دخل منهم رهط على الرسول ﷺ^(١) وأشار ابن حجر إلى أنه لم يقف على أسماء هؤلاء الرهط إلا أن الطبري قد أخرج بسند ضعيف عن زيد بن أرقم قال: بينما أنا عند النبي ﷺ إذ أقبل رجل من اليهود يقال له ثعلبة بن الحارث فقال: السام عليك يا محمد = فقال وعليكم^(٢).

وجاء في رواية لأنس أنه مر يهودي برسول الله ﷺ^(٣) وفي رواية أخرى عنه وصف الرجل بأنه من أهل الكتاب^(٤).

وإلى جانب الروايات التي ذكرت أن المسلم على الرسول ﷺ رهط من اليهود، أو يهودي واحد جاء في مجموعة ثانية أن ناسا من اليهود هم الذين صدر عنهم الدعاء على الرسول ﷺ فقد روى عن عائشة أنها قالت: إن يهود أتوا النبي^(٥) وفي رواية ثانية دخلوا على النبي^(٦) مكان أتوا النبي. وفي ثالثة: أتى النبي أناس من اليهود^(٧).

وهكذا يتضح أن الروايات قدمت ثلاثة احتمالات لتعيين المشاركين من غير المسلمين في الحوار الذي نشأ بسبب سلام اليهود على الرسول ﷺ. أ - المشارك رجل من أهل الكتاب قد يكون يهوديا أو نصرانيا، ولكن البيئة الاجتماعية وما ورد في الروايات مجتمعة يشير إلى تخصيص ما أطلقت عليه إحدى روايات أنس للحديث. فالرجل الذي سلم على النبي يهودي. ب - المشاركون من اليهود في القدوم على الرسول لا يتجاوز عددهم العشرة ذلك أن الرهط يطلق على الجماعة المتكونة من اثنين إلى تسعة.

(١) خ ٧٨ أدب/ ٣٥. ٧٩ استئذان/ ٢٢ ت. استئذان ١٢.

(٢) ابن حجر فتح الباري ٣٥/ ١١.

(٣) خ ٨٨ استنابة المرتدين/ ٤ حم ٣/ ١٤٠. ٢١٠. ٢١٤.

(٤) حم ٣/ ٢١٠.

(٥) خ ٧٨ أدب/ ٣٨: ٨٠. الدعوات/ ٦٢.

(٦) خ ٥٦ الجهاد والسير/ ٩٨ ح ٥.

(٧) م ٣٩/ السلام/ ح ٢١٦٥ ط ٣.

ج - المشاركون من اليهود جماعة قد يقل عددهم أو يكثر. وقد ناب عنهم احدهم في السلام وفي الدعاء على الرسول ﷺ وكلهم يتحملون ما صدر عنه. ان هذه الاحتمالات هي في الحقيقة أمر واقع، ذلك ان الحادثة قد تكررت وان اليهود قد اعتادوا على هذا الصنيع وقد ذكرت بعض الروايات هذا التعود والتكرار. قالت عائشة كان اليهود يسلمون على النبي ﷺ فيقولون السام عليك^(١) كما يؤكد ما جاء في حديث لأنس بن مالك قال: مر يهودي برسول الله ﷺ فقال السام عليك^(٢) فهذا اليهودي لم يدخل على الرسول ﷺ ولم يحضر مجلسه وإنما كان ماراً. وهكذا يتضح أن طريقة اليهود في السلام على رسول الله ﷺ تواصلت طيلة أزمنة مختلفة من أول هجرة الرسول ﷺ الى المدينة الى يوم اخراج اليهود منها كما سيأتي في البحث القادم.

ومما يلاحظ أن الألفاظ الواردة في الروايات لتبين ظروف اتصال اليهود بالرسول ﷺ في هذه المناسبة هي:

- أن اليهود أتوا^(٣).
- أن اليهود دخلوا^(٤).
- استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ^(٥).
- دخل رهط من اليهود^(٦).
- مر يهودي برسول الله ﷺ^(٧).
- سلم ناس من يهود على رسول الله ﷺ^(٨).

(١) خ ٨٠ الدعوات / ٥٨ ح ٤.
(٢) خ ٨٨ استنابة المرتدين / ٤ ح ٢.
(٣) خ ٧٨ أدب / ٣٨ ح ٢ - ٨٠ دعوات / ٥٨-٦٢.
(٤) خ ٥٦ الجهاد والسير / ٩٨ ح ٥.
(٥) خ ٨٨ استنابة المرتدين / ٤ ح ٢.
(٦) خ ٧٨ أدب / ٣٥. ٧٩ استنذان / ٧٩.
(٧) خ ٨٨ استنابة المرتدين / ٤ ح ١.
(٨) م ٣٩ / ٤ ح ٢١٦٦.

- أتى النبي أناس من اليهود^(١) وفي رواية ابن ماجه ناس من اليهود^(٢)
 — أن يهوديا سلم على رسول الله ﷺ^(٣)
 — جاء رجل من أهل الكتاب^(٤).

وهكذا نلاحظ أن الروايات ذكرت أن اليهود جاؤوا الى الرسول ﷺ تارة ودخلوا عليه ثانية ومروا به ثالثة . فدل ذلك على أن مناسبة السلام قد تكررت ولذلك فإن المشاركين من اليهود قد تغيرت جماعاتهم وأفرادهم . وتزداد هذه الملاحظة قوة بما لاحظناه سابقا من أن رواية ذكرت أن عمر بن الخطاب طلب من رسول الله ﷺ قتل اليهودي القائل السام عليكم ، وجاء في ثانية أن مجموعة من الصحابة هم الذين طلبوا ذلك . أما حديث عائشة فقد اتفقت جميع طرقه على أن أم المؤمنين رضي الله عنها هي التي أجابت اليهود جوابا دعا الرسول ﷺ الى التدخل وتوجيهها حتى تتبع التوجيهات الاسلامية الداعية الى الرفق في الأمر كله .

سلام اليهود على الرسول ﷺ :

كادت الروايات تجمع على أن الذي سلم على الرسول ﷺ من اليهود قال : السام عليك ولم يأت الجار والمجرور بلفظ عليكم إلا في روايتين واحدة منها للبخاري^(٥) والثانية لأحمد بن حنبل^(٦) وهكذا يتضح أنه تواتر عن الصحابة وعن الرواة أن ما قاله اليهود عند دخولهم على الرسول ﷺ أو مرورهم به تمثل في دعائهم عليه بالموت ذلك أن السام كما شرحه حديث آخر هو الموت . فقد روت عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول : إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام . قلت وما السام؟ قال الموت^(٧).

(١) م ٤٠/٣٩ ح ٢١٦٥ .

(٢) جه ٣٣ أدب ١٣ .

(٣) حم ١٤٠/٣ .

(٤) حم ٢١٠/٣ .

(٥) خ ٣٨/٧٨ .

(٦) حم ١٤٤/٣ .

(٧) خ ٧٦ الطب/٧ .

وذكرت الرواية ان ابن شهاب قال: والسام الموت والحبة السوداء الشونيز.

وإلى جانب هذا التفسير لكلمة «السام» نقل عن قتادة انه قال: السام عليكم من سئمة سامة وسأما أي أن اليهودي قد دعا على الرسول ﷺ والمسلمين بأن يصابوا بالسامة في دينهم حتى يتثاقلوا في نشره والدفاع عنه وتطبيق أحكامه. وخرج بقي بن مخلد في تفسيره من طريق سعيد عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه اذ أتى يهودي فسلم عليه فردوا عليه فقال: هل تدرون ما قال: قالوا: سلم يا رسول الله. قال: قال: سام عليكم أي تسأمون دينكم.

وعلق ابن حجر على هذه الرواية قائلا: يحتمل أن يكون قوله «أي تسأمون دينكم» تفسير قتادة كما بيئته رواية عبد الوارث التي ذكرها الخطابي^(١). وعلى كل فإن قضية تأويل السام بالسامة تعود الى مبحث اثارة الشراح والفقهاء وهم يتناولون بالدرس جواب الرسول ﷺ على ما قاله اليهود. فهل كان بلفظ عليكم أو وعليكم أي اثبات حرف الواو أو حذفه.

رد الرسول ﷺ:

مما يلاحظ أن الروايات أوردت رد الرسول ﷺ على اليهود الذين سلموا عليه بقولهم: السام عليك بطريقتين جاء في الأولى مباشرة بعد سماعه ﷺ ما قاله اليهودي فقد جاء في رواية لأنس بن مالك أن يهوديا مر برسول الله ﷺ فقال: السام عليك فقال رسول الله ﷺ وعليك^(٢) فالرسول ﷺ قبل أن يتدخل أي واحد من الصحابة، وقبل أن يتوجه لأي كان بالسؤال أو التوجيه أجاب اليهودي.

أما المجموعة الثانية من الروايات، فقد أخرج هذا الجواب النبوي فأوردت

(١) ابن حجر ٣٥/١١.

(٢) خ ٤/٨٨.

قبله ما صدر عن أحد الصحابة وما دار بينه وبين الرسول ﷺ من حوار، فعرف أثناء الرد الذي صدر عن الرسول ﷺ^(١).

أما ردود الرسول ﷺ فتمثلت في العبارات الآتية :

- وعليك
- وعليكم
- عليكم
- أرد ذلك عليهم فأقول وعليكم
- رددت عليهم .

ومما يلاحظ أن أغلب الشراح توقفوا عند ثبوت الواو أو عدمه في جوابه ﷺ ذلك أن ثبوتها قد يقتضي التشريك فيصبح الجواب النبوي وكأنه مؤيد ومدعم لما صدر عن اليهود مع تعديله لينبهم الى أن الموت سيكون ايضا عليهم . فكل من عليها فان . فالتفسير المعتمد على الظاهر يفيد أن الرسول ﷺ قال لليهود وعليكم أيضا الموت^(٢) .

وقال بعضهم : إن الواو لو صحت في الرواية ، فإنها لا تقتضي التشريك ، وإنما تفيد الاستئناف . فالرسول ﷺ لم يصدق اليهود ولم يؤيدهم ولم يعدل قولهم ، وإنما قال لهم : وعليكم ما تستحقونه من الذم والهوان والعذاب .

قال البيضاوي : في العطف شيء مقدر والتقدير وأقول عليكم ما تريدون بنا وما تستحقون وليس هو عطفًا على عليكم في كلامهم .

واختار بعض الشراح القول بأن الواو زائدة ، فإذا كان المقصود بالزيادة هنا زيادة معنوية فالأمر فيه نظر ، أما إذا قصد بها الزيادة المادية أي أن الرواة هم الذين تسببوا فيها فهذا لا يستقيم فيه تغليب للثقة . فالصواب كما قال النووي أن حذف الواو وإثباتها ثابتان جائزان . وإثباتها أجود ولا مفسدة فيه وعليه أكثر الروايات^(٣) .

(١) أغلب روايات عائشة للحديث هي من النوع الثاني .

(٢) النووي ١٤٤/١٣ .

(٣) النووي ١٤٤/١٣ .

وهكذا يتضح أن الروايات التي أثبتت الواو تدعم تفسير السام بالموت ، وتؤكد أن الرسول ﷺ رد على اليهود وهو يعلم أن الله يستجيب لدعائه عليهم ، ولا يستجيب لدعائهم عليه وعلى المسلمين . أما الروايات التي حذفت الواو فإن تأويل السام بالسامة أولى ذلك أن رد الرسول ﷺ يبعد المسلمين عن الثاقل في نصرة الدين ونشره والدفاع عنه والقيام بأوامره واتباع توجيهاته فإفراد اليهود بكل هذه الأمور هو المطلوب ، وهو الجائز وهو الذي حثت عليه الآيات القرآنية .

وعلى كل فالتفسيران مقبولان إلا أن تفسير السام بالموت واثبات الواو أو حذفها هو الأقوى والأجدر ، ذلك أن الرسول ﷺ يدرك أن الموت يصيب الانسان مهما كانت ديانتهم ومكانته ، وأنه يعلم أن هذا الموت يكون خيرا للمؤمنين والمتقين وشرا لمن سواهم ، كما يعلم أن الله يستجيب له فيهم ولا يستجيب لهم فيه ولا في أمته .

رد من كان حاضرا من الصحابة :

مر بنا أن دعاء اليهود على الرسول ﷺ وهم يتظاهرون بالقاء السلام عليه قد تكرر وأن بعض الصحابة كانوا إلى جانب الرسول ﷺ عند وقوعه وأن منهم من تدخل وصدرت عنه أقوال .

فقد ذكرت رواية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما سمع ما صدر عن رجل من أهل الكتاب : ألا اضرب عنقه ^(١) فعمر حسب هذه الرواية أراد أن يكون هذا اليهودي عبرة لغيره وأن ينال جزاء فعلته النكراء وتطاوله على الرسول ﷺ وقد صدر نفس الموقف عن جماعة من الصحابة حضروا حادثة مماثلة للتي حضرها عمر رضي الله عنه . فقد جاء في إحدى روايات الحديث أن الرسول ﷺ بعد أن رد على اليهودي بقوله وعليك ، سأل الحاضرين : أتدرون ما يقول ؟ قال : السام عليك . قالوا يا رسول الله ألا نقتله؟ ^(٢)

(١) حم ٢١٠/٣ .

(٢) خ ٨٨ استجابة المرتدين / ٤ ح ١ .

فهؤلاء الصحابة سألوا الرسول ﷺ أن يأذن لهم في قتل اليهودي المتطاول على الرسول المتمني له الموت أما عائشة رضي الله عنها فقد ذكرت الروايات أنها فهمت ما صدر عن اليهود. وعبر عن هذا الفهم بالألفاظ الآتية:

— قالت عائشة ففهمتها^(١)

— ففطنت عائشة رضي الله عنها الى قولهم^(٢)

— ففطنت بهم عائشة^(٣)

ففهم عائشة لما صدر عن اليهود عبرت هي عنه في روايات واستنتجه الحاضرون أو الرواة في ثانية. وقد تساءل بعضهم عن مصدر هذا الفهم. فقالوا قد يكون عن فطنة، وقد يكون عن تجربة ذلك أنه سبق لها سماع ذلك من النبي ﷺ كما جاء في حديث ابن عمر الذي ورد فيه أن الرسول ﷺ قال: «إذا سلم عليكم اليهود فقولوا وعليكم فإنهم يقولون السام عليكم»^(٤).

وروى أنس بن مالك حديثا مماثلا لحديث ابن عمر جاء فيه وصف من الرسول ﷺ لما يقوله اليهود عند تظاهروهم بالسلام على المسلمين، وجاء فيه أيضا توجيه نبوي يبين للمسلم كيف يرد على اليهود إن هم سلموا عليه ولذلك استنتج بعضهم أن عائشة رضي الله عنها تفطنت لمقولة اليهود، أي وقفت على تلاعبهم بالألفاظ وأدركت ما منوا أنفسهم بانطلائه على المسلمين ظانين أنهم أذكي وأقدر على بلوغ أهدافهم، ففهم عائشة هنا يتمثل في الوقوف على صدق ما قاله الرسول ﷺ قبل ذلك لأصحابه.

إن وقوف عائشة على صنيع اليهود جعلها ترد الفعل بسرعة ودون أن تسمع رد الرسول ﷺ على اليهود، أو لعلها سمعته ولكنها ظنته غير مناسب لما قالوه.

(١) خ ٧٨ أدب / ٣٥ - ٧٩ الاستئذان / ٢٢ (لم يرد هناك قالت عائشة).

(٢) خ ٨٠ الدعوات / ٥٨ ح ٤.

(٣) م ٣٩ السلام / ٤ ح ٢١٦٥.

(٤) حم ٩/٢.

وقد ذكرت روايات أن عائشة غضبت^(١) ونتيجة لهذا الغضب كان في ردها جانب من الحدة جاءت به الألفاظ الآتية: قالت عليكم السام واللعنة^(٢) فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم^(٣). قلت (عائشة) بل عليكم السام والذام^(٤). فقالت عائشة عليكم لعنة الله ولعنة اللاعنين^(٥). فقالت عائشة بل عليكم السام واللعنة^(٦).

وهكذا يتضح أن عائشة قد ردت على اليهود وسببتهم ودعت عليهم بالموت وغضب الله تعالى ولعنته، كما أخبرتهم بأن اللاعنين يلعنونهم وأن الذم مسلط عليهم، فقولها بل عليكم السام والذام يضيف الى الموت الذم، ذلك أن الذام والذيم والذم بمعنى واحد هو العيب^(٧) فدعاء عائشة على اليهود كان أشد وأعظم من دعائهم على الرسول ﷺ بل إنها أكدت على انهم كافرون ملعونون، ولذلك تساءل بعض الشراح عن مصدر قول عائشة. أي كيف جاز لها أن تحكم على بعض البشر بالهلاك قبل أن يموتوا على الكفر والنفاق. قال ابن حجر: قد يكون تقدم لها علم بأن المذكورين يموتون على الكفر فأطلقت اللعن ولم تقيده بالموت^(٨).

وكلام ابن حجر هذا يحتاج الى بحث فهو يتطلب معرفة اليهود الذين صدر عنهم الدعاء على الرسول ﷺ بأعيانهم حتى نعلم هل هم من الذين نزل فيهم قرآن. والأجدر أن يقال إن عائشة رضي الله عنها كانت ترى جواز لعن الكافر لما هو عليه من كفر ونفاق وسعي إلى الاساءة إلى الرسول ﷺ، فإذا ما بدّل ما هو عليه فإن

-
- (١) م ٣٩ السلام/٤ ح ٢١٦٦.
(٢) ح ٨٠ الدعوات ٥٨. ٧٩ الاستئذان ٢٢.
(٣) خ ٨٠ الدعوات ٦٢.
(٤) م ٣٩ السلام/٤.
(٥) حم ١١٦/٦.
(٦) ت ٤٣ استئذان ١٢.
(٧) النووي شرح مسلم ١٤٥/١٤.
(٨) ابن حجر ٣٦/١١.

الله يتوب عليه وتؤكد هذا المعنى بعض الأحداث التي وقعت في عصره ﷺ، فقد أهدر عليه السلام دم كعب بن زهير، ولكنه بعد ذلك عفا عنه وقبل عذره، فتبدل الحكم نتيجة ما طرأ على عقيدة كعب الذي دخل الاسلام.

ظنت عائشة أن الواجب يدعو إلى لعن اليهود المعتدين على الرسول ﷺ ومحاربتهم والتشدد معهم، فأغلظت لهم القول، وشعر اليهود بذلك، فقد ذكرت رواية أنهم قالوا لها: ما كان أبوك فاحشاً^(١).

سمع رسول الله ﷺ ما صدر عن عائشة رضي الله عنها فأراد هدايتها وبيان المنهج الواجب اتباعه مع هؤلاء اليهود وأمثالهم.

الهداية النبوية:

لما سمع رسول الله ﷺ ما صدر عن عائشة رضي الله عنها دعاها الى الرفق واللين، وبين لها أن المسلم لا يجوز له أن يترك الغضب يتحكم فيه، فالرفق في الاسلام ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، وهذا الأخير لا يتحقق إلا بضبط قوة الغضب، فالله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف. والألفاظ التي جاءت بها هذه المعاني الواردة في روايات الحديث هي:

- مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش^(٢).
- مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله^(٣).
- يا عائشة لا تكوني فاحشة^(٤).
- مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش^(٥).

(١) حم ١١٦/٦.

(٢) خ ٧٨ أدب/ ٣٨ ح ٢ - ٨٠ دعوات/ ٦٢.

(٣) خ ٨٠ دعوات/ ٥٨ ح ٤ ٧٨ أدب/ ٣٥-٧٩ الاستئذان/ ٢٢.

(٤) م ٣٩ السلام/ ٤٤ ح ٢١٦٢ طر ٣.

(٥) م ٣٩/ السلام/ ٤٤ ح ٢١٦٢ طر ٤.

— فلما خرجوا (اليهود) قال لها رسول الله ﷺ ما حملك على ما صنعت ^(١).

ومن هذه الألفاظ يتضح أن الرسول ﷺ لم يقر عائشة رضي الله عنها على صنعها بل عاتبها عتاباً أمرها فيه بالمعروف ونهاها عن المنكر، فقد ورد في أغلب الروايات الحث على الرفق في الأمر كله، وهذا ما دعا البخاري إلى أن يعنون لباب من أبواب كتاب الأدب بباب الرفق في الأمر كله وخرج ضمنه حديث عائشة.

ولا يشك أحد في أن عائشة رضي الله عنها كانت تعلم أن الله تعالى يأمر بالرفق والاحسان وأن الرسول ﷺ كان يوجه الواحد من أصحابه فيقول له عليك بالرفق، ولكنها ظنت أن ما فعله اليهود يبيح للمسلم أن يسبهم ويلعنهم، ولعلها اندفعت اندفاع الشباب، فجاء نداء الرسول ﷺ لها بالتمهل فقال لها مهلاً... ومه. وفي روايات قال لها مالك؟ ^(٢) وما حملك على ما صنعت؟ فكل هذه الألفاظ الصادرة عن الرسول ﷺ تشعر بأن عائشة رضي الله عنها تحمست وأرادت أن تين لليهود بطريقة قد يكون فيها اندفاع وحماس أن المسلمين يفهمون تلاعبهم بالألفاظ وخبثهم، وأن ما يتبادر إلى أذهانهم من ترفع واستعلاء لا يمكن للمسلمين أن يسكتوا عنه بل هم سيعاقبون عليه عقاباً يكون أشد مما يتصورون.

ولكن الرسول ﷺ طلب منها وفي الوقت المناسب أن تهدأ وأن تترث وأن تتذكر أن الله تعالى يحب الرفق.

وإلى جانب أمرها بالمعروف وهو الرفق هنا نهى الرسول ﷺ زوجه عن المنكر وهو هنا الفحش.

يعلم الرسول ﷺ أن عائشة رضي الله عنها ليست فاحشة فهي زوجته ومن آل بيته الذين أنزل الله تعالى فيهم **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ^(٣)

ولكن ما صدر عنها قد يؤدي إلى الفحش ولذلك جاءت ألفاظ الحديث محذرة

(١) حم ١١٦/٦.

(٢) خ ٥٦ الجهاد والسير/ ٩٨ ح ٥

(٣) ٣٣ الأحزاب ٣٣.

من العنف والفحش. فقد جاء في إحدى الروايات، إياك والعنف والفحش. ولعل عائشة رضي الله عنها أرادت التأكد من أن الرسول ﷺ سمع ما سمعته فقالت:

— أولم تسمع ما قالوا؟^(١)

— يا نبي الله أولم تسمع ما يقولون؟^(٢)

— ما سمعت ما قالوا؟^(٣)

— ألم تسمع ما قالوا؟^(٤)

— أما سمعت ما قالوا؟^(٥)

إن سؤالها الذي نقلته الألفاظ المتقدمة يعبر عما خالج نفسها من إيان بضرورة معاقبة اليهود وصدهم عن الاعتداء على الرسول ﷺ. لقد علمها القرآن الكريم أن هؤلاء القوم مردوا على النفاق، وألبسوا الباطل، فهم يحرفون النصوص ويبدلون الأحكام ويسومون غيرهم العذاب. فلا بد من تأديبهم، وهذا لا يكون إلا باليقظة والاستعداد.

أدرك الرسول ﷺ ما ترمي إليه عائشة وما تريده فأعلمها أن ذلك قد يتحقق بطريقة غير التي اختارتها هي.

نعم إن اليقظة والاستعداد ضروريان، ولكن يحسن بالمسلم أن تتصف أعماله بالرفق واللين وهو يارسهما. لذلك أخبر الرسول ﷺ عائشة رضي الله عنها أنه رد عليهم سلامهم ودعا عليهم بما تمنوه لهم وأن الله تعالى يستجيب له فيهم ولا يستجيب لهم فيه. وقد جاءت هذه المعاني في روايات الحديث بالألفاظ الآتية:

— قال فلم تسمعي ما قلت. وعليكم^(٦).

(١) خ ٥٦ الجهاد والسير/ ٩٨ ح ٥ - ٧٨ أدب/ ٣٨ ح ٢ - ٧٩ استئذان ٧٩ ح ٢ - ٨٠ دعوات/ ٥٨ ح ٤.

(٢) خ ٨٠ دعوات/ ٥٨ ح ٤.

(٣) م. ٣٩. السلام. / ح ٢١٦٥.

(٤) م ٣٩ السلام ٤ ح ٢١٦٦.

(٥) حم ١١٦/٦.

(٦) خ ٥٦ الجهاد والسير ٩٨ ح ٥.

— أو لم تسمعي ما قلت: رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في^(١).

— قال رسول الله ﷺ فقد قلت عليكم^(٢).

— أو لم تسمعي، أرد ذلك عليهم فأقول: وعليكم^(٣).

وهكذا يتضح أن الحديث برواياته المخرجة يشتمل على:

١ - بيان لمناسبة الحديث وهو اللقاء الذي حصل بين الرسول ﷺ وبعض المسلمين من جهة وجماعة من اليهود من جهة أخرى.

وألفاظ الروايات ليست واحدة في الشكل ولكنها متفقة في المضمون وهو اللقاء.

٢ - نقل ما صدر عن اليهودي الذي سلم على الرسول ﷺ اصاله عن نفسه أو نيابة عن جماعة. واتفقت كل الروايات على أنه دعا على الرسول ﷺ والمسلمين وهو يتظاهر بالسلام عليهم ولا خلاف بين الروايات هنا إلا في أفراد أو جمع ضمير المخاطب. فبعض الروايات ذكرت أن اليهودي قال: السام عليك وجاء في البعض الآخر أنه قال: السام عليكم.

٣ - أجمعت كل الروايات على أن الرسول ﷺ رد سلام اليهودي عليه وجاء في أغلبها أنه قال له: وعليك.

٤ - ذكرت الروايات عن جابر بن عبد الله وعائشة رضي الله عنهما حوارا دار بين الرسول ﷺ وبين عائشة رضي الله عنها فيه دعوة إلى الرفق في الأمر كله والابتعاد عن العنف والفحش.

المباحث:

الى جانب المباحث المتعلقة بالاسناد وباللغة اثار شراح الحديث مبحثين يتعلق أولهما بالسلام على الكافر، وثانيهما بسبب الرسول ﷺ وحده، وتسعى دراستنا

(١) خ ٧٨ ادب / ٣٨ ح ٢.

(٢) خ ٧٨ ادب / ٣٥، ٧٩: استئذان / ٢٢.

(٣) خ ٨٠ دعوات / ٥٨ ح ٢.

الى أن تضيف مبحثاً نفسياً يسعى الى تحليل نفسية المشاركين في هذا الحوار والدوافع التي جعلت الواحد منهم يصدر عنه ما صدر.

السلام على الكافر

ان الجانب الاجتماعي في التوجيهات الاسلامية جعل الفقهاء والعلماء يتناولون بالبحث والدرس حكم السلام على المسلم وعلى غيره، خاصة وأن آيات قرآنية وأحاديث نبوية قد أمرت المسلمين بهذه الظاهرة الاجتماعية، وبما أن المسلمين لا يعيشون في مجتمع مثالي فهم لا يمنعون غيرهم من البشر كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من أن يعيشوا الى جانبهم. وبما أن هؤلاء الذين يلتقي بهم المسلمون في السوق والشارع والمؤسسات لا يكونون للمسلمين في الغالب المودة والاحترام، فكان لزاماً على الفقهاء أن يجدوا الحكم الاسلامي في السلام على أهل الذمة وهنا وجد العلماء أنفسهم أمام نصوص تبدو متشابهة فأجمعوا على أشياء واختلفوا ظاهرياً في أشياء.

أجمعوا على أن أهل الكتاب لا يُبدؤون بالسلام ذلك أن المشهور عنهم أنهم يريدون بالاسلام والمسلمين الشر والكفر والهوان. وبما أن السلام دعاء بالخير وعقد اجتماعي للشعور بالمودة والطمأنينة والامان، فلا يجوز لمسلم أن يبدأ به غير المسلم. فالمسلم يريد الخير لكل المخلوقات بدليل أنه يسعى الى ادخالهم في الدين الذي ارتضاه الله لهم، ولكن غير المسلم لا يريد الأمن إلا لنفسه، ولا يسعى إلى الخير إلا بمفهومه الذي لا يخلو من أنانية وتعال، فلا يجوز للمسلم أن يبدأ مثل هؤلاء بالسلام، فقد نقل عن الرسول ﷺ أنه قال: لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام. فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه الى أضيقه^(١) فالنهي النبوي واضح في أمر المسلم بأن لا يبدأ اليهودي والنصراني بالسلام وهو يدل على الطريقة التي يتبعها إن هو لقي أحدهما أو مجموعة منها بالطريق العام.

(١) م. ٣٩ السلام / ٤ ح ٢١٦٧.

وإذا كان الاجماع منعقدا على تحريم ابتداء اليهود والنصارى والكافرين عامة بالسلام، فإن المذاهب تفاوتت في حكم رد السلام عليهم. وفي الطريقة التي يقع بها الفائقون بوجوب الرد اعتمدوا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ حَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(١) كما اعتمدوا مجموعة من الأحاديث التي نحن بصدددها.

قال هؤلاء ان ابن عباس رضي الله عنهما قال: ومن سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا^(٢).

فالآية عامة والأمر فيها بوجوب رد السلام لم يأت ما يخصه ثم ان الرسول ﷺ لما سلم عليه اليهودي وتمنى له الموت، في حين أن المفروض أن يدعوله بالبقاء والسلامة من الآفات رد عليه ردا مناسبا، ونهى عائشة رضي الله عنها من الثورة ودعاها الى أن ترفق حتى مع الخصوم، فتجيبهم جوابا يدل على اليقظة ومعاقبة المسيء بمثل ما صدر عنه.

ورفض بعض المفسرين عموم الآية فقالوا انها خاصة بأهل الاسلام ونقلوا عن ابن جريج عن عطاء قوله: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ حَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾. قال في أهل الاسلام^(٣) فالرسول ﷺ بمفهوم هؤلاء لم يرد السلام على اليهود لما قال لهم «عليكم» وانما دعا عليهم بمثل ما دعوا عليه وهو يعلم أنهم لن يضروه. شيئا في حين يستجيب له الله فيهم فيخذلهم ويلعنهم ويصيبهم بالسامة والآفات.

وبين هؤلاء وأولئك وجد من العلماء من قال بأن الآية تفصل. فقله تعالى: ﴿حَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ يخص المسلمين، أي اذا حياك مسلم فسلم عليك بقوله «السلام عليكم» فيجب أن تحية بقولك «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته» أما قوله أو رددوها، فهو خاص بأهل الكفر وهو ما صدر عن الرسول ﷺ مع اليهود. وما بينه عليه الصلاة والسلام لأصحابه حين قال لهم: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم»^(٣).

(١) النساء ٨٦.

(٢) الطبري: جامع البيان ٥٨٧/٨.

(٣) خ ٨٨ استتابة المرتدين ٤/.

وفي رواية ثانية أنه قال: إني راكب غدا الى اليهود فلا تبدؤوهم بالسلام فإذا سلموا عليكم فقولوا وعليكم^(١).

فالرسول ﷺ بين للمسلمين أن الواجب يدعوهم الى أن يردوا السلام على غير المسلم اذا ما حياهم. ذلك أن المسلم كما بينا سابقا مطالب بأن يحب الخير والطمأنينة لكل البشر، ولكل الكائنات ولكنه مطالب أيضا باليقظة والتدبر، فمن الحكمة أن لا يندفع في رد السلام وألا يلقي بعبارات السلم الصادقة على من يدعو عليه بالهلاك والسامة وما شابهها وقد عللت بعض الأحاديث الطريقة التي يرد بها المسلم السلام على أهل الكتاب، فقد جاء عن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود اذا سلموا عليكم يقول أحدهم السام عليكم فقل عليك»^(٢).

وهكذا يتضح أن العلماء قد أجمعوا على ضرورة ألا يلوذ المسلم بالصمت إذا ما تظاهر اليهودي أو غيره من المسلمين بالسلام عليه فقد يفهم ذلك على أنه تكبر منه، وقد يتخذ ذريعة لقطع العلاقات البشرية الواجب قيامها بين الناس عامة. ولذلك قال العلماء عملا بسنة الرسول ﷺ يجب على المسلم أن يرد السلام بقوله «عليك» أو «عليكم» وقد فهم بعضهم أن هذا الرد هو سعي الى الرفق والصبر والحلم، وملاطفة الناس طالما أن الحاجة لم تدع الى المخاشنة، وأن الأمر لا يؤدي بالانسان الى أن يخالف الحكمة المعروفة.

ووضع الندي في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندي فالمسلم مطالب بأن يكون كيسا، والكيس العاقل هو كما قال الامام الشافعي الفطن المتغافل^(٣).

أما الذين قالوا بأن المسلم ليس مطالبا برد السلام على أهل الكتاب، فإنهم

(١) جه ٣٣ أدب ١٣ وجاء في الزوائد ما يفيد بأن احد رواة الحديث مدلس (محمد بن اسحاق).

(٢) م: ٣٩ كتاب السلام ٤ - ت: ٢٢ كتاب السير ٤١ وقال حسن صحيح ط. ٥٣ السلام. باب ما جاء في السلام على اليهودي والنصراني.

(٣) النووي: شرح صحيح مسلم ١٣/١٤٧.

لم ينكروا الحديث النبوي ، ولكنهم ذهبوا الى أن المسلم وهو يقول لمن سلم عليه من اليهود والنصارى «وعليك» انها يعاقب بمثل ما عوقب به أي انه لا سلام بين المسلم وغيره من الكافرين والمشركين .

سب الرسول ﷺ وحده :

خرج البخاري رواية للحديث في كتاب استتابة المرتدين وعنون للباب الرابع منه : إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ ولم يصرح نحو قوله السام عليك ^(١) .

فهل في قول اليهود «السام عليك سب»؟

ذهب جماعة ومنهم الخطابي إلى أن ذلك ليس سباً ، وإنما هو دعاء بالموت الذي لا بد منه ^(٢) .

فالرسول ﷺ حسب هؤلاء لم يحمل ما قاله اليهود على أنه سب ، لأن ما صدر عنهم أمر قرره الله تعالى ، وأعلم به نبيه ، وهو عقيدة اسلامية . فالمؤمن لا يشك في الموت ، ويسلم بأن الله تعالى يقدر الأعمار فلا دعاء صديق يؤجلها ، ولا أمانى عدو تقرها . فما صدر عن اليهود هو سوء أدب لا يصل الى السب الذي فيه ذم وتعريض وتنقيص من المكانة .

وأيد أصحاب هذا القول ما ذهبوا إليه بأن حكم من سب الرسول ﷺ صراحة القتل ، بدليل انه ﷺ كلف مجموعة من الصحابة بأن يقتلوا كعب بن الأشرف غيلة لأنه كان يؤذي الله ورسوله ^(٣) وبما أنه لم يأمر بقتل اليهودي الذي دعا عليه بالموت وهو يتظاهر بالسلام عليه ، فدل ذلك على أنه لا سب في هذه الحالة .

أما الذين قالوا بأن قول اليهودي للرسول ﷺ السام عليك هو سب ، فعللوا عدم اقامة الحد على مقترفه بثلاثة أمور .

(١) خ ٨٨ استتابة المرتدين / ٤ .

(٢) ابن حجر ٢٣٦/١٢ .

(٣) العيني : عمدة القارئ ٨٢/٢٤ .

(١) وقوع الحادثة: قبل تشريع حدّ قتل من سب الرسول ﷺ أو قذفه، فالقرآن في هذه المرحلة قد دعا الى العفو والصفح بدليل ما جاء في آخر الآية: ﴿فَبِمَا نَقُضِهِمْ مَبْتَغِهِمْ لَعَنَهُمُ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١)

قال الطبري: وهذا أمر من الله عز ذكره لنبيه محمد ﷺ بالعفو عن هؤلاء القوم الذين هموا أن يبسطوا أيديهم إليه من اليهود. يقول الله تعالى: اعف يا محمد عن هؤلاء اليهود الذي هموا بما هموا به من بسط أيديهم إليك، وإلى أصحابك بالقتل، واصفح لهم عن جرمهم بترك التعرض لمكروهمهم، فإني أحب من أحسن العفو والصفح الى من أساء اليه (٢).

فالرسول ﷺ عفا عن اليهودي ولم يقتله واكتفى برد السلام عليه وفق التوجيهات المنزلة عليه إذ ذاك والتي تحثه على أن يعفو على من سعى إلى قتله والتي تناسب ما عليه المسلمون وما عليه العلاقات بينهم وبين اليهود في ذلك الوقت.

لقد ذهب هؤلاء الى أن آية العفو قد نسخها قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٣)

(٢) لم يثبت النسخ: بصورة قطعية عند جماعة. قال الطبري بعد أن أورد قول قتادة بالنسخ «والذي قاله قتادة غير مدفوع امكانه، غير أن الناسخ الذي لا شك فيه من الأمر هو ما كان نافيا كل معاني خلافه الذي كان قبله، فاما ما كان غير ناف جميعه، فلا سبيل الى العلم بأنه ناسخ الا بخبر من الله جل وعز، أو من رسول ﷺ وليس بقوله: قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر دلالة على الأمر بنفي معاني الصفح والعفو عن اليهود، وإذا كان ذلك كذلك جائزا مع اقرارهم بالصغائر

(١) المائدة ١٣.

(٢) الطبري: جامع البيان ٢٠/١٣٤-١٣٥.

(٣) التوبة ٢٩.

وأدائهم الجزية بعد القتال، فالأمر بالعفو عنهم في غدره هموا بها أو نكثة عزموا عليها ما لم ينصبوا حربا دون أداء الجزية ويمتنعوا عن الأحكام اللازمة بهم، لم يكن واجبا أن يحكم لقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله (الآية) بأنه ناسخ قوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين^(١) فما ذهب اليه الطبري يؤدي الى القول بأن سب اليهود الرسول ﷺ حكمه واحد سواء وقع قبل نزول آية التوبة أو بعدها ذلك أن السب هو دون الغدر التي قد يهيم بها اليهود، ودون النكثة التي قد يعزمون عليها ودون الحرب التي قد يشنونها. ولذلك لم يقم الرسول ﷺ على الذمي الذي سبه الحد. وخير الصفح والعفو وهذا هو المذهب الذي كان عليه البخاري والكوفيون. فمن سب النبي ﷺ، أو عابه فإن كان ذميا عزز ولا يقتل قال الثوري: وقال أبو حنيفة ان كان الذي سب الرسول ﷺ مسلما صار مرتدا بذلك. وان كان ذميا لا ينتقض عهده. وقال الطحاوي وقول اليهودي لرسول الله ﷺ «السام عليك» لو كان مثل هذا الدعاء من مسلم لصار مرتدا يقتل. ولم يقتل الشارع القائل به من اليهود^(٢) وهكذا يتضح ان البخاري والكوفيين لا ينفون السب في قول اليهودي للرسول ﷺ «السام عليك» ولا يقولون بنسخ آية التوبة لقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين، ولكنهم يرون أن كل واحدة منها تصلح لظروف ومناسبات وأعمال تطابق توجيهات الاسلام المستمدة منها، كما أنهم يخصصون الأحكام، فبعضها يطبق على المسلمين دون سواهم. فسب الرسول ﷺ ينجر عنه قصاص اذا ما صدر عن المسلم وتعزير فقط اذا قام به اليهودي.

ولعل هذا التخصيص يحل اليوم كثيرا من القضايا التي تعيشها بعض المجتمعات الاسلامية التي كثيرا ما تترك العمل بالأحكام الاسلامية بدعوى توحيد القضاء في بلدها الذي تقيم فيه أغلبية اسلامية الى جانب بعض الأقليات الدينية.

(٣) ان الطريقة التي سب بها اليهود الرسول ﷺ ليست صريحة ذلك أنهم لووه بالسنتهم، فحصلت بذلك شبهة جعلت الرسول ﷺ يدرأ عنهم الحد بها^(٣).

(١) الطبري: جامع البيان ١٣٥/٢٠.

(٢) انظر عمدة القاري ٨٢/٢٤.

(٣) انظر فتح الباري ٢٣٦/١٢.

فالسب حسب هؤلاء قد وقع وهو يستوجب القتل ولكن الطريقة التي وقع بها هي التي جعلت الرسول ﷺ لا يقيم الحد على اليهود. إن هذا التأويل قد يجد ما يبرره لو أن الحادثة وقعت مرة واحدة اما وقد تكرر من اليهود صنيعهم فالأفضل أن يقدم عليه مذهب البخاري والكوفيين الذي ذكر سابقا.

الدوافع النفسية:

لقد مر بنا ان الرسول ﷺ اجتهد منذ حلوله بالمدينة المنورة حتى يجعل المقيمين بها ينعمون بالطمأنينة والتعاون والاتصاف بكل ما يساعد على اقامة مجتمع انساني متعاون يسعى افراده الى خير المجموعة وصالحها في الدنيا والآخرة، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يدعو المسلمين إلى التآخي والتناصر والتمسك بحبل الله المتين، كما أنه لم يتخل يوما على دعوة اليهود الى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة والصفح والصبر الجميل، فكثير من الآيات قد دعت الى الصفع عن المعاندين، والصبر على جهل الجاهلين، والقدرة على كظم الغيظ.

قال تعالى: ﴿ قَاصِّصْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾ ^(١) ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاجْهَرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ ^(٢) ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ ^(٣).

وجاءت آيات أخرى مقررّة أن المصاعب التي سيلاقيها الرسول ﷺ من الكافرين بجميع أصنافهم عديدة ومتنوعة وأن القدرات الانسانية العادية يعسر عليها تحمل ذلك. ولكن الله تعالى قد بين له الوسيلة التي تحميه من الضيق والتبرم وتعينه على التحمل ومقارعة الحجة بالحجة. فذكر الله وتسبيحه، والتدبر في حكمته وفضله، بطريقة عملية وحركية لا تزيد النفس الا قوة قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ^(٤).

(١) ٤٣ الزخرف ٨٩.

(٢) ٧٣ المزمل ١٠.

(٣) ٣ آل عمران ١٣٤.

(٤) ١٥ الحجر ٩٧ - ٩٨ - ٩٩.

ولو استعرضنا الآيات القرآنية التي تحدثت عن لطف الله تعالى برسوله الكريم وبينت التربية التي اختارها له، والقدرات التي أمكنه منها لطلال بنا البحث. ولكن نقول إن أية دراسة لا يحق لها إلا أن تسلم بأن الدوافع التي كانت تحرك الرسول ﷺ إلهية صرفة أو بشرية محمية بالوحي.

فما يصدر عنه ﷺ لا يمكن لعلم النفس البشري بمقاييسه الانسانية أن يدرسه أو يحمله إلا اذا آمن أنه عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، ولا مجال للدوافع الانانية والأهداف الشخصية فيه.

فمعاملته لليهودي في هذا الحوار وغيره يمكن دراستها واستنتاج ما بها من جوانب تربوية. وهذا ما ستقوم به هذه الدراسة بعد تحليل الدوافع التي أملت على بعض الصحابة رضي الله عنهم وعلى جماعة اليهود الذين شاركوا في الحوار الذي نحن بصدده. ما قالوه أو فعلوه.

عمر بن الخطاب ومن معه من الصحابة الذين استأذنوا من الرسول ﷺ قتل اليهودي:

ذكرت الروايات أن عمر بن الخطاب وبعض الصحابة رضي الله عنهم قالوا لرسول الله ﷺ لما علموا ما قاله اليهودي المتظاهر بالسلام على الرسول ﷺ: قال عمر: ألا أضرب عنقه؟^(١)

قال الصحابة لرسول الله لما قال لهم: أتدرون ما يقول. قال: السام عليك قالوا يا رسول الله: ألا نقتله؟^(٢)

لقد كان عمر والصحابة المذكورون يشعرون أن اليهودي الذي تمنى الموت للرسول ﷺ قد اعتدى على الاسلام وأراد له الزوال. فدعاء اليهودي لا يتسلط على محمد الانسان، وإنما على الرسالة التي أتى بها، هم يؤمنون أن الله قضى وقضائه الحق أن كل نفس ذائقة الموت، وإن محمدا رسول سيصيبه ما أصاب الرسل

(١) حم ١٤٤/٣.

(٢) خ ٨٨. استتابة المرتدين ٤/.

المتقدمين الذين أدوا الأمانة ، وبلغوا الرسالة . ثم توفاهم الله ولكنهم فهموا أن اليهود يريدون الشر بالدين الاسلامي ، فدعاهم على الرسول ﷺ هو دعاء على الاسلام ، ونقمتهم عليه هي في الحقيقة نقمة على الاسلام ، ولذلك رأوا أن من كان ذلك شأنه ومن تجاسر على التعبير به ولو بطريقة ملتوية فجزاؤه الموت حتى يكون عبرة للآخرين .

ولكن عمر ومثله الصحابة الذين حضروا الواقعة لم ينتقلوا من التفكير الى العمل ولم يباشروا ما رأوه واجبا لأنهم يدركون أن ما يراه الانسان وما يصل اليه عقله عن طريق القياس والاستنباط قد يرضى عنه الوحي ، وقد يرده لعله من العلل ونقص من النقائص ، لذلك طلب عمر والصحابة رضي الله عنهم من الرسول ﷺ أن يأذن لهم في تنفيذ ما توصل إليه اجتهادهم .

فاعلموا أن الحكم في قضية الحال لا يصل الى القتل بل يقتصر على القول فيرد الدعاء ويقال لصاحبه وعليك أو عليكم .

عائشة رضي الله عنها : ان الدوافع التي كانت تحرك عائشة رضي الله عنها لا تختلف في شيء عن تلك التي كانت عند الصحابة رضي الله عنهم إلا أنه يضاف إليها أمران :

أولهما أن عائشة هي زوج الرسول ﷺ وهل تلميذته النجبية . وصفتها الأولى تجعلها مرهفة الحس منتبهة الى كل ما يصدر عن اعداء الاسلام فلما سمعت اليهودي يدعو عليه بالموت ثارت فيها عاطفة الزوجية ، وردت ردا قويا يصدق فيه قول الرسول ﷺ في النساء «أراكن ناقصات عقل ودين» .

فالمقصود بنقصان العقل هو قوة الجانب العاطفي الذي تتمتع به المرأة فيجعلها ترضى بالانجاب والتضحية في سبيل الزوج والابناء فالمرأة في هذا الجانب تحكم عاطفتها أكثر من تحكيمها العقل . فهي تندفع إذا ما رأت خطرا يهدد زوجها أو أحد أبنائها . فهذا لا يعني أن عقلها غير قادر على التفكير أو أنه دون عقل الرجل ، وإنما عاطفة المرأة تتغلب على قوة عقلها مهما كانت في الأمور المتصلة بالزوج والأبناء .

وهذا فعلا ما دفع عائشة رضي الله عنها الى أن ترد على اليهودي ردا لم يرض عنه الرسول ﷺ، فدعاها الى الرفق واللين ومعالجة القضية طبقا لقوله تعالى: ﴿وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(١).

أما صفتها الثانية أي كونها تلميذة نجية فقد جعلتها دائما تعي ما يصدر عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وكانت تسعى دائما الى الفهم والتدبر والسؤال عما يبدو لها ماثرا للشك، وأسئلتها التي توجهت بها الى الرسول ﷺ مذكورة في كتب الصحاح والسنن وغيرها.

فعائشة في هذا الميدان تحركها دوافع حب المعرفة والبحث عن الدقة لذلك كانت تترصد الكلام.

فسواء فهمت دعاء اليهودي على الرسول ﷺ ابتداء، أو أدركت ما صدر عنه بعد أن نبهها الرسول ﷺ الى طريقة اليهود في السلام على المسلمين، فإن الحادثة تبين لنا أن في نفس عائشة رضي الله عنها قدرة على الانتباه. تتفاعل مع صدور الكلام، فتقف على جزئياته وتتأمل ما يتضمنه من معان، فإذا ما أدركت فإنها تدافع عما فهمته وتدعم ما استنتجته، ولذلك قالت للرسول ﷺ لما دعاها الى الرفق بالذي دعا عليه بالموت: ألم تسمع ما قالوا؟ فأسئلة عائشة للرسول ﷺ وسعيها الى التأكد من أن الرسول ﷺ قد سمع بالضبط ما صدر عن اليهود مصدرها حرص داخلي على حماية الرسول ﷺ وتوجيهاته من عبث اليهود والمنافقين.

حقد اليهود وضعفهم:

في تاريخ اليهود مع الرسول ﷺ والمسلمين أكثر من حادثة تظهر الحقد الذي تملك من نفوسهم ودفعهم الى استخدام كل الوسائل والطرق لهدم الاسلام والتخلص من صاحب الرسالة، والسيطرة على المسلمين. ولكن الذي يظهر من

(١) ١٤ ابراهيم ١٢.

دعاء بعض اليهود على الرسول ﷺ بالموت مع التظاهر بالسلام عليه هو الضعف الذي كانوا عليه عند التجائهم الى هذا النوع من السلاح.

فالممارس لمثل ما قام به اليهودي الذي سلم على الرسول ﷺ بقوله السام عليك يعيش أزمة نفسية متولدة عن فقدان عز كان يظن أنه ينعم فيه، لقد تغلبت قوى جديدة على ماضيه وحاضره ولم يستطع هو أن يتفاعل مع من تغلب عليه، ولم يدرك ادراكا واضحا أسباب هذا التغلب. هو يرى من كان يعدهم بالأمس عبده وخدمه، وقد أصبحوا أسيادا وقادة يسرون مجتمعا يصعب على الدسائس أن تقضي على وحدته، ويتعذر على الأكاذيب والأراجيف ان تنتشر فيه. لقد تمسك أفراده بحبل الله المتين، وآمنوا أنهم لن يضلوا أبدا ما داموا متمسكين بكتاب الله وسنة نبيه. ومما يزيد في تأزم هذا اليهودي وأمثاله أنهم جربوا محاربة الاسلام بوسائلهم التي كانوا يظنون أنها لا تقهر. فكان الفشل حليفهم والجلاء عن مواقعهم مصيرهم.

لذلك وقع اللجوء الى الطرق السلبية والوسائل الملتوية فالدعاء على الخصم مع التظاهر بالسلام عليه هو سلاح العاجزين، ووسيلة الخائبين، وترياق الحاقدين، ولذلك كان الرسول ﷺ يدعو عند التعامل مع هذا الصنف من البشر الى اللين الذي لا يقوي تطاول المذنب، والى الرفق الذي يرد كيد الكائدين دون أن يغلق أمامهم باب التوبة، والى التسامح الذي لا يشجع المعتدي على مواصلة اعتدائه. بل يحثه على أن يراجع نفسه وأن يصبح وليا حميما لمن أراد الاساءة له. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (١).

وهكذا نستطيع التأكيد على أن هذا النوع من السلام الذي كنا بصده قد تكرر من يهود كانوا يشعرون بقوة الاسلام وتماسك أفرادهم وبعجزهم عن محاربته أو مقارعة حججه وأدلته بالبرهان والدليل، فراحوا يمنون النفس بموت صاحبه ظانين أن ذلك كفيل بأن يعيد إليهم سطوتهم وسيطرتهم على أهل المدينة وغيرها من القرى.

الفصل الرابع ————— الحوار المصيري

وقع التأكيد في أول البحث على أن الدين الاسلامي دعا الى الحوار وحث عليه وأن الرسول ﷺ مارسه مع المؤمنين الصادقين ومع غيرهم من كفار مكة ومنافقي المدينة المنورة ويهودها وغيرهم من أصحاب الديانات ورجال السياسة الذين اتصل بهم بطريقة مباشرة أو بواسطة المبعوثين. ونتعرض في هذا الفصل الى ما دار بين الرسول ﷺ ويهود المدينة من حوار عند اندلاع الأزمات والمشاكل التي كثيرا ما نتجت عنها حروب انتهت باجلاء اليهود عن المدينة وعن القرى المحيطة بها.

دعوة اليهود الى الاسلام:

الدعوة الاسلامية عامة شاملة، فهي موجهة الى جميع البشر لا تميز بين جنس وآخر، ولا تخص قوما دون قوم. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).
لقد انطلقت الدعوة من مكة أم القرى، فبدأ الرسول ﷺ بدعوة عشيرته. ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢) ولكن سرعان ما انتشر أمرها وتوجه بها صاحبها الى الناس كافة.

وعند هجرته الى المدينة، واصل الرسول ﷺ دعوته الى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وإقامة الحجة والبرهان. ووضع للمجتمع الجديد أصول الحوار وقواعد التنظيم، وأسس التعايش بين الجماعات والديانات.

ولكن اليهود كانوا كما بينا في الفصول المتقدمة، يتحنون الفرص ليخضعوا

(١) ٣٤. سبأ ٢٨.

(٢) ٢٦. الشعراء ٢١٤.

المسلمين وكل سكان المدينة المنورة لارادتهم، واستخدامهم في فلاحتهم وتجارتهم، واستثمار أموالهم. ولما تبين لهم أن مبادئ الاسلام وتوجيهاته تحمي معتنقيه ومن يعيشون تحت سلطانه من المكر والخديعة والتناحر، وتقديم المصلحة الذاتية على خير الجماعة ورفاهيتها، لما أدرك اليهود كل ذلك، سعوا الى بث الفتنة والتفرقة، ونقض العهود التي قطعوها على أنفسهم، ولم يكتفوا بذلك بل تفتنوا في اظهار العداوة للرسول ﷺ، وللمسلمين كلما سنحت لهم الفرصة ذلك، فقد جاهر أغلب اليهود باحتقار المسلمين بعد غزوة بدر الكبرى، وأرادوا أن يؤكدوا للعرب عامة ولسكان المدينة خاصة، أن النصر الذي أحرزه المسلمون يوم نصرهم الله ببدر لا يستحق الذكر، ذلك أن خصوم المسلمين يومها لا يمثلون قوة قتالية، ولا يتمتعون بتجربة حربية. وأن الأمر يكون مخالفا لما وقع ببدر اذا ما نشبت المعركة بين المسلمين واليهود.

إن هذه العداوة السافرة والتحريض الهادف لم يخف أمرهما عن الرسول ﷺ الذي كان يعمل على أن تتحقق سلم في المدينة تعود على متساكنيها بالخير العميم. ولذلك كان يدعو اليهود الى التدبر في سنن الله في الكون، والاعتبار بما وقع للمتكبرين المعاندين فقد أخرج أبو داود^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ جمع اليهود في سوق بني قينقاع بعد غزوة بدر وقال لهم: يا معشر يهود: أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا. قالوا يا محمد: لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^(٢).

لقد أورد المفسرون سببا آخر لنزول هذه الآية: فقد ذكر الواحدي أن يهود يثرب كانوا عاهدوا رسول الله ﷺ الى مدة: فلما أصاب المسلمين يوم أحد

(١) د. ١٤ الخراج والامارة/ ٢٢ ح ٣٠٠١.

(٢) آل عمران ١٢.

ما أصابهم من النكبة نقضوا العهد. وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى أبي سفيان بمكة وقالوا لهم: لتكونن كلمتنا واحدة. فلما رجعوا الى المدينة أنزلت هذه الآية^(١).

وسواء أخذنا برواية ابن عباس، أو بما ذكره الواحدي فإن النتيجة واحدة ذلك أن الآية أنذرت اليهود، وبينت لهم أن كفرهم وكبرياؤهم ولبسهم الحق بالباطل لن تغني عنهم من الله شيئا، ذلك أن الله سيخزيهم ويلعنهم ويمكن المسلمين من الانتصار عليهم في الدنيا، وأن مصيرهم النار يوم القيامة.

إن ادعاءهم بأنهم ليسوا أغمارا، وبأنهم قوم مجربون ومحنكون لن يغني عنهم شيئا، وأن ظنهم بأنهم أصحاب السيوف والخلق وما شابهها من وسائل القتل والدمار لن يفيدهم، لأنهم قوم لا يفقهون. فهذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ واليهود بعد غزوة بدر يظهر موقفين متناقضين وطريقتين متباينتين في معالجة القضايا التي تنشأ بين مجموعات سكنية لا تجمع بينها وحدة الدين والتربية. فالدعوة الى الله، وحب الخير للجميع والتبشير والانداز تعارضها أنانية مطلقة تعتمد التفاف والكذب والكيد للايقاع بالآخرين والتنكيل بهم، وإبادتهم وكان لزاما على القوتين أن تتعاديا، وأن تنتصر إحداها على الأخرى. وصدق الله وعده ونصر جنده فأخرج اليهود من المدينة ومن القرى التي تحيط بها ومن الجزيرة العربية بصفة عامة، وكان من الطبيعي أن يتحاور الغالب والمغلوب، وأن يتفاوضا، وقد ذكرت دواوين الحديث جانبا من الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ واليهود المنهزمين وجدير بالبحث العلمي أن يتناول بالدرس بعض جوانب هذا الحوار عله يبرز بعض القضايا ويرد بعض الشبهات، ويبلغ بعض القواعد التي قد تستخدم في يوم يكتب للمسلمين فيه الانتصار على الذين أخرجوهم من ديارهم وتناولوا على دينهم.

(١) الواحدي: أسباب النزول: ٦٨، ٦٩.

محاورة اليهود قبل اخراجهم من دورهم :

أخرج البخاري بسنده قال : ثنا عبدالعزيز بن عبدالله ، ثنا الليث عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : بينما نحن في المسجد ، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : انطلقوا إلى يهود ، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس . فقام النبي ﷺ فناداهم : يا معشر يهود : أسلموا تسلموا . فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم . فقال : ذلك أريد . ثم قالها الثانية فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم . ثم قال الثالثة فقال : اعلموا أن الأرض لله ورسوله . وإني أريد أن أجليكم . فمن وجد منكم بهالة شيئا فليبعه ، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله ^(١) .

تخريج الحديث :

خرج البخاري هذا الحديث في موطنين آخرين فقد أورده في كتاب الجزية والموادعة وعنون له هناك باب اخراج اليهود من جزيرة العرب وقال عمر عن النبي ﷺ أفركم ما أفركم الله به وأخرجه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة وذكره مع حديث آخر تحت عنوان باب قوله تعالى ، وكان الانسان أكثر شيء جدلا ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وخرج الحديث الائمة مسلم ^(٢) وأحمد بن حنبل ^(٣) وأبو داود ^(٤) .

خصائص الاسناد :

١ - انتهت كل الأسانيد التي خرج بها هذا الحديث إلى أبي هريرة رضي الله عنه وهذه الملاحظة قد تساعد على ترجيح رأي من الآراء المتصلة بتوقيت هذا الحوار .

(١) خ ٨٩ الاكراه / ٢ في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره .

(٢) م ٣٢ - كتاب الجهاد والسير / ٢٠ ح ١٧٦٥ .

(٣) حم ٤٥١ / ٢ .

(٤) د . ٢٢ / ١٤ ح ٣٠٠٣ .

٢ - اتفقت سلسلة من سلاسل البخاري اتفاقا تاما مع اسناد كل من مسلم وأبي داود.

ففي كتاب الاعتصام خرج البخاري الحديث بسلسلة رجالها هم على التوالي: قتيبة والليث وسعيد وأبوه، وأبو هريرة وهؤلاء هم رجال مسلم وأبي داود في تخريج هذا الحديث. والفرق الوحيد يتمثل في أن البخاري اقتصر على اسم الراوي «سعيد» في حين بين مسلم اسم أبيه فقال عن سعيد بن أبي سعيد. والملاحظ أن البخاري أورد لقب سعيد هذا في كتابي الجزية والاكرام. فقال هناك أنه سعيد المقبري. وقال ابن حجر وغيره سعيد هذا هو ابن أبي سعيد المقبري^(١).

٣ - الى جانب اتفاق الأئمة في رجال الحديث فقد اتفقوا اتفاقا تاما في طرق التحديث التي نقل بها فهي «حدثنا» في موطنين والعنونة في ثلاثة ومما يلاحظ أن البخاري استخدم نفس الصيغ في كتاب الاكرام أما في الجزية فقد أوردته بحدثنا في موضعين وبالعنونة في موضعين، وبحدثني في موضع واحد. اذ جاء هناك قال الليث: حدثني سعيد المقبري.

ألفاظ الحديث:

يمكن تقسيم الحديث الى ثلاث وحدات لمقارنة الألفاظ التي ورد بها. وهذه الوحدات هي: مكان الحوار وظروفه ومحتواه.

(١) مكان الحوار:

اشتركت الروايات في القول بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا في المسجد، فخرج عليهم الرسول ﷺ، وطلب منهم التحول الى حيث يوجد اليهود. ، فقد قال أبو هريرة وهو يروي الحديث: بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ

(١) ابن حجر: ٢٦٨/١٣.

فقال انطلقوا الى يهود. والخلاف في رواية هذا الجزء من الحديث بسيط اذ حلت كلمة بينا مكان بيننا^(١) والنبى ﷺ^(٢) مكان رسول الله ﷺ. وإذ خرج الينا^(٣) مكان اذ خرج علينا.

واشتركت كل الروايات في أن الرسول ﷺ قال للحاضرين: «انطلقوا الى يهود» فدل ذلك على أن الصحابة أمروا بالتحول من المسجد الى مكان اعتاد بعض يهود المدينة الجلوس فيه.

لم تعين الروايات اليهود الذين أمر الحاضرون من الصحابة بالانتقال إلى مكان تواجدهم. ولذلك سعى بعض الشراح إلى بيان ذلك، وسوف نعود إلى هذه المسألة في المباحث التي أثارها هذا الحديث.

وإلى جانب اشتراك كل الروايات في التأكيد على هذا الانطلاق، وعلى التحول من مكان الى آخر، حددت كل روايات البخاري المكان الذي وقع التحول إليه وهو بيت المدراس، وهذا التحديد لا نجده عند مسلم وأبي داود. فقد اقتضت روايتهما على ذكر تحول المسلمين وقدمهم على اليهود دون تعيين للمكان «فخرجنا معه حتى جئناهم».

وهكذا يتضح أن مكان الحوار يقع في الحي الذي يقيم فيه اليهود، ويمكن هنا ترجيح روايات البخاري في تحديد هذا المكان وكونه «المدراس» أي البيت الذي تعود اليهود دراسة التوراة فيه.

ظروف الحوار:

ذكرت أغلب الروايات أن الرسول ﷺ «قام» فدل ذلك على أنه استعد لمخاطبة اليهود أي أنه هياً الظروف ليجمع أكبر عدد منهم لأن الأمر جليل وما سيخبرهم به يحتاج إلى سماع جيد، وتدبر وتفكير. ولذلك جاء في الروايات أن

١ (٢١) خ ٥٨ الجزية والموادعة/ ٥ - ٩٦. الاعتصام/ ١٨.

(٣) م. الجهاد والسير/ ٢٠ ح ١٧٦٥.

الرسول ﷺ قام فناداهم ولم يغب ذكر قيام الرسول ﷺ ومناداته إلا في رواية للبخاري حيث جاء فيها فقال: أسلموا..^(١).

وهكذا يتضح أن الرسول ﷺ، وحسب طريقته في التبليغ قد هيا الظروف المادية ليتمكن كل الأفراد من الاستماع إليه ومحادثته لاستفساره أو مناقشته والتأكد مما سمعه منه.

محتوى الحوار:

بعد أن استعد الرسول ﷺ للتبليغ وأيقن أن الحاضرين قد تهيؤوا للسماع. قال لليهود: «أسلموا تسلموا» ذكرت كل الروايات هذين الفعلين اللذين جمع بينهما الرسول ﷺ بطريقة فيها إيجاز وبلاغة تمثلت في الجناس الحسن وفي هذه الموسيقى الصوتية. وفي هذا الربط الوثيق بين الاسلام والسلام.

ولما سمع اليهود دعوة الرسول ﷺ اياهم للإسلام وللسلام وللحماية من عذاب الله في الآخرة ومن الآفات النفسية والحروب في الدنيا أجابوا بقولهم: قد بلغت يا أبا القاسم «أي انك قد قمت بواجبك ودعوتنا واستمعنا مقولتك منذ زمان. فلا فائدة في التكرار فما نحن بمجيبين دعوتك. ولكن الرسول ﷺ واصل التبليغ حسب الطريقة التي كان يتوخاها والمتمثلة خاصة في تكرار الكلام ثلاث مرات. واتفقت روايات الحديث على ذكر هذا التكرار، واختلفت اختلافا بسيطا في التعبير عنه. ففي حين اختصرت بعض الروايات ما قاله الرسول ﷺ فلم تذكره إلا مرة واحدة مكتفية بالقول «ثم قالها الثانية.. ثم قال الثالثة^(٢)»، كررت روايات أخرى قول الرسول ﷺ «أسلموا تسلموا» وقول اليهود قد بلغت يا أبا القاسم في المرة الثانية واختصرته في الثالثة^(٣).

(١) خ. ٥٨. الجزية والمواذعة / ٥ اخراج اليهود من جزيرة العرب.

(٢) خ ٨٩ الاكراه / ٢ بيع المكره ونحوه في الحق وغيره.

(٣) خ ٩٦ / الاعتصام بالقرآن والسنة ١٨. وكان الانسان أكثر شيء جدلا.

وعندما تأكد الرسول ﷺ من أن اليهود رفضوا الاسلام والسلام، وتمسكوا بالعناد قال لهم: اعلّموا انما الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض فمن وجد منكم بهاله شيئا فليبعه. وإلا فاعلموا انما الأرض لله ورسوله.

واتفقت الروايات على هذه الألفاظ والمعاني. فالرسول ﷺ ذكر اليهود بأن الأرض لله ورسوله. وكرر هذا اللفظ في أول مقالته لليهود، وفي آخرها ولم تذكره مرة واحدة إلا رواية للبخاري^(١). وبعد هذا التذكير والتنبيه أعلم الرسول ﷺ بقراره القاضي بإخراجهم، وإجلالهم عن أراضيهم وسكتت الروايات هنا أيضا عن تحديد الأراضي التي سوف يقع إخراج اليهود منها وسوف نتناول ذلك بالدرس في المباحث. وحسب تعليمات الاسلام وتوجيهاته الراضية للظلم والقهر، والساعية إلى حماية المجتمع من المنافقين والمخربين والناقضين العهود والوعود، أعلم الرسول ﷺ اليهود بأنهم يستطيعون ولأسباب مقبولة التصرف في أموالهم بالبيع. فقلوه ﷺ «فمن وجد منكم بهاله شيئا فليبعه» دليل على أن الاسلام لا يذل المغلوب ولا يسعى إلى تجريده من عواطفه الانسانية وماركبه الله فيه من ميول. فقد بين الشراح أن فعل «وجد» الوارد في الحديث قد يكون من الوجدان، أو من الوجد، وأن الباء في قوله «بهاله» هي إما للسببية أو للمقابلة أو هي متعلقة بشيء محذوف^(٢) أو هي بمعنى البدلية أو دالة على التبعض^(٣). وإذا أضفنا إلى ذلك امكانية سادسة وهي أن الباء هنا هي للالصاق نحو مررت بزيد^(٤) جاز لنا أن نعبر عن مدلول قوله ﷺ بالجمل الآتية.

- فمن وجد منكم شيئا من الألم بسبب ماله فليبعه.
- فمن وجد منكم مقابلا يعوض به ماله فليفعل.
- من كان منكم متعلقا بشيء من ماله ولا يود التخلي عنه فليبعه.

(١) خ ٥٨. الجزية والموادعة.

(٢) انظر: ابن حجر ٢٦٨/١٢، العيني ٤٩٨/١١.

(٣) أنظر عون المعبود شرح سنن أبي داود ٢٣٣/٨.

(٤) ابن عقيل: شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ٢٢/٣.

وعلى كل فقد أثار هذا الحديث مباحث متعددة ورجع إليه الفقهاء والعلماء عند دراسة القضايا الناشئة في المجتمع الاسلامي .

المباحث :

تعين العناوين التي وضعها البخاري لأبواب الحديث على تصنيف المباحث التي تناولها العلماء والفقهاء عند رجوعهم إليه واستخدامهم مضمونه لاستنباط بعض الأحكام أو تقرير بعض الروابط الانسانية التي تنظم العلاقات بين البشر، وبالرجوع إلى هذه العناوين، وإلى ما ذكرته كتب شرح الحديث والفقه والكلام يمكن تصنيف هذه المباحث إلى :

- ١- مباحث يمكن ادراجها ضمن الأحكام الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول والشعوب إذا ما أعلنت بينها الحروب ونعنون لها بعلاقة المنتصر بالمنهزم
- ٢- مباحث فقهية تشريعية تبين حكم الاسلام في البيع المكره عليه .

١- علاقة المنتصر بالمنهزم

تبين للرسول ﷺ أن التعايش بين المسلمين واليهود أصبح مستحيلا وذلك لأسباب متعددة ستناولها هذه الدراسة بالبحث في الوقت المناسب فقرر إجلاء اليهود عن المدينة وما حولها من القرى ثم من أنحاء الجزيرة العربية وتم هذا الاجلاء بالتدرج . إذ بدأ في حياته ﷺ وانتهى في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال ابن حجر وهو يشرح الحديث الذي نحن بصدده: الظاهر أن اليهود المذكورين هم بقايا من اليهود تأخروا بالمدينة بعد إجلاء بني قينقاع وقريظة والنضير، والفراغ من أمرهم لأنه كان قبل اسلام أبي هريرة وإنما جاء أبو هريرة بعد فتح خيبر^(١) فما ذكره ابن حجر يفيد أن اجلاء اليهود عن مراكزهم كان يقع بعد كل غزوة تدور

(١) ابن حجر: فتح ٢٠٨/٦ .

بينهم وبين المسلمين . ويتأكد هذا بما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال :

«حاربت النضير وقريظة فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومنّ عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ ، فأمنوا وأسلموا . وأجلى يهود المدينة كلهم وبني قينقاع وهم رهط عبد الله ابن سلام ، ويهود بني حارثة وكل يهود المدينة^(١) ، فهذا الحديث يفيد أيضا أن الأحداث والغزوات التي دارت بين المسلمين واليهود تعود أساسا إلى غدر اليهود ونقضهم العهود وتشجيعهم المنافقين واستخدامهم ليكونوا ببادق يحركونها متى شاؤوا وكيفما أرادوا .

فبنو النضير كانت تربطهم بالمسلمين عهود تقتضي التعاون والتآزر إذا ما وقعت الأزمات المالية أو غيرها . ولكنهم لما قتل أحد المسلمين خطأ رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول الله ﷺ ، تظاهروا بأنهم مستعدون للقيام بالواجب والمساهمة في أداء دية القتيلين ولكنهم أضمرُوا السوء وتحينوا الفرصة وأرادوا قتل الرسول ﷺ . فقد ذكرت كتب السيرة أن الرسول ﷺ خرج إلى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين وأنهم تظاهروا بالاستجابة لطلبه ولما خلا بعضهم ببعض سولت لهم أنفسهم الغدر : فقال بعضهم : إنكم لن تجدوه على مثل هذه الحال : ذلك أنه ﷺ قد جلس إلى جانب جدار لهم . لقد بحثوا عن رجل منهم يعلو البيت ويلقي صخرة على الرسول ﷺ ليقترله ويريجهم منه . فعلا انتدبوا لذلك عمرو بن جحاش بن كعب^(٢) . ولكن الوحي فضحهم ونصر الله دينه ، وحق وعده ، فاستطاع المسلمون محاصرة بني النضير الذين تحصنوا بحصونهم ولم تنفعهم وعود المنافقين ، ولا قوتهم المادية فقذف الله في قلوبهم الرعب وطلبوا من الرسول ﷺ أن يصالحهم على أن يجلووا عن أرضهم ويأخذوا معهم ما تحمله إبلهم . فصالحهم ﷺ على ذلك^(٣) .

(١) خ ٦٤ / مغازي ١٤ حديث بني النضير ومخرج رسول الله ﷺ اليهم في دية الرجلين .

(٢) أحد بني النضير .

(٣) انظر : فتح الباري ٧ / ٢٦٤ وما بعدها . الطبري ٢ / ٤٧٩ - ٤٨٠ . الواقدي : المغازي ١ / ١٧٦ .

إن السبب المتقدم لإجلاء بني النضير بين غدر اليهود وتربصهم بالرسول ﷺ وظنهم أنهم قادرون على أن يطفئوا نور الله . ولكن لا يعني أن ذلك هو السبب الوحيد فتفصيل كتاب السيرة لما أجمله حديث ابن عمر رضي الله عنهما قد يكون مسلطا على جانب واحد من الحادثة . فرواية يزيد بن رومان التي جعلت سبب غزوة بني النضير دية الرجلين ، وسعى اليهود إلى إلقاء الصخرة على الرسول ﷺ يمكن أن يضاف إليها ما رواه ابن مردويه باسناد قال فيه ابن حجر انه صحيح ، ونقل بواسطته معمر عن الزهري قوله : أخبرني عبدالله بن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : كتب كفار قريش إلى عبدالله بن أبي وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدر يهددونهم بإيوائهم النبي ﷺ وأصحابه ويتعهدونهم أن يغزوهم بجميع العرب . فهم ابن أبي ومن معه بقتال المسلمين فاتاهم النبي ﷺ فقال : ما كادكم أحد بمثل ما كادكم قريش يريدون أن تلقوا بأسكم بينكم . فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق ففترقوا . فلما كانت وقعة بدر كتبت كفار قريش بعدها إلى اليهود أنكم أهل الحلقة والحصون ، يتهددونهم ، فأجمع بنو النضير على الغدر . فأرسلوا إلى النبي ﷺ أخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ، ويلقاك ثلاثة من علمائنا فإن آمنوا بك اتبعناك ففعل ، فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر ، فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير ، فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم . فرجع وصحبهم بالكتائب فحصرهم يومه ثم غدا على بني قريظة فحاصروهم فعاهدوه . فانصرف عنهم إلى بني النضير ، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء^(١) .

لقد رجح ابن حجر هذا السبب على المتقدم والحقيقة أنها متكاملان ، ولا يستبعد حدوثهما على التوالي ، وفي فترتين متقاربتين . فقريش أدركت أن هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ستمكن الاسلام من المناعة والقوة والانتشار على كامل الجزيرة العربية ولذلك سعت إلى تأليب القبائل وأصحاب الديانات حتى يقضوا على محمد

(١) ابن حجر: فتح ٧/ ٢٦٤ . ٢٦٥ .

وصحبه، فلا عجب بعد ذلك إذا رأينا رسل قريش يتصلون باليهود ويتوعدونهم تارة، ويشيرون فيهم الحمية أخرى، ويزينون لهم القضاء على محمد وصحبه. وكان الرسول ﷺ يطلع على هذه الاتصالات ويواجهها بالتخطيط المحكم الذي يأخذ بعين الاعتبار ميزان القوى وتفاوت القدرات. لذلك سعى عليه الصلاة والسلام قبل بدر أن ينبه اليهود، وأن يشرح لهم أن قريشا تريد في الحقيقة إضعافهم والتخلص من قوتهم. أما في المرة الثانية فقد وافق على محاورة علماء اليهود، لكنه لما علم بالغدر والخيانة حارب مجموعتين من اليهود الواحدة بعد الأخرى، وفي وقت متقارب وبين المرحلة الأولى من محاربة بني النضير والمرحلة الثانية التي انتهت باجلائهم، يمكن لما رواه ابن اسحق أن يقع. ويكون ذلك دليلا آخر على صبر الرسول ﷺ وسعيه إلى تمكين المذنب من التوبة والاقلاع عن الخطيئة. وهذا ما أكدته حديث ابن عمر رضي الله عنهما فقد ورد فيه أن بني قريظة قد أقرؤا في أراضيهم، ومن الرسول ﷺ عليهم، ولكنهم حاربوا بعد ذلك فنالوا القتل والسبي، ووقع اجلاؤهم إلا الذين لحقوا بالرسول ﷺ فأمنوا وأسلموا. فما وقع لبني قريظة قد وقع لبني النضير. فقد حاربهم الرسول ﷺ لما أرادوا اغتياله عن طريق الخيانة والتظاهر بالبحث عن الحقيقة بواسطة المناظرة، ومع ذلك فإنه لم يجلبهم عن ديارهم. ولكنهم قابلوا الاحسان بالاساءة فسعوا إلى قتله عليه الصلاة والسلام وذلك برمي الحجارة عليه مستغلين دية الرجلين. ويؤيد هذا التعاقب أن قضية الدية قد وقعت في أعقاب حادثة بئر معونة وذلك بعد أحد. وهكذا توضح الأحداث أمرين: أولهما: سعيه عليه الصلاة والسلام إلى استنفاد كل الوسائل لتحقيق تعايش سلمي بين المسلمين واليهود بالمدينة يكون وسيلة لمعرفة الله معرفة لا تشوبها شائبة. فتؤدي إلى التسليم بأن الدين واحد وأن الرسل عليهم السلام يبلغون عن ربهم شريعة واحدة وأن الانسان مهما كان جنسه أو لونه مطالب بالتصديق بكل ما جاء به الرسل عليهم السلام وآخرهم محمد ﷺ.

ثانيهما: أن هذا الدين المعتمد على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة قابله اليهود بعداوة لا تلين، وتلاعب لا يعرف سره إلا اليهود ماضيا وحاضرا

وتصميم على التخلص من الرسول ﷺ ظهر واضحا جليا منذ أدرك اليهود أن نفوذهم وسيطرتهم على المدينة لن تقوم لهما قائمة ما دام الرسول ﷺ قادرا على الاتصال بالصحابة وبغيرهم من الناس .

وأدرك الرسول ﷺ ما يسعى إليه اليهود كما أدرك أنهم لا يقيمون وزنا للوسائل السلمية ولذلك قرراخراج اليهود من المدينة المنورة في مرحلة أولى ، ومن كامل الجزيرة العربية بعد ذلك واتبع الرسول ﷺ وهو يتعامل مع هذه الحقيقة طريقة الاسلام المعتمدة على عناصر من أهمها احترام كرامة الانسان وذلك بايجاد الوسائل الكفيلة بتمكينه من تدبير الأمور والبحث عن الحقيقة والتوبة إلى الله والابتعاد عن الحقد والكراهية لذلك كان الرسول ﷺ إذا ما انتصر على اليهود فإنه يحاورهم ويستمع إلى مقترحاتهم وأحيانا يترك ما قرره فيهم من حكم إلى ما اقترحوه هم من مصير وسوف نعود إلى هذه القضية عند بحث الحوار الذي دار بينه وبين يهود خيبر.

إن هذا السلوك النبوي مكن بعض اليهود المهزمين من بني قينقاع أو النضير أو قريظة أو غيرهم من الإقامة بالمدينة المنورة والقرى المجاورة لها رغم الحكم الصادر باجلانهم ولكن الكثير من هؤلاء كانوا يقابلون الاحسان بالاساءة ويصدر عنهم ما من شأنه أن يؤدي إلى الحكم بالاعدام لو طبقت عليهم القوانين الوضعية ولكن الرسول ﷺ كان يعاملهم حسب التعاليم الاسلامية فيجتمع بهم ويدعوهم إلى الايمان ، فإذا ما رفضوا فإنه ينفذ فيهم حكما كان أجل تنفيذه لبعض الوقت .

وهكذا يجد الاشكال حول تعيين اليهود الذين انطلق الرسول إليهم وخاطبهم بقوله : «يا معشر اليهود أسلموا تسلموا . حله .^(١)

هذه السياسة النبوية سمحت لبعض اليهود من بني قريظة أو بني النضير بالبقاء بالمدينة إلى فترة متأخرة من حياته عليه الصلاة والسلام .

أورد مخرجو الحديث أن أبا هريرة قال : بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا

(١) كنا ذكرنا في ص ١٠٨ أنا سوف نعود لتعيين اليهود الذي دار معهم الحوار.

رسول الله ﷺ فقال: فدل ذلك بوضوح على أنه شارك في الاجتماع وكان ضمن الحاضرين في المسجد لما أقبل الرسول ﷺ وبما أن أبا هريرة لم يأت المدينة إلا بعد فتح خيبر فإن الواقعة حدثت بعد مجيئه أي أن اليهود المخاطبين ليسوا يهود خيبر فحوار الرسول ﷺ مع هؤلاء لم يحضره أبو هريرة كما أنه خصهم بحكم سنفرده بالدرس في تحليل حديث قادم.

اثار ابن حجر وغيره هذا الاشكال فقد جاء في فتح الباري: أن الامام مسلما ذكر حديث ابن عمر في إجلاء بني النضير ثم عقبه بحديث أبي هريرة فأوهم أن اليهود المذكورين في حديث أبي هريرة هم بنو النضير. ثم علق على هذه الاشارة بقوله وفيه نظر لأن أبا هريرة إنما جاء بعد فتح خيبر، وكان فتحها بعد اجلاء بني النضير وبني قينقاع^(١).

والمرجح أن اليهود الذين قالوا للرسول ﷺ قد بلغت حين توجه اليهم بقوله: «اسلموا تسلموا» هم مجموعة من اليهود كانوا بالمدينة بعد فتح خيبر أي بعد السنة السادسة من الهجرة وقد تجمعوا هناك لاسباب مختلفة فيهم من كانت مصلحة المسلمين تقتضي بقاءه بالمدينة، وفيهم من أظهر عند اجلاء قومه استعداداه لمعايشة الاسلام، وفيهم من كانت الظروف الانسانية تدعو لامهاله لعل الله ييسر له سبل الهداية، فلا عجب إذا قلنا إن الرسول ﷺ كان يتعهدهم ويسعى إلى اقناعهم بالتي هي أحسن. ولما تبين له أن الامهال لم يعد مجديا أراد أن يضعهم أمام مسؤولياتهم، وأن يبين لهم أنهم أمام خيارين. لاثالث. لهما: ذلك أنه استنفذ معهم كل طرق الاقناع فما زادهم ذلك إلا غرورا. وقد أكد ابن حجر جانبا من هذا المعنى حين قال: «الظاهر أن اليهود المذكورين هم بقايا من اليهود تأخروا بالمدينة بعد اجلاء بني قينقاع وقریظة والنضير والفراغ من أمرهم^(٢).

(١) ابن حجر: فتح الباري ١٢/٢٦٧.

(٢) ابن حجر: فتح الباري ٦/٢٠٨.

وهكذا يتضح :

١- أن أبا هريرة حضر هذا الاجتماع وشارك في الانتقال إلى حيث يقيم اليهود الذين استمرت اقامتهم بالمدينة برخصة نبوية تعود إلى الضرورة الصناعية وما شابهها فالأحداث التي تضمنها الحديث وقعت بعد غزوة خيبر.

٢- ان بعض يهود خيبر الذين أقروا بأرضهم قد يكون ضمن الحاضرين، ولكن أغليبتهم كانت بعيدة عن مكان الاجتماع فلم يشملها الخطاب النبوي ذلك أن اتفاقا قد وقع بينها وبين الرسول ﷺ.

٣- أن هذا الحكم النبوي لم يصدر مباشرة بعد معركة حربية بل أتى بعد عناية طويلة كان الرسول ﷺ قد أحاط بها هؤلاء اليهود أملا في إقناعهم بالتي هي أحسن ورأفة بحالهم رجاء أن يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم، وتوجت هذه العناية بموكب التحول إليهم وهو القادر على استقدامهم - صحبة ثلة من الصحابة الأبرار ثم مناداتهم بطريقة فيها من اللطف ما لا يوجد إلا في السيرة النبوية ذلك أنهم أعلموا بأن الاسلام الذي رفضوه يمكنهم من الأمن والطمأنينة والراحة النفسية. لقد كرر على مسامعهم أسلموا تسلموا. فالرسول ﷺ لم يتصرف مع المهزمين تصرف المنتصرين الذين يبيعون لأنفسهم اذلال الخصم وتعذيبه وسلبه حريته وممتلكاته. بل كان بالخصوم رحيمًا لا يستخدم العقوبات إذا ما بدا له أن الاصلاح ممكن، وأن الاقناع بالحجة والبرهان وارد. وإذا ما تأكد لديه خلاف ذلك فهو يمكن المهزم من وسائل العيش ويفتح له باب الضرب في أرض الله الواسعة مع تمكينه من ضروريات الحياة. فقد قال لليهود المخاطبين الذين أعمى الحقد والضلال بصرهم وبصيرتهم: فمن وجد منكم بهالة شيئا فليبعه.

٢- المباحث الفقهية :

أخرج الامام البخاري الحديث في كتاب الاكراه وعنون له هناك بقوله بيع المكره ونحوه في الحق وغيره وذلك ليبين مذهبه في قضيتين تناولهما الفقه

الاسلامي وبين موقف الشريعة منها وهما حد الاكراه، وحكم ما أكره عليه الانسان فقد أدرك الشراح أن العنوان الذي وضعه البخاري للباب يحتمل أوجه متعددة ذلك أن كلمة «نحوه» الواردة في العنوان قد تكون متعلقة بكلمة «بيع» فيصبح الحكم الذي يريد البخاري تأكيده يعود على كل أمر فعله المكره (بفتح الراء) كالبيع، واليمين، والجلاء وغيرها وقد تكون كلمة نحوه متعلقة بالمكره (بفتح الراء) فيصبح الحكم خاصا بالبيع دون سواه ولكن يعمم إلى بيع المكره والمضطر وما شابههما. أما قوله في الحق وغيره فقد يفيد الدين وغيره. أو الجلاء وغيره أو الجنائيات والماليات^(١).

وهكذا يتضح أن البخاري خرج الحديث وعنون له، فمكن الفقه الاسلامي من استنباط احكام بحثت في تحديد الاكراه وأنواعه وما يمكن للشارع أن يقبله منها وما يجب عليه أن يحرمه ليحمي المجتمع من سلبياته وليساهم في تحقيق مقاصد الشريعة من البيع والشراء ويوضح للناس الطرق التي يرضى عنها الله ورسوله في هذه الظاهرة الاجتماعية الاقتصادية.

الاكراه:

عرف العلماء الاكراه فذكروا أنه الزام الغير بما لا يريد^(٢).

وأنه اسم لفعل يفعله شخص بغيره فينتفي به رضاه أو يفسد به اختياره^(٣). وأنه تهديد القادر غيره على ما هدهد بمكروه على أمر، بحيث ينتفي به الرضا^(٤). ورجح بعض المعاصرين التعريف الأخير مع تغيير في العبارة فقال: الاكراه هو تهديد القادر غيره بضرر على أمر بحيث لولا خوفه من تنفيذ ما هدهد به لما أقدم عليه^(٥) وعلى كل فكل التعريفات المتقدمة تتفق على أن الاكراه فيه الزام مع قدرة أحد

(١) ينظر: فتح الباري ١٢/٢٦٧.

(٢) ابن حجر: فتح الباري ١٢/٢٦٢.

(٣) السرخسي: المبسوط ٢٤/٣٨.

(٤) انظر - فتح القدير ٥/١٠٩.

(٥) د. علي محي الدين علي القره داغي مبدأ الرضا في العقود ١/٤١٣.

الطرفين وعجز الثاني وفيه ارادتان تتعارضان ولذلك جعل بعضهم للاكراه أربعة شروط.

الأول: أن يكون فاعله قادرا على ايقاع ما يهدد به والمأمور عاجزا عن الدفع ولو بالفرار.

الثاني: يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك.

الثالث: أن يكون ما هدد به فوريا.

الرابع: أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره.

وإلى جانب البحث في شروط الاكراه، بين الفقهاء الفرق بين الاكراه والاضطرار، والاكراه والالجاء، كما بينوا الفرق بين الاكراه بحق كأن يكره الحاكم مدينا على بيع ما هو ليس بحاجة أكيدة إليه ليسدد ديونه، والاكراه بغير حق كأن يكرهه لبيع منزله حتى يضاف إلى أملاك هذا وذاك.

وردت في القرآن الكريم آيات تبين موقف الاسلام من الاكراه.

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)
وقال أيضا: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

وقال أيضا: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَنَ كُرْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَا نَحْصَنًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣)

ووردت في السنة أحاديث صحيحة تتصل بالاكراه وقد خرج الامام البخاري مجموعة منها في كتاب الاكراه وكذلك فعل غيره من أصحاب الصحاح والسنن^(٤).

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) يونس: ٩٩.

(٣) النور: ٣٣.

(٤) خ ٨٩ اكراه ٢. ٣. ٤. ٦. ٧. حم ٣٦٤/١. ٢٤٣/٢. ٣١٨-٣١٧. ٤٣٢/٣. ٤٧٦-٤٠٦/٤. ٣٩٤. ٤١١ ن. أفضية ٢٢. طلاق ٥٠ جهاد ٩٧. ت. أحكام ١ نكاح ١٨، جه طلاق ١٦، فتن ٣٠، دي نكاح ١٢.

وتدبر الآيات والأحاديث يبين أن الاكراه منهى عنه في الاسلام إذا أريد به استخدام السلطة والقوة لحمل الأفراد والجماعات على تغيير دينهم ومعتقدهم .
فقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ . الوارد عقب آية الكرسي يزيل ما يتبادر إلى بعض الأذهان، وما يثيره أصحاب الشبهات، من أن الأمر بالقتال الوارد في بعض الآيات والأحاديث هو لاكراه الناس على الدخول في الاسلام . فآية الكرسي، وما اشتملت عليه من دلائل الوجدانية وعظمة الخالق وتنزيهه عن النقائص، من شأنه أن يسوق ذوي العقول الى قبول هذا الدين الواضح العقيدة، المستقيم الشريعة، باختيارهم دون جبر ولا اكراه . ومن شأنه أن يجعل دوامهم على الشرك بمحل السؤال أيتروكون عليه أم يكرهون على الاسلام فكانت الجملة استثنافاً بيانياً^(١) .

ويتأكد الجواب الضمني الذي قدمه الشيخ والمؤكد أن الاسلام يسعى إلى ألا يترك الناس على الشرك، ولكنه لا يستخدم في سعيه ذلك الاكراه بالقياس المنطقي، فلا يجوز عقلاً أن تقام الأدلة العقلية والبراهين الحسية والأمثلة المتنوعة للاقناع بوجدانية الله وبما جاء به الرسل عليهم السلام، ثم يؤمر المؤمنون الصادقون بأن يستخدموا الوسائل القمعية والأسلحة المادية التي تقهر المخالفين وتكرههم على أن يسلموا بما أقيم على الحجة والبيان .

إن هذا الاستنتاج يحتاج الى البحث في الآيات والأحاديث التي تأمر المسلمين بالقتال والجهاد في سبيل الله والحديث الذي بين أيدينا واحد منها إذ فيه اكراه، وإن لم تصل وسائله الى الاعتداء على الدماء إلا أنها تحرم بعض البشر من أموالهم وممتلكاتهم وفي ذلك حمل لهم على مكروه .

ذهب بعضهم الى أن الاكراه على الاسلام الذي جاءت به بعض الآيات والحديث النبوي «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٢٥/٣ .

رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحق الاسلام وحسابهم على الله»^(١) قد نسخته آية لا اكراه في الدين .
وذهب البعض الآخر الى أن آيات وأحاديث القتال على ثلاثة أنواع .

النوع الأول :

آيات فرضت وأمرت بالقتال الذي يكون ضروريا للدفاع عن الدين أو النفس أو المال أو ما شابهها . ويستمد هذا القتال أصوله من قوله تعالى : ﴿ مَن أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ مِمَّنْ لَّمَّا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ ۖ ﴾^(٢) .

النوع الثاني :

آيات فرضت القتال وأمرت به ، وبينت أن الهدف منه لا يتمثل في حمل الخصم على الدخول في الاسلام ، وإنما الغاية منه الوصول به إلى قبول الحياة في مجتمع اسلامي تسيره حكومة تطبق تعاليم الاسلام وتسهر على ألا يقع الاعتداء على حرمان الله .
إن هذا النوع من القتال شرع ليمكن خصوم الاسلام من أن ينعموا بحرية العقيدة وبالامن والطمأنينة ولكنه يطالبهم بأن يقبلوا أن يتمتع غيرهم أيضا بحريته العقدية ، وبالمحافظة على ماله ودمه وعرضه . كما يطلب منهم أن يسلموا بأن هناك أغلبية مسلمة عليه أن يتعاون مع أفرادها وأن يسلم لها بقيادة المجتمع حسب التوجيهات التي أنزلها الله تعالى . وإذا رفض بعضهم هذه المعادلة فعلى المسلمين قتاله حتى يسلم بما تقبله العقول النيرة التي لا سلطان للهوى عليها فإذا ما فعل ذلك وعبر عنه بطريقة عملية ، دفع الجزية أحد مظاهرها فإنه ينال الأمن والأمان . قال تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ۖ ﴾ فهؤلاء الذين ذكرتهم الآية هم الذين توجه إليهم الرسول ﷺ بقوله «أسلموا تسلموا» لقد حاربهم ﷺ قبل ذلك وسمح لهم بالحياة داخل المجتمع

(١) متفق عليه . واللفظ للبخاري كتاب الايمان / ١٧ .

(٢) ٢ . البقرة ١٩٤ .

(٣) ٩ . التوبة ٢٩ .

الاسلامي حسب التوجيهات الاسلامية، ولكنهم تأمروا وقاموا بما يسيء الى المجتمع، فكان من الضروري أن تستخدم معهم طريقة تسير صنيعهم، وتحمي المجموعة الاسلامية، وهذه الطريقة مستمدة من النوع الثالث من آيات القتال الوقائي أي الذي يقي المجتمع من المخربين مهما كانت مواقعهم. ويمثل هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةً الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(١)

إن اليهود الذين توجه إليهم الرسول ﷺ هم من هذا النوع فكان الواجب قتلهم وتخليص المدينة منهم، حتى لا تكون فتنة وبما أن القتال المادي كان قد حصل قبل ذلك وتمتعوا بعفو نبوي سمح لهم بالبقاء بالمدينة المنورة وبما حولها من القرى فلم يبق الا جعلهم أمام خيارين إما أن يتدبروا الأمر ويقنعوا أنفسهم بالاسلام، فيتمتعوا بسباحته ويزدوقوا حلاوة الايمان وإما أن يغادروا مجتمعاً لم يعد أفرادهم يطمئنون إليهم نتيجة أعمالهم. فإذا ما اختاروا الحل الثاني فبإمكانهم التفويت في متاعهم بالبيع. فاليهود المخاطبون أوصلوا أنفسهم إلى حالة جعلت أمامهم اختيارين ثانيهما قد يؤدي ببعضهم الى بيع متاعه ببيعا اضطراريا. وهكذا استنتج بعضهم أن قوله ﷺ لليهود: فمن وجد منكم بماله شيئا فليبيعه هو بيع المضطر أقرب. نقل ابن حجر عن الخطابي قوله بأن البخاري كان يميز بيع المكروه انطلاقاً من هذا الحديث الذي هو بيع المضطر أشبه ذلك أن المكروه على البيع هو الذي يحمل على بيع الشيء شاء أو أبى واليهود هنا لم يجبروا على بيع أرضهم^(٢).

إن ما ذهب إليه الخطابي يساير ما ذكرناه من أن الرسول ﷺ قد وضع اليهود المخاطبين أمام بعض الاختيارات التي أوصلوا إليها أنفسهم. ولكن هذا لا يمنع من القول بأن هذا الوضع لا يخلو من اكراه. ولكنه اكراه بحق وهو نظير ان يكره الحاكم المدين على بيع أرض له أو عقار لتسديد ما عليه من دين أو غيره. فالاسلام حرم اكراه المقاتلين على الاسلام، ذلك أن الايمان لا يكون بالاكراه أما المعاملات

(١) ٩. التوبة ١٢.

(٢) ابن حجر: فتح الباري ٢٦٧/١٢

بين الافراد والجماعات وتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، فقد أكد العلماء على أن الاكراه الشرعي والذي سماه بعضهم الاكراه بحق، مباح. وقد يصبح أحيانا واجبا. وضربوا لذلك أمثلة ذكرنا فيها تقدم اكراه المدين على بيع ما عنده من عرض لأداء دينه. فهذا الأداء واجب. فإذا تعذر القيام به إلا بالاكراه أصبح هذا الأخير واجبا طبقا للقاعدة الأصولية ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب - وللحاكم أن يكرهه على بيع العرض في وفاء دينه. وله أن يبيع عليه اذا امتنع^(١).

وذكر العلماء أمثلة أخرى فيها إكراه شرعي فللحاكم أن يكره من كان عنده طعام زائد عن حاجته على بيعه إلى من هم في حاجة إليه في بعض الحالات. ويمكنه أيضا أن يحمل من كانت عنده مساكن شاغرة على إيجارها لا سكان من لا مأوى لهم.

وباستطاعته أن يكره بعض الناس على القيام ببعض الصناعات أو تعلم بعض العلوم اذا كان المجتمع في حاجة إليها ولم يوجد العدد الكافي من المهتمين بها، ومن الاكراه الذي يمكن للحاكم وصاحب السلطة أن يمارسه اخراج الأفراد أو الجماعات من المدينة أو القرية اذا كان ذلك يقي المجموعة الفتن، ويبعد عنها الآفات، ويحميها من الأمراض وهذا ما صنعه الرسول ﷺ عندما أخرج اليهود من المدينة. واضطروهم الى أن يبيعوا متاعهم. فلا صلة لعمل الرسول ﷺ باكراه الناس على الايمان، بل يتجلى فيما فعله ﷺ سماحة الاسلام وواقعيته وحمايته للنفس البشرية عموما من الاضطراب، والخصاصة واليأس من الحياة، ويمكن للباحث أن يجد الأمثلة المتعددة لطريقة الاسلام هذه ومن بينها موقف الرسول ﷺ من يهود خيبر وما دار بينه وبينهم من حوار حين هزمهم وفتح أرضهم وحصونهم.

يهود خيبر:

روى البخاري بسنده قال: ثني أحمد بن المقدام ثنا الفضيل بن سليمان ثنا

(١) ابن تيمية الفتاوى ٢٩/١٩٠.

موسى بن عقبة قال: أخبرني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها. وكانت الأرض لما ظهر عليها لليهود وللرسول وللمسلمين. فسأل اليهود رسول الله ﷺ أن يتركهم على أن يكفوا العمل. ولهم نصف الثمر. فقال رسول الله ﷺ «ترككم على ذلك ما شئنا» فأقروا حتى أجلاهم عمر في إمارته الى تيماء وأريحا^(١).

تخريج الحديث:

خرج البخاري هذا الحديث بالفاظ متقاربة في كتاب الحرث والمزارعة وعنون له هناك باب اذا قال رب الأرض أقرك ما أقرك الله ولم يذكر أجلا معلوما فهما على تراضيهما.

وخرجه أيضا في كتاب الشروط تحت عنوان إذا اشترط في المزارعة اذا شئت أخرجتك وخرجه مختصرا في كتاب المغازي بعد حديث استعمال النبي ﷺ على أهل خيبر.

وخرج الامام مسلم ما دار بين الرسول ﷺ ويهود خيبر، وسبب إخراجهم في كتاب المساقاة بطرق ثلاثة. وفي كتاب الجهاد والسير بطريق واحد. وأخرجه أبو داود في كتاب الخراج والامارة والفيء بثلاثة طرق، وفي كتاب البيوع في البابين الخامس والسادس بعد الثلاثين.

ومن الذين خرجوا أحاديث إخراج يهود خيبر الامام أحمد بن حنبل في مسندي عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وابن ماجه في كتاب الزكاة والامام مالك بن أنس في كتاب المساقاة في موضعين.

(١) خ. ٥٧ كتاب الخمس ١٨، ما كان رسول الله ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم ح ١٠.

خصائص الاسناد :

روى ما دار بين الرسول ﷺ ويهود خيبر، وأخبار اخراج يهود خيبر من الجزيرة العربية من الصحابة عمر بن الخطاب وابنه عبدالله وجابر بن عبدالله وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم، ورواه من التابعين نافع مولى ابن عمر وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار.

ومما يلاحظ :

١ - أن روايات البخاري جاءت من طريق واحد في موضعين فشيخ البخاري فيها هو أحمد بن المقدم الذي أخذ الحديث عن فضيل بن سليمان، وهذا أخذه عن موسى ابن عقبة عن نافع عن ابن عمر. وعن الشيوخ الثلاثة الآخرين خرج الامام مسلم الحديث في كتاب المساقاة.

٢ - خرج الامام البخاري الحديث في كتاب الشروط عن شيخه أبي حامد الذي أخذه عن محمد بن يحيى أبي غسان الكناني عن مالك عن نافع عن ابن عمر.

٣ - أرسل الامام مالك الحديث في الموطأ مرتين. أرسله في الأولى سعيد بن المسيب وفي الثانية سليمان بن يسار وكذلك فعل الامام أبو داود. فقد خرج مرة مرسلًا عن الزهري وعبدالله بن أبي بكر وبعض ولد محمد بن مسلمة وأخرى أرسله سعيد بن المسيب.

ألفاظ الحديث :

ذكرت أغلب روايات الحديث مناسبة وروده الى جانب الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ واليهود بعد خيبر، والذي دار بين عمر وبعض اليهود من خيبر. لذلك يحسن بنا أن ندرس ألفاظ الحديث حسب العناصر الآتية :

— مناسبة ورود الحديث .

— ألفاظ الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ويهود خيبر.

— أخبار خيبر منذ فتحها الى جلاء اليهود عنها في خلافة عمر رضي الله عنه .

أ - مناسبة الحديث :

جاء في رواية للبخاري^(١) أن ابن عمر رضي الله عنهما حدث بالحديث ليخبر أن أباه رضي الله عنه أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز ثم ذكر ما كان من أمر الرسول ﷺ وأمر اليهود عندما فتحت خيبر.

وجاءت رواية مسلم في كتاب المساقاة مطابقة لرواية البخاري هذه .
أما رواية البخاري في كتاب الشروط فقد جاءت مفصلة لمناسبة وروده فأفادت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام خطيبا ليعلم الناس بما صدر عن اليهود من غدر . فقد أفادت الرواية أن الخليفة الثاني أعلم الحاضرين بأن ابنه عبدالله بن عمر قد خرج الى ماله هناك أي بخيبر، فعدي عليه من الليل ففدعت يده ورجلاه . وجاء في رواية الامام أحمد أن ابن عمر قص ما تعرض له من اعتداء فقد قال : خرجت أنا والوزير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهد بها فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا . قال فعدي علي تحت الليل وأنا نائم على فراشي ففدعت يداي من مرفقي فلما أصبحت أستصرخ على صاحبي فأتاني فسألاني عمن صنع هذا بك؟ قلت لا أدري^(٢) .

لقد اشتركت الروايتان في أن عبدالله بن عمر كانت له أرض بخيبر، وأنه كان وغيره من المسلمين يتفقدون أراضيهم ويسهرون عليها ويصلحونها، وأنهم كانوا يتعاملون مع من بقي من اليهود الذين أقروا بخيبر لأسباب ، وحسب ظروف ، وعملا بتوجيهات الاسلام المبنية على التسامح . ولكن اليهود كانوا يقابلون ذلك بالغدر . فقد اغتتموا فرصة وجود ابن عمر وحيدا ونائما فعنفوه إلى أن فدعوا يديه ، فالعنف الذي مارسه اليهود مع ابن عمر قد تسبب في زيف مجموعة من عظامه من أماكنها . ذلك أن الفدع كما جاء في كتب اللغة هو زوال المفصل ، يقال فدعت يده إذا أزيلتا من مفاصلهما . وقال الخليل : الفدع عوج في المفاصل وفي خلق الانسان

(١) خ ١٧/٤١ و ١٨/٥٧ ح ١٠ .

(٢) حم ١/١٥ .

الثابت. وقال الأصمعي: الفدع هو زيف في الكف بينها وبين الساعد، وفي الرجل بينها وبين الساق.

فاليهود الذين اعتدوا على ابن عمر وهو نائم كانوا يريدون أن يتسببوا له في سقوط بدني يجعله عاجزا. ولا ينظر الى ما ذهب إليه بعضهم من أن اليهود قد سحروا ابن عمر. فالثابت أنهم ضربوه وعنفوه، وذلك بالاعتداء المادي على جسمه. فقد جاء في رواية حماد بن سلمة التي علق البخاري اسنادها فلما كان زمن عمر غشوا المسلمين وألقوا ابن عمر من فوق بيت، ففدعوا يديه (الحديث) ^(١).

إن الفعلة التي قام بها اليهود كانت تحت جناح الليل، حتى يتمكنوا بعد ذلك من الإنكار واتهام من يريدون. ولكن الأمر لم يخف على عمر رضي الله عنه. فقد حلل الأحداث، واستقرأ ما بالنفوس وبحث عن العلل والدوافع. فقال في رواية البخاري مخاطبا الحاضرين بعد أن أعلمهم بما حدث لعبدالله: وليس لنا هناك عدو غيرهم. هم عدونا وتهمتنا.

وجاء في رواية أحمد أن الزبير والمقداد بن الأسود رضي الله عنهما قدما لعبدالله العلاج المناسب قبل أن يعودا به الى المدينة، ويخبرا عمر بما حصل. فقام خطيبا في المسلمين وقال: هذا عمل يهود. أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خبير على انا نخرجهم اذا شئنا. وقد عدوا على عبدالله بن عمر. ففدعوا يديه كما بلغكم، مع عدوتهم على الأنصار قبله. لا نشك أنهم أصحابهم ليس لنا هناك عدو غيرهم.

ففي هذه الرواية تصريح بأن اعتداء اليهود على ابن عمر لم يكن عملية منعزلة ولا حادثة طارئة، وإنما هو جزء من خطة عدوانية تستهدف المسلمين وتريد بهم الشر لذلك قرر عمر رضي الله عنه أن يخرج اليهود، ويخلص المسلمين من كيدهم. وسنده في ذلك أن الرسول ﷺ قد أقرهم في خير اقرارا مؤقتا مشروطا لذلك ذكر الحاضرين بالحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين اليهود عند فتح خيبر.

(١) ابن حجر: فتح ٢٥٠/٥.

ألفاظ الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ويهود خيبر:

ورد الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ويهود خيبر عقب فتحها في أغلب الروايات عن طريق الأخبار لا الانشاء فقد جاء في أغلبها أن الرسول ﷺ لما ظهر على خيبر أراد اخراج اليهود منها . جاءت هذه الصيغة في موضعين عند البخاري^(١) وجاء في رواية ما يفسر الظهور على خيبر بأنه افتتاحها . فقد روي عن نافع عن عبدالله بن عمر قال : لما افتتحت خيبر^(٢) وفصلت بعض الروايات ، فبينت قتال الرسول ﷺ لأهل خيبر ، وانتصاره عليهم واحتوائهم بقصورهم . فقد روي عن ابن عمر أن النبي ﷺ قاتل أهل خيبر فغلب على النخل والأرض والجأهم في قصرهم فصالحوه^(٣) وجاء في رواية مرسلّة أن جماعة من يهود خيبر هم الذين تحصنوا ثم طلبوا من الرسول ﷺ أن يصالحهم^(٤) فهذا الجزء من الحديث يبين أن الرسول ﷺ حارب يهود خيبر وانتصر عليهم وأراد اخراجهم من أراضيهم وكان هذا الجزء محورا لبعض المباحث كسير الأحداث التي أدت الى الحرب بين الرسول ﷺ ويهود خيبر ، وطريقة افتتاح خيبر ، أهو الصلح أم الحرب ؟ ولماذا فكر الرسول ﷺ في اخراج يهود خيبر من أراضيهم . ان اجماع الروايات على أن الرسول ﷺ أراد اخراج يهود خيبر يقتزن أيضا بطلب هؤلاء من الرسول ﷺ أن يسمح لهم بالبقاء بأرضهم واستثمارها على أن يتقاسموا مع المسلمين انتاجها . وعبرت الروايات عن هذا الطلب بالألفاظ التالية :

فسألت اليهود رسول الله ﷺ ليقرهم بها (الأرض) على أن يكفوا عملها ولهم نصف الثمر^(٥) .

— سألت يهود رسول الله ﷺ أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر^(٦) .

(١) خ ١٧/٤١ ، ١٨/٥٧ ح ١٠م : ٢٢ مساقاة ١ .

(٢) م ٢٢ مساقاة ١ (١٥٥١) طر ٤ + د . ١٤ / الخراج والامارة والفيء ٣٠٠٨ - ٣٤١٠ .

(٣) د . ٢٤ / ١٤ (٣٠٠٦) .

(٤) د . ٢٤ / ١٤ (٣٠١٦) .

(٥) خ ١٧/٤١ . ١ / ٢٢ .

(٦) خ ١٨ / ٥٧ (١٠) .

— سألت يهود رسول الله ﷺ أن يقرهم بها على أن يعملوا على ما خرج منها من الثمر والزرع^(١).

— سألت يهود رسول الله ﷺ أن يقرهم على أن يعملوا على النصف مما يخرج منها^(٢).

فهذه الألفاظ تشترك في أن يهود خيبر قد طلبوا من الرسول ﷺ ألا يخرجهم من أرضهم وأن يسمح لهم بالبقاء والعمل. وجاء في رواية لأبي داود أن اليهود قد عللوا طلبهم هذا، فبينوا أنهم أدرى بالأرض من المسلمين. أي إنهم يستطيعون استثمارها بطريقة أنجع وأحسن، وأن مردودها على أيديهم سيكون أوفر مما لو تركت للمسلمين. فعن ابن عباس قال: قال أهل خيبر نحن أعلم بالأرض منكم فأعطنا على أن لكم نصف الثمر ولنا نصف^(٣).

وإلى جانب هذه الروايات التي حصرت طلب اليهود في البقاء بالأرض هناك روايتان لم تذكر هذا الطلب، فبينت أحدهما أنه بقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا، فسألوا رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ويسيرهم^(٤) وفصلت الثانية فذكرت أن اليهود قبلوا التنازل على حليهم وسلاحهم مقابل خروجهم سالمين حاملين بعض أمتعتهم. فقد روى عن ابن عمر أن النبي ﷺ قاتل أهل خيبر، فغلب على النخل والأرض، وألجأهم إلى قصرهم، فصالحوه على أن لرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة ولهم ما حملت ركا بهم على أن لا يكتموا ولا يغيروا شيئاً^(٥).

وهكذا يتضح من الألفاظ المتقدمة أن يهود خيبر انقسموا إلى مجموعتين طلب أفراد الأولى من الرسول ﷺ أن يصالحهم على أن يستمروا مقيمين بديارهم عاملين على استثمار أراضيهم مقابل التنازل عن نصف ما ينتجون.

وسعت المجموعة الثانية إلى التنازل على ما تملكه من ذهب وفضة وسلاح

(١) م ٢٢ مساقاة / ١ (١٥٥١ ط).

(٢) د. ٢٤ / ١٤ (٣٠٠٨).

(٣) د. ١٧ كتاب البيوع والاجارات ٣٥ (٣٤١٠).

(٤) د. ٢٤ / ١٤ (٣٠١٦).

(٥) د. ٢٤ / ١٤ (٣٠٠٦).

مقابل تمكينها من الخروج من خير حاملة لما تحتاجه من زاد، يسمح لها بالحياة بعيدا من أرض الحجاز.

وعلى طريقة الرسول المتمثلة في أنه لم يبعث ليستعبد الانسان ويذله ويحرمه من الحياة، فقد قبل الرسول ﷺ مطلب الصنفين من اليهود، ولكنه احتاط من غدرهم وخيانتهم وتلاعبهم بالألفاظ وجاء هذا القبول بالصيغ التالية:

— فقال لهم رسول الله ﷺ نفركم بها على ذلك ما شئنا^(١).

— نترككم على ذلك ما شئنا^(٢).

— أفركم فيها ما أفركم الله عز وجل على أن الثمر بيننا وبينكم^(٣).

ولم تذكر روايات ما قاله الرسول ﷺ لليهود واقتصرت على أنه ﷺ وافق على طلبهم فبعد أن أوردت رواية عن ابن عباس ما قاله أهل خير للرسول ﷺ، ذكرت قول الراوي فزعم أنه أعطاهم ذلك^(٤) وجاء في رواية للبخاري عن عبدالله بن عمر أنه قال: أعطي النبي ﷺ خير اليهود أن يعملوها ويزرعوها. ولهم شطر ما يخرج منها^(٥).

وفي رواية عن جابر بن عبدالله أنه قال: أفاء الله عز وجل خير على رسول الله ﷺ فأقرهم رسول الله ﷺ كما كانوا وجعلها بينه وبينهم^(٦).

وهكذا يتضح أن الروايات أجمعت على أن الرسول ﷺ استجاب لطلب بعض اليهود بالبقاء بخير، وأنه قيد الاستجابة بطريقة تسمح للمسلمين بالدفاع عن مكتسباتهم وتضع اليهود أمام مسؤولياتهم.

(١) خ ١٧/٤١ - م ١/٢٢ - ح ١٥٥١ طر ٥ و ٥٠ د. ١٤/٢٤ (٣٠٠٨).

(٢) خ ١٨/٥٧ (١٠).

(٣) ط ٣٣ مساقاة ١.

(٤) د. ١٧ / كتاب البيوع والاجارات / ٣٥ (٣٤١٠).

(٥) خ ٦٤ مغازي / ٤٠ معاملة النبي ﷺ أهل خير.

(٦) حم ٣/٣٦٧ + د. ٣٦/١٧ (٣٤١٤).

اخبار خير منذ فتحها إلى اجلاء اليهود عنها :

ذكرت بعض الروايات وقت وصول الرسول ﷺ الى خير، ومتى كان اللقاء بينه وبين يهودها الذين خرجوا متسلحين مستعدين للحرب مصممين على الانتصار. فقد جاء في رواية للبخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، أتى خير ليلا وكان إذا أتى قوما بليل لم يغر بهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم. فلما رأوه قالوا محمد والله محمد والخميس. فقال النبي ﷺ خربت خير انا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين^(١).

لم تصف الاخبار بداية المعركة والمراحل التي مرت بها، واكتفى أغلبها بأن الرسول ﷺ ظهر على أهل خير، أي انتصر عليهم، وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل خير. . . وكانت الأرض لما ظهر عليها لليهود وللرسول وللمسلمين^(٢). وزادت بعض الروايات أن المعركة دارت على مرحلتين، التقى المقاتلون في الأولى مباشرة وبعد ذلك تحصن اليهود بحصونهم التي حاصرها الرسول ﷺ، إلى أن قبلوا الصلح، وتعاقدوا مع الرسول ﷺ كما ورد ذلك في ألفاظ الحوار.

جاء في رواية لأبي داود عن ابن عمر أن النبي ﷺ قاتل أهل خير فغلب على النخل والأرض وألجأهم الى قصرهم فصالحوه^(٣).

فالغلبة التي كانت للمسلمين على النخل والأرض هي نتيجة للقاء المحاربين مباشرة على أرض المعركة، فالفرس يقابل الفارس أما الاجاء إلى القصر فيفيد أن سير المعركة قد تغير فالمنهزم يسعى في محاولة أخيرة الى التحصن والاحتباء عله يستعيد قوته، أو يجبر خصمه على الانسحاب أو يطلب منه أن يحقن دمه، وأن يصالحه. وهذا ما ذكرته رواية ثانية لأبي داود عن الزهري وعبد الله بن أبي بكر وبعض ولد محمد بن مسلمة قالوا: بقيت بقية من أهل خير تحصنوا، فسألوا رسول الله ﷺ أن

(١) خ ٦٤ المغازي / ٣٨ باب غزوة خير ح ٥.

(٢) خ ٥٧ الخمس / ١٩ ح ١٠.

(٣) د ٢٤ / ١٤ (٣٠٠٦).

يحقق دماءهم ويسيرهم. ففعل. والذي يستنتج من مجموع الروايات أن بعض أهل خيبر خرجوا منها في عهده ﷺ، والبعض الآخر بقي يعمل بها حسب الرخصة التي مكّنهم منها الرسول ﷺ وأنهم استمروا يعملون الأرض وينتجون ويؤدّون للرسول ﷺ نصف انتاجهم.

تطبيق الاتفاق:

ذكر الامام مالك في الموطأ حديثاً أرسله سليمان بن يسار وجاء فيه أن رسول الله ﷺ كان يبعث عبدالله بن رواحة الى خيبر فيخرس بينه وبين يهود خيبر. قال: فجمعوا له حلياً من حلي نسائهم فقالوا له: هذا لك، وخفف عنا وتجاوز في القسم. فقال عبدالله بن رواحة: يا معشر يهود والله انكم لمن أبغض خلق الله إلي، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم. فأما ما عرضتم من الرشوة، فإنها سحت وإننا لا نأكلها. فقالوا بهذا قامت السموات والأرض^(١) وقد وصل هذا الحديث الأئمة أحمد ابن حنبل عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، وأبو داود وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وذكرت رواية أحمد بن حنبل انتصار الرسول ﷺ على يهود خيبر واقرارهم بأرضهم كما كانوا وجعلها بين الرسول ﷺ وبينهم. ثم ذكرت أن الرسول ﷺ بعث عبدالله بن رواحة فخرصها عليهم ثم قال لهم: يا معشر اليهود انتم أبغض الخلق إلي. قتلتم أنبياء الله عز وجل وكذبتهم على الله وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم، فقد خرصت عشرين ألف وسق من تمر. فإن شئتم فلکم وإن أبيتم فلي. فقالوا بهذا قامت السموات والأرض قد أخذنا فاخرجوا عنا^(٢). ووافقت رواية أبي داود رواية الامام أحمد في عدم ذكر الرشوة التي عرضها اليهود على عبدالله بن رواحة، ولم تذكر قول اليهود قد أخذنا فاخرجوا عنا. وزادت على الروایتين السابقتين

(١) ط ٣٣ مساقاة ب ١.

(٢) حم ٣٦٧/٣.

وصف الطريقة التي كان عبدالله بن رواحة يقسم بها المنتج . وقول اليهود : أكثر علينا يا ابن رواحة^(١) فقد اتفقت هذه الروايات على أن الاتفاق الواقع بين الرسول ﷺ ويهود خيبر كان يطبق ، فعبدالله بن رواحة هو الذي ينوب الرسول ﷺ في حصر الانتاج وقسمته . فعندما يحين موعد الصرم يتوجه الى خيبر ليقوم بحزر الانتاج . والصرم هو قطع الثمر وجنيه . جاء في القرآن الكريم في قصة أصحاب جنة ضروان^(٢) : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْحِرِينَ ﴾^(٣) أما الحزر وهو الذي يسميه أهل المدينة الخرص «فهو التقدير جاء في حديث أنس رضي الله عنه في وصف وضوء الرسول ﷺ فحزرت من توضأ ما بين السبعين الى الثمانين^(٤) قال ابن حجر فحزرت بتقديم الزاي : أي قدرت^(٥) فعبدالله بن رواحة كان يلاقي بعض الصعوبات في عمله . فاليهود يسعون الى ارشائه تارة ، ويتذمرون من صنيعة أخرى ، ولكنه كان يتوصل الى أداء واجبه حسب التعليمات النبوية ، فلا يترك الهوى يتغلب عليه ولا يلجأ الى الانتقام .

فقد قال لليهود الذين عرضوا عليه الرشوة ليعاملهم : يا معشر اليهود والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلى وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم ، فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت وإننا لا نأكلها^(٦) وأجابهم لما قالوا له : أكثر علينا يا ابن رواحة ، فأنا إلي حزر النخل ، وأعطيكم نصف الذي قلت^(٧) وقال لهم مرة : يا معشر اليهود أنتم أبغض الخلق الي . قتلتم أنبياء الله عز وجل وكذبتهم على الله وليس يحملني بغضي اياكم على أن أحيف عليكم . قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر فان شئتم فلکم وإن أبيتم فلي^(٨) .

(١) د . ١٧ البيوع والاجارات / ٣٥ (٣٤١٠) .

(٢) قرية في بلاد اليمن قرب صنعاء .

(٣) القلم ١٧ .

(٤) خ ٤ وضوء / ٤٦ ح ٢ .

(٥) ابن حجر : فتح ٤ / ٢٤٣ .

(٦) ط . ٣٣ مساقاة / ١ .

(٧) د . ١٧ / ٣٥ (٣٤١٠) .

(٨) حم ٣ / ٣٦٧ .

فهذه الأقوال التي صدرت عن ابن رواحة قد تكون متباعدة في المكان لا في الزمن، أي أنها قيلت في عام واحد وفي أماكن متفرقة من خير، ومع مجموعات متعددة من اليهود. ذلك أن الرسول ﷺ بعثه عاما واحدا وقتل بعده بأشهر^(١) وهي تبرز التوجيهات الإسلامية المتمثلة في التمييز بين العواطف الشخصية وضرورة إقامة العدل والحكم بما أنزل الله ورسوله، والواقية صاحبها من النهم والجشع وأكل السحت وغيرها من المحرمات.

أما يهود خير فلا يختلفون عن اليهود بصفة عامة، فهم لا يتخلون عن البحث عن المال والمتاع بالطرق المشروعة وغيرها. فهم يجمعون الحلي ويقدمونها رشوة لمن بعثه الرسول ﷺ مؤتمنا وهم يهتمون المنصف بأنه جائر لا يحكم بالعدل. ولكنهم عندما يشعرون بأنه أسقط في أيديهم وبأنهم ضعفاء ليس بمقدورهم فرض شروطهم، فإنهم يتظاهرون بالتسليم فيقولون لمن سعا إلى جعله مرتشيا ولن اتهموه بأنه يكثر عليهم: هذا الحق وبه تقوم السماوات والأرض.

صرف نصيب المسلمين من متوج أرض خير:

ذكرت روايات أن الرسول ﷺ قسم خير نصفين، وأنه خص أحدهما لحوائجه ونوائبه، وقسم الثاني على ثمانية عشر سهما وزعها على المسلمين، فقد أخرج أبو داود عن بشير بن يسار عن سهل بن أبي حثمة قال: قسم رسول الله ﷺ خير نصفين: نصفاً لنوائبه وحاجته ونصفاً بين المسلمين قسمه بينهم على ثمانية عشر سهماً^(٢).

وإلى جانب هذه الرواية التي اجملت مجال صرف النصف المخصص للرسول ﷺ نجد رواية ثانية لأبي داود أيضاً وأفادت أن الرسول ﷺ كان يعطي نساءه من متوج أرض خير وأن نصيب كل واحد منهن كان معيناً فقد جاء في آخر

(١) الزرقاني في شرح موطأ الإمام مالك ١٦٤/٣.

(٢) د. ٢٤/١٤ (٣٠١٠).

رواية لابن عمر «وكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقا»^(١) من تمر وعشرين وسقا من شعير»^(٢).

وجاء في رواية ثانية أن نصف متزوج خير العائد الى المسلمين كان يقسم أسهما يعود خمسهما إلى الرسول ﷺ، ومنه كانت تطعم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن. وكان نصيب كل واحدة منهن مائة وسق تمرا وعشرين وسقا شعيرا.

فمقدار التمر العائد الى كل واحدة من نساء الرسول ﷺ قد اختلف في الروايتين فهو ثمانون وسقا في الأولى، ومائة في الثانية أي هو ثمانمائة وأربعة آلاف صاع بصاع الرسول ﷺ في الأولى وستة آلاف صاع في الثانية، أما بالنسبة للشعير، فالمقدار واحد أي مائتان ألف صاع. وسواء أخذنا بالرواية الأولى أو الثانية، فكل الأخبار تفيد أن الأمر استمر على ذلك الى عهد عمر رضي الله عنه فلما أراد عمر اخراج اليهود أرسل إلى أزواج النبي ﷺ فقال لهن: من أحب منكن أن أقسم لها نخلا بخرصها مائة وسق فيكون لها أصلها وأرضها وماؤها، ومن الزرع مزرعة خرص عشرين وسقا، فعلنا. ومن أحب أن نعزل الذي لها في الخمس كما هو فعلنا»^(٣).

وهكذا يتضح أن نصيب نساء الرسول من خير كان يسمح لهن بالحصول على جانب مهم من الغذاء، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: لما فتحت خير قلنا الآن نشبع من التمر»^(٤).

ولم يقتصر هذا الخير على أمهات المؤمنين رضي الله عنهن بل شمل كثيرا من

(١) الوسق: ستون صاعا بصاع النبي ﷺ: عون المعبود ٢٤١/٨.

(٢) د. ٢٤/١٤ (٣٠٠٦).

(٣) د. ٢٤/١٤ (٣٠٠٨).

(٤) خ ٦٤ مغازي / ٣٨ ح ٤٠.

المسلمين فهذا أبو هريرة يقول: «افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهابا ولا فضة وإنما البقر والابل والمتاع والحوائط»^(١).

وهذا ابن عمر يقول: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر^(٢).
وقد أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن طريقة الرسول ﷺ في التعاقد مع يهود خيبر تعود على المسلمين بالخير وخاصة على المعاصرين منهم للحدث. لذلك قال: لولا آخر المسلمين ما فتحت عليهم قرية الا قسمتها كما قسم النبي ﷺ خيبر^(٣).

اجلاء اليهود عن خيبر:

أجمعت كل الروايات على أن اجلاء اليهود نهائيا عن خيبر كان في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ولكن الاختلاف بينها وقع في سبب هذا الاجلاء، فبعضها لم يتعرض له، واكتفى بإيراد الاتفاق الذي وقع بين الرسول ﷺ ويهود خيبر، ثم ذكر أن اليهود أقروا بأرضهم حتى أجلاهم عمر في إمارته^(٤).

وجاء في رواية لأبي داود عن أحمد بن حنبل: أيها الناس ان رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إن شئنا فمن كان له مال فليلحق بها، فإني مخرج يهود، فأخرجهم^(٥).

فعمر رضي الله عنه أدرك أن اقرار اليهود بخيبر ليس نهائيا فقلوه ﷺ: أفركم فيها على ذلك ما شئنا هو كما قال العلماء عائد الى مدة العهد، فالمراد انها نمكنكم من المقام في خيبر ما شئنا ثم نخرجكم اذا شئنا لأنه ﷺ كان عازما على اخراج الكفار من جزيرة العرب كما أمر به في آخر عمره.

(١-٢-٣) خ. ٦٤ مغازي / ٣٨ ح ٣٤. ٤١. ٣٦.

(٤) انظر خ ٤١ كتاب الحرث والمزراعة / ١٧+٤١. وانظر ايضا خ ٥٧ كتاب الخمس / ١٩ ح ١٠ م- ٢٢ كتاب المساقاة / ١.

(٥) د. ٢٤ / ١٤ - ٣٠٠٧. حم ١٥ / ١٥.

فقد جاء عن جابر بن عبد الله أنه قال: أخبرني عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً»^(١) وتتدعم هذه الرواية بالحوار الذي دار بين عمر رضي الله عنه وأحد بني أبي الحقيق الذي أتاه فقال: يا أمير المؤمنين أخرجنا وقد أقرنا محمد ﷺ وعاملنا على الأموال وشرطنا ذلك لنا. فقال عمر: أظننت أني نسيت قول رسول الله: كيف بك إذا أخرجت من خير تعدو بك قلوصلك ليلة بعد ليلة، فقال: كان ذلك هزيلة من أبي القاسم. قال كذبت يا عدو الله^(٢) فالرسول ﷺ كان يعلم أن يهود خيبر هم ككل اليهود والنصارى لن يقبلوا الحياة في ظل الدولة الإسلامية إلا إذا ظنوا أنهم يستطيعون تخريبها من الداخل. فلا مناص والحالة هذه من اخراجهم من أرض الحجاز؛ موطن الاسلام، والملاذ الذي يستجير به المسلمون اذا ما غلبوا على أمرهم، فلا يجوز والحالة هذه أن يبقى بها غير مسلم. ولكنه ﷺ قبل مطلب يهود خيبر لعل الله يهدي قلوب بعضهم، وحتى يصبح المسلمون قادرين على استثمار الأرض استثماراً حسناً.

ولما تأكد عمر رضي الله عنه من أن اليهود لم يتخلوا عن غدرهم وأن المسلمين أصبحوا قادرين على الاعتناء بالأرض والمحافظة على انتاجها، قرر اجلاء اليهود عن خيبر وتنفيذ ما عزم عليه الرسول ﷺ، وتأكد عمر من غدر اليهود لم يكن اعتباطياً، بل مبني على احداث ذكرناها في مناسبة ورود الحديث وتتمثل خاصة في غدرهم بالأنصار وبعدد الله بن عمر رضي الله عنهم.

وهكذا يتضح أن روايات الحديث أكدت على أن الرسول ﷺ ذكر ما يفيد أن بقاء اليهود بخير مؤقت، وأنه سيأتي يوم لن يبقى بالحجاز الا مسلم؛ وأن غدر يهود خيبر ومكرهم وصل في عهد عمر بن الخطاب درجة حتمت على ثاني الخلفاء الراشدين تطبيق الحكم النبوي فيهم، فأجلاهم دون أن يحرمهم من أموالهم

(١) م. ٣٢. الجهاد والسير ٢١ (ح ١٧٦٧).

(٢) خ ٥٤ شروط ١٤.

ومتاعهم . فقد جاء في رواية للبخاري : فأجلاهم عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من التمر مالا وابلا وعروضا من اقتاب وحبال وغير ذلك^(١) . وهكذا خرج يهود خيبر منها واستقروا بتياء وأريحا^(٢) .

المباحث :

كان فتح خيبر وما جرى أثناءه من معارك وحوار مصدرا لمباحث اهتم بعضها بالجوانب السلوكية والمصيرية للأفراد والجماعات ونحا البعض الآخر منحى التشريع واستنباط الأحكام وتعليلها وبيان مقاصدها . فالمجموعة الأولى يمكن أن نضعها تحت عنوان اخراج غير المسلمين نهائيا من الجزيرة العربية أما الثانية فتجمع تحت عنوان أثر اتفاق خيبر في عقد المساقاة .

اخراج غير المسلمين من الجزيرة العربية :

١ - تجمع اليهود بخيبر :

سعى الرسول ﷺ منذ حلوله بالمدينة إلى إقامة مجتمع انساني تحكمه القوانين الالهية حتى ينعم جميع أفرادها بالطمأنينة والأمن والأمان والمحافظة على النفس والعرض والمال . فكانت المعاهدة التي عقدها بين جماعات المجتمع ومن ضمنهم اليهود . ولكن الأخيرين كانوا يخططون لهدم الاسلام والانتقام من المسلمين والسيطرة على سكان المدينة وغيرها من القرى . وكان الرسول ﷺ يطلع على ما أسروه ويسعى الى اقناعهم بالحجة والبرهان فما يزيدهم ذلك الا ضلالا . لذلك كان يغزوهم كلما أيقن أنهم مستمرون في كيدهم متتهكون للحرمان وخلون بالمعاهدات .

(١) خ ٥٤ - شروط / ١٤ .

(٢) انظر خ ١٧/٤١ و ١٩/٥٧ ح ١٠ وم ٦٠٠٠١/٢٢ .

وكلما انتصر عليهم عاملهم بطريقة ربانية بعيدة كل البعد عن سلب الأموال وسيي النساء والأطفال وهتك الأعراض واراقة الدماء .

حاصر بني قينقاع الذين نقضوا عقدا بينهم وبين المسلمين وكأنهم أرادوا رد الاعتبار الى الشرك الذي انهزم أصحابه ببدر، فحاصروهم عليه الصلاة والسلام وقذف في قلوبهم الرعب، فنزلوا عند حكمه وشفع فيهم عبدالله بن أبي سلول فحقن دماءهم وهم الذين قالوا له لما قدم من بدر: يا محمد لا يغرك من نفسك ما نلت من قومك ما نلت فإنه لا علم لهم بالحرب، أما والله لو حاربتنا لعلمت أن حربنا ليس كحربهم وأنا لنحن الناس^(١) .

إن هذا التسامح النبوي زاد أغلب اليهود كيدا للاسلام، ولذلك حارب الرسول ﷺ جماعاتهم وأخرجهم من دورهم، ولكنه لم يعمم الحرب ضد اليهود. ولم يجعل منها حرب دين ضد آخر. وانما هي حرب بين الحق والباطل. بين المسلمين والداعين الى ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وبين هذه المجموعة من اليهود أو تلك التي سمح أفرادها لأنفسهم بأن ينقضوا العهود ويدبروا المؤامرات وينسجوا لغيرهم أردية النفاق والضلال. كان عليه الصلاة والسلام يشهر الحرب على الجاني دون سواه، والمظهر للعداوة دون غيره، بدليل أنه كان يسمح للمنهزمين بأن يلحقوا باليهود الذين لم يشاركوا في المعركة ولم يغزهم المقاتلون المسلمون.

فلما انتصر المسلمون على بني النضير سمح لهم الرسول ﷺ بالخروج من ديارهم وحمل أمتعتهم واللحاق بمن يريدون من اليهود. فحمل بنو النضير أمتعتهم على ستمائة بعير. فلحق أكثرهم بخيبر منهم حبي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق^(٢) .

لم يلاحق الرسول ﷺ اليهود المنهزمين الى خيبر ولا الى غيرها، ولم يغز أولئك الذين استقبلوا اعداء الاسلام ولم يخش أن يكون هؤلاء وأولئك قوة قد تصبح خطرا

(١) ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير: ١٤٢ انظر ايضا: هذا البحث ص (٩٥).

(٢) ابو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود ٢٤١/٨.

على الأمة الاسلامية الناشئة. تركهم عليه الصلاة والسلام يتمتعون بالحياة لعل الله يهدي بعضهم فيشرح قلوبهم للايمان.

وهكذا أصبحت خيبر معقلا من معاقل اليهود، إذ أن كثيرا من الذين أخرجوا من بني النضير وغيرهم قد استقروا بها وأعانوا أهلها على الاستعداد للحرب وملاقة المسلمين. ولا عجب إذا ذكرت الاخبار أن حبي بن أخطب وأمثاله كانوا ينقضون عهودهم التي قطعوها على أنفسهم، والتزموا بها لدى المسلمين الذين تغلبوا عليهم، ويجدون مع ذلك العون من يهود خيبر الذين آوؤهم ونصروهم. وهذا ما جعل الرسول ﷺ يقرر غزو آخر معاقل اليهود بخيبر وما حولها من الحصون.

٢ - خيبر وحصونها:

تفيد الاخبار أن خيبر كانت تضم مجموعة من الحصون الى جانب القرى والضياع التي كانت تحيط بها، فقد ذكرت المصادر أن خيبر كانت لها قرى وضياع خارجة عنها منها الوطيحة والكتيبة والشق والنطاة والسلاليم وغيرها^(١).

فخيبر كما جاء في أغلب المراجع مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير، على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام^(٢).

فموقع خيبر الجغرافي جعل منها أرضا زراعية تحيط بها القرى والضياع، وقرىها من المدينة المنورة ووفرة انتاجها وترامي أطرافها كل ذلك هيأ الظروف المناسبة لتكون ملاذا لليهود الذين اخرجوا من قراهم نتيجة عداوتهم للاسلام والمسلمين ونقضهم العهود والمواثيق.

فلا عجب بعد ذلك اذا ما اهتم أهلها بالحصون فشيدها واعتنوا بها ليحتموا بها عند الحاجة، وهم الذين كانوا يخططون مع الوافدين عليهم للقضاء على الاسلام والمسلمين. فقد ذكرت الاخبار أن الرسول ﷺ أشرف على خيبر مع الفجر وان

(١) م. س ٢٤٤/٨.

(٢) الزرقاني: شرح موطأ الامام مالك ١٦٤/٣.

العمال اليهود كانوا غادين بمساحيهم ومكاتلهم^(١) فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش نادوا: محمد والخميس^(٢) معه. وأدبروا هرابا. فقال رسول الله ﷺ الله أكبر خربت خير. إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. وتحصنت يهود في حصونهم وكانت حصونا كثيرة^(٣) والجمع بين ما ذكرته كتب شرح الحديث والمغازي والسير يسمح للباحث بالاطلاع على أسماء بعض الأماكن والعيون والحصون التي كانت تابعة لخير فمنها الوطيحة والكتيبة^(٤) والشق^(٥) والشطة^(٦) والسلالم^(٧) وناعم^(٧) والقموص^(٧) وحصن ابن الصعب^(٧).

طريقة فتح خير:

فلما وقعت الحرب بين المسلمين واليهود ولاح النصر الى جانب الحق لجأ أهل الباطل الى حصونهم ظانين أن المسلمين لا يستطيعون اقتحامها والسيطرة على من فيها. ولكن الله سفه أحلامهم فبدأت الحصون يقع الواحد منها تلو الآخر بيد المسلمين. وكان اليهود الناجون من قبضة المسلمين عند فتح حصن من الحصون يفرون الى آخر.

ولذلك كانت غزوة خير من أشد الغزوات حصل فيها بين اليهود والمسلمين من الحرب والمبارزة والقتل من الفريقين ما هو معلوم فحصار حصن بني الحقيق (حصن السلالم) وهو آخر ما فتح من حصون خير استمر أربعة عشر يوما^(٨) وعدد

(١) المساحي: الفؤوس والمكاتل - الزنابيل.

(٢) سمي الجيش خميسا لأنه خمسة أقسام: المقدمة والساقة والميسرة والميمنة انظر الهامش ٣ ص ١٩٧ من كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير.

(٣) انظر الدرر ص ١٩٧.

(٤) حصن من حصون خير. انظر عون المعبود ٢٤٧/٨.

(٥) حصن يشتمل على حصون كثيرة م. س ٢٤٧/٨.

(٦) اسم الأرض خير وقيل حصن بها وقيل عين م. س.

(٧) انظر الدرر ص ١٩٧.

(٨) عون المعبود ٢٤٦/٨.

من استشهد من المسلمين تجاوز العشرين وأثناء هذه الغزوة وقعت أكبر مؤامرة يهودية تمثلت في تقديم شاة مسمومة للرسول ﷺ من قبل يهودية .

ومع شدة المعارك التي وقعت في غزوة خيبر، ومع ما صدر عن اليهود من غدر ومكر فإن الرسول ﷺ صالحهم لما نزلوا على الصلح الذي جاء فيه أن لرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة والسلاح ولهم رقابهم وذريبتهم وعليهم أن يجلووا من الأرض .

ثم ان بعض الذين كان عليهم أن يغادروا خيبر ويتركوا الأرض سألوا الرسول ﷺ أن يمكنهم من البقاء بأراضيهم، على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر. فسمح لهم عليه الصلاة والسلام بذلك قائلا لهم: نترككم على ذلك ما شئنا .

واستنتج بعض العلماء من هذه المصالحة أن خيبر لم تفتح كلها عنوة، ودعموا ما ذهبوا إليه بما رواه بشر بن يسار عن سهل بن أبي حثمة قال قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين: نصفاً لنوائبه وحاجته ونصفاً بين المسلمين قسمها بينهم على ثمانية عشر سبهما .

فقد روي عن الزهري قوله أن خيبر كان بعضها عنوة وبعضها صلحا . وأكدت رواية لمالك ما جاء عن الزهري إذ ذكرت أن بعض خيبر فتح صلحا والبعض الآخر عنوة وبعضها بالاجلاء وبعضها بدونه ^(١) .

وقال البيهقي إن خيبر فتح شطرها عنوة وشرطها صلحا . فقسم ما فتح عنوة بين أهل الخمس والغنمين وعزل ما فتح صلحا لنوائبه وما يحتاج إليه من أمور المسلمين ^(٢) .

فابقاء بعض يهود خيبر يعملون بأراضيهم عقب الحوار الذي دار بينهم وبين الرسول ﷺ وطريقة قسمة الأرض دفعا للزهري ومالك والبيهقي وغيرهم الى القول

(١) أنظر: النووي: شرح مسلم ٢٠٩/١٠-٢١٠ .

(٢) عون المعبود ٢٤٤/٨ .

بأن فتح خيبر بحصونها ونواحيها لم يكن كله عن طريق الحرب وإنما أضيف إليها الصلح .

ولم يسائر ابن قيم الجوزية وغيره هذا التفريق ، وقالوا إن كل خيبر فتحت عنوة وإن اليهود كانوا يحاربون من داخل حصونهم وكلما استطاع المسلمون اقتحام حصن والسيطرة عليه التحق الناجون من اليهود الذين كانوا به إلى حصن آخر وانضموا إلى المقيمين به في الدفاع عنه والسعي إلى دحر المسلمين وهزمهم . فحصار حصن بني الحقيق حصن السلايم وهو آخر ما فتح من حصون خيبر استمر أربعة عشر يوماً لم يخرج من اليهود أحد وسألوا رسول الله ﷺ الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذرايرهم فصالحهم على ذلك ^(١) .

فهؤلاء اليهود وهم آخر من انهزم في خيبر محاربون وليسوا مسلمين ، فما اقترحوه من صلح أتى بعد انهزامهم وإدراكهم أن وقوع حصنهم بيد المسلمين مؤكد .

فما صنعوه لا يختلف عما يبادر إليه الجندي المهزم في ساحة القتال الذي يخير . الإبقاء على حياته حسب شروط الجيش المنتصر على الموت في ساحة المعركة .

فالصلح هنا تكريم من الرسول ﷺ إذ قبل أن يحقن دماء المقاتلين ومن كان معهم من أهل على أن يتركوا أرضهم ويسيروا في أرض الله الواسعة ، فتسلم المدينة المنورة وما حولها من قرى من دسائسهم ، ويعيش المسلمون في طمأنينة ويستطيعون الاستعداد للفتح المبين ، فتح مكة ، ونشر الدين في كامل الجزيرة العربية . ولذلك ذهب أغلب المفسرين إلى أن قوله تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ وَمَغْنَمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ^(٢) بشراً للمسلمين بفتح خيبر .

فقد نقل عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أن قوله تعالى : ﴿ففتحاً قريباً﴾ خيبر ^(٣)

(١) عون المعبود ٢٤٨/٨ .

(٢) ٤٨ . الفتح ١٨ ، ١٩ .

(٣) الدرر : ١٩٧ .

وقال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله تعالى عند تفسيره الآيتين : وهذا الفتح هو فتح خيبر، فإنه كان خاصا بأهل الحديبية وكان قريبا من يوم البيعة بنحو شهر ونصف. والمغانم المذكورة هنا هي مغانم أرض خيبر والأنعام والمتاع والحوائط فوصفت بـ «كثيرة» لتعدد أنواعها وهي أول المغانم التي كانت فيها الحوائط^(١).

ويدعم ما ذهب اليه الشيخ ابن عاشور ما روي عن عائشة وابن عمر وإبي هريرة رضي الله عنهم قالت أم المؤمنين : «لما فتحت خيبر قلنا الان نشيع من التمر^(٢)» وقال ابن عمر: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر^(٣).

وقال أبو هريرة: افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهبا ولا فضة انما غنمنا البقر والابل والمتاع والحوائط^(٤).

ومن سماحة الرسول ﷺ أنه حقن دماء الذين أرادوا بالمسلمين الشر بل إنه قبل اقتراح بعضهم الداعي الى بقائهم يعملون الارض ويعتنون بها مقابل الحصول على جزء من انتاجها.

وهكذا يتضح أن يهود خيبر لم يصالحوا الرسول ﷺ الا بعد هزيمتهم. فأرضهم كلها قد فتحت عنوة فقد روي أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ غزا خيبر فأصبناها عنوة فجمع السبي^(٥).

وجاء في بعض الاخبار أن تمر خيبر كان يقسم على السُّهُمان^(٦) وذلك يدل كما قال النووي على أن خيبر فتحت عنوة لأن السهمان كانت للغانمين^(٧).

(١) التحرير والتنوير ١٧٦/٢٦.

(٢) خ ٦٤ مغازي ٣٨/ح ٤٠.

(٣) م.س. ح ٤١.

(٤) خ. ٦٤ مغازي ٣٨ ح ٣٤.

(٥) عون المعبود ٢٤٣/٨.

(٦) السهمان: الاسهم جاء في النهاية سمي كل نصيب سهما ويجمع السهم على اسهم وسهام وسهمان (م.س.).

(٧) م.س. ص ٢٤٢.

إن القول بأن خير كلها فتحت عنوة هو الراجح ، ولكنه يحتاج الى توضيح الحديث الذي اعتمده القائلون بأن خير فتح نصفها حربا ونصفها صلحا ولذلك خمس الرسول ﷺ النصف الذي فتح حربا عملا بقوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ ^(١) وترك النصف وهو الذي فتح صلحا لنوائبه وحاجته .

قال ابن القيم وهو ينقد هذا الفهم : وهذا بناء منه (البيهقي) على أن أصل الشافعي ، أنه يجب قسم الأرض المفتوحة عنوة كما تقسم الغنائم ^(٢) .

فابن القيم وغيره يذهبون الى أن الامام مخير في أرض العنوة بين قسمها ووقفها ، وقسم بعضها ووقف البعض . وقد فعل رسول الله ﷺ الأنواع الثلاثة فقسم قريظة والنضير ، ولم يقسم مكة وقسم شطر خير وترك شطرها ^(٣) .

ويتأكد هذا المذهب بما روي عن عمر من أنه قال : لولا آخر المسلمين ما فتحت عليهم قرية الا قسمتها كما قسم النبي ﷺ خير ^(٣) .

وهكذا يتضح أن خير فتحت حربا وأن الرسول ﷺ لم يقسم كامل أرضها على الفاتحين ، إذ أنه ترك النصف وقفا وسمح لبعض اليهود مؤقتا أن يكونوا في خدمة هذا النصف مقابل نصيب من ثمره . فعل ذلك عليه الصلاة والسلام لتحقيق بعض المقاصد كتمكين المسلمين من اكتساب الخبرة ، ومساعدة بعض اليهود على التدبر والتأمل عسى الله يهدي قلوبهم للإيمان ، والسماح لمن كان متمسكا بالأرض عاجزا عن السفر مستعدا لمهادنة المسلمين واحترام دينهم والاعتراف لهم بالفضل مع المحافظة على عقيدته اليهودية بالبقاء لفترة معينة بخير .

ولكن أغلب اليهود ظلوا على ما هم عليه من كروخدا فهم يعينون الأعداء ويساعدون المنافقين ويسعون الى ارشاء عبدالله بن رواحة لما أرسله الرسول ﷺ لخرص التمر .

(١) ٨ . الانفال ٤١ .

(٢) عون المعبود ٢٤٦-٢٤٧ .

(٣) خ ٦٤ مغازي ٣٨ ح ٣٦ .

تخليص الحجاز من الشرك والزيف :

لما منّ الله على المسلمين بالنصر المبين، ففتحت مكة وعم الاسلام كامل الجزيرة العربية وتعلم كثير من المسلمين الفنون والصناعات التي كانت حكرا على اليهود وأنزل الله تعالى قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ ^(١) أعلم الرسول ﷺ الصحابة بأنه مخرج غير المسلمين من الجزيرة العربية.

فقد جاء عن ابن عباس في حديث الكتاب الذي أراد الرسول ﷺ أن يكتبه قبل أن ينتقل الى الرفيق الأعلى أنه عليه الصلاة والسلام قال للحاضرين: «أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب. . . واجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. قال وسكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتها» ^(٢).

وعلى طريقة الاسلام فإن الاخراج تم على مراحل وانتهى باخراج يهود خيبر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما أقيمت الحجة على استحالة التعايش مع قوم لا يعرفون الا الغدر والخيانة، وان كل السبل قد جربت لهدايتهم وتبصيرهم فلم يزد هم ذلك الا ضلالا. فلما تثبت عمر من كل ذلك، وصح عنده حديث الرسول ﷺ لا يبقين دينان بأرض العرب ^(٣) قرر رضي الله عنه أن يخرج من بقي منهم بخير برخصة خاصة من الرسول ﷺ واختار رضي الله عنه مناسبة غدرهم بآبنة عبدالله لتنفيذ ما قرره وبذلك تخلصت الحجاز ^(٤) من اليهود وكيدهم.

(١) ٩ . التوبة ٢٨ .

(٢) م ٢٥ الوصية / ح ١٦٣٧ .

(٣) انظر: شرح الموطأ: الزرقاني ١٦٤/٣ .

(٤) قال الواقدي : الحجاز من المدينة إلى تبوك ومن المدينة إلى طريق الكوفة ومن وراء ذلك إلى مشارق البصرة فهو نجد .

أثر اتفاق خيبر في عقد المساقاة :

ان المتأمل في عناوين الأبواب التي وضعها البخاري لهذا الحديث يدرك جانباً من الأحكام التشريعية التي استنبطها الفقهاء منه ويتعرف على المباحث التي أثاروها وهم يدعمون ما استنبطوه منه أو استدلووا عليه به . وإذا كان العنوان الوارد تحت الحديث في كتاب المغازي من صحيح البخاري لا يتصل بالأحكام المستمدة من هذا الحديث فان العنوانين الواردين في كتابي الحرث والمزارعة والشروط يستخلص منها الحكمان الآتيان :

١ - يجوز أن يخلو عقد المساقاة المبرم بين صاحب الأرض ومن أجرها من تحديد زمن انتهائه .

٢ - يجوز أن يتضمن العقد المبرم بين صاحب الأرض ومن أجرها مساقاة بندا يبيع للأول اخراج الثاني من الأرض متى شاء .

وما أوجزه البخاري في عنوانيه فرعه الفقهاء وقدموا أمثلة له واستدلوا على ما ذهبوا اليه بالحديث الذي بين أيدينا تارة وبالقيااس والاجتهاد تارة أخرى . وحتى يتضح لنا عملهم نورد نماذج من استخدامهم لهذا الحديث عند بيان حكم المساقاة والعلاقة التي تربط صاحب الأرض بمن أجرها منه مساقاة .

حكم المساقاة :

المساقاة مفاعلة من السقي ، وهي دفع شجر الى من يقوم بمصلحته بجزء معلوم من ثمرته ^(١) .

واستقراء هذا التعريف يؤدي الى وصف المساقاة بأنها عقد بين جهتين تملك الأولى الشجر والثانية العمل ووسائله على أن تكون ثمرة العمل ونتيجته حقا للجهتين وتحليل هذا العقد يتبين أن فيه

(١) اجارة بمجهول ذلك أن مالك اشجر لا يدري المقدار الكمي الذي سيحصل عليه عند انتهاء العقد .

(١) الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الامام المجل أحمد بن حنبل ٤٦٦/٥ .

(٢) كراء للأرض بجزء مما يخرج منها.

(٣) بيعا للثمر قبل بدو صلاحه بل قبل وجوده.

(٤) غررا لأن العامل لا يدري أتسلم الثمرة من العاهات وغيرها أم لا^(١).

فهذه العناصر الأربعة تبدو مخالفة لبعض أحكام الشريعة الإسلامية ولبعض الأحاديث النبوية، وخاصة ما رواه البخاري وغيره عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها فإن لم يفعل فليمسك أرضه»^(٢).

وعن ظهير بن رافع قال: دعاني رسول الله ﷺ قال: «ما تصنعون بمحاقلكم»^(٣)، قلت نؤاجرها على الربع وعلى الاوسق من التمر والشعير. قال لا تفعلوا ازرعوها أو أزرعوها^(٤) أو امسكوها^(٥).

وهكذا وجد الفقهاء أنفسهم أمام مجموعتين من الأحاديث يبدو بينها تشابه وتعارض، لذلك منع أبو حنيفة وزفر اعطاء الأرض بجزء مسمى مما يزرع فيها بوجه من الوجوه، وتأول أبو حنيفة ما وقع بخير على أنه استئجار وأنه منهي عنه^(٦).

وروي المنع عن بعض الاباضية. فقد سئل ابن عبد العزيز والربيع بن حبيب عن رجل اعطى رجلا أرضا بالنصف أو الثلث أو أعطى نخلا وشجرا معاملة بالنصف أو أقل من ذلك أو أكثر فقالا: هذا كله باطل لأنه استأجره بشيء مجهول لا يعرف^(٧) وأباحها الجمهور مستنديين في ذلك على:

(١) انظر الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الامام مالك. تعليق د. مصطفى كمال وصفي ٧١١/٣.

(٢) خ ٤١. المزارعة/ ١٨ ح ٢.

(٣) المحاقل: المزارع - المحاقلة: المزارعة. انظر فتح الباري ١٧/٥.

(٤) ازرعوها أو ازرعوها: الأول أمر من زرع والثاني من الأزارع والمراد ازرعوها أنتم أو اعطوها لغيركم يزرعها بغير أجر. وهو الموافق لقوله في حديث جابر أو ليمنحها انظر: فتح الباري ١٨/٥.

(٥) خ ٤١ المزارعة ١٨ ح ١.

(٦) انظر بدائع الصنائع للكاساني ٣٨٣١/٨.

(٧) أبو غانم الخراساني الأباضي: المدونة الكبرى ١٣١/٢.

١ - الاخبار التي قيدت أحاديث المنع :

فقد رويت اخبار تفيد أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعاملون بالمساقاة وأنهم قيدوا حديثي جابر بن عبد الله وظهير بن نافع المتقدمين، فقالوا إن الرسول ﷺ لم ينه عن كراء الأرض ببعض ما يخرج منها، وإنما فضل عليه الهبة. فقد روي عن عمرو بن دينار أنه قال لطاوس : لو تركت المخابرة^(١) فأنهم يزعمون أن النبي ﷺ نهى عنه. قال أي عمرو إني أعطيتهم وأغنيهم. وإن أعلمهم أخبرني - يعني ابن عباس رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ لم ينه عنه، ولكن قال : أن يمنح أحدكم أخاه خير من أن يأخذ عليه خرجا معلوما^(٢).

وإذا أضفنا الى هذا الخبر ما ذهب اليه البخاري^(٣) وغيره من أن النهي الوارد في حديث رافع بن خديج عن عمه ظهير بن رافع هو على الكراهة لا على التحريم ادركنا أن الفقهاء قد استدلوا على جواز المغارسة بتقييد أحاديث النهي عن المزارعة أولا وبحديث خبير ثانيا.

٢ - الاستدلال بحديث خبير على جواز المساقاة :

قال النووي في شرحه على مسلم : في هذه الأحاديث، أحاديث فتح خبير جواز المساقاة وبه قال مالك والثوري والليث والشافعي وأحمد وجميع فقهاء المحدثين وأهل الظاهر وجاهير العلماء^(٤).

قال ابن حجر: هذا الحديث - حديث ابن عمر عن خبير - هو عمدة من أجاز المزارعة والمخابرة لتقرير النبي ﷺ لذلك واستمراره على عهد أبي بكر الى أن اجلاهم عمر. . . واستدل به على جواز المساقاة في النخل والكرم وجميع الشجر الذي من شأنه أن يثمر بجزء معلوم يجعل للعامل من الثمرة^(٥).

(١) المخابرة : إشارة إلى ما فعله الرسول ﷺ بخبير. أي المساقاة.

(٢) خ ٤١. المزارعة / ١٠ و ١٨ ح ٣.

(٣) انظر النظر الفسح عن مضائق الانظار في الجامع الصحيح للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٨٧.

(٤) النووي على مسلم ٢٠٩/١٠. انظر أيضا المنتقى للباقي ١١٨/٥.

(٥) فتح الباري ١٠/٥.

وقال ابن قدامة: يجوز المساقاة على النخل وسائر الشجر بجزء معلوم يجعل للعامل من الثمر، لما روي ابن عمر أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر على شطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع، ولأنه مال ينمى بالعمل عليه ولا تجوز على ما لا يثمر^(١).

ذكر ابن حزم الروايات التي اعتمدها من كان لا يرى كراء الأرض أصلاً، لا بدنانير ولا بدراهم ولا بغير ذلك ثم قال: فصح النهي عن كراء الأرض جملة ثم وجدنا قد صح ما رويناه من طريق البخاري عن نافع عن ابن عمر أنه أخبره أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع أو ثمر. . . وبعد أن ذكر روايات الحديث بطرقه المعتمدة قال: ففي هذا أن آخر فعل رسول الله ﷺ إلى أن مات كان إعطاء الأرض بنصف ما يخرج منها من الزرع ومن الثمر ومن الشجر. وعلى هذا مضى أبو بكر وعمر وجميع الصحابة رضي الله عنهم من أن تكرر الأرض أو يؤخذ لها أجر أو حظ. وكان هذا العامل المتأخر ناسخاً للنهي المتقدم عن إعطاء الأرض ببعض ما يخرج منها^(٢).

واستقراء هذه النصوص وعناوين بعض الأبواب التي خرج البخاري تحتها أحاديث خيبر يسمح للباحث باستخلاص النتائج الآتية:

١ - أدرك الفقهاء والعلماء أن المساقاة تبدو في ظاهرها مخالفة لبعض الأصول الإسلامية المنظمة لعلاقة رأس المال بالعمل^(٣).

٢ - إن معاملة الرسول ﷺ ليهود خيبر أقرت هذا النوع من التعامل وأن التأويلات التي أراد بعضهم أن يلجأ إليها ليبين أن بعض خيبر فتح صلحاً. وأن اليهود أقرروا على أن الأرض ملكهم بشرط أن يعطوا نصف الثمرة فكان ذلك يؤخذ بحق

(١) ابن قدامة: الكافي في فقه الإمام المجل أحمد بن حنبل ٢/٢٩٩.

وانظر أيضاً: الروض المربع. . . في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل ٢/٢٣٨.

(٢) ابن حزم: المحلى ٨/٢١٣-٢١٤.

(٣) أنظر هذا البحث ص ١٤٧ و ١٤٨.

الجزية^(١) لا يدعمها الواقع، فقد صح أن خير فتحت عنوة وأن الأرض لم تبق ملكا لليهود بدليل أن عمر رضي الله عنه أجلاهم عنها^(٢).

وأمام هذين الأمرين وجد الفقهاء أنفسهم في حاجة إلى تعليل جواز المساقاة، فذهب أغلبهم إلى أنها استثناء من حكم عام فقد نقل النووي عن داود أن المساقاة رخصة^(٣) وقال الصاوي المالكي: هي مستثناة من أصول أربعة كل واحد منها يدل على المنع^(٤) ولهذا بحث هؤلاء في الصور التي تكون فيها المساقاة جائزة قال داود: لا تجوز إلا في النخل^(٥).

وقال الشافعي: لا تجوز إلا في النخل والكرم وألحق المقل بالنخل لشبهه به^(٥) وذهب الحنابلة إلى أنها تجوز على النخل وسائر الشجر. . ولا تجوز على ما لا يثمر^(٦) وأطلق مالك فقال: المساقاة في كل ذي أصل من الشجر جائزة^(٧).

وهذا الخلاف في تحديد مجال المساقاة يعود في جانب كبير منه الى اختلاف ألفاظ الحديث اذ ذكر بعضها أن طلب اليهود من الرسول ﷺ تمثل في اقرارهم بالأرض. وفي أن يصلحوها على أن لهم نصف الثمر في رواية ونصف ما يخرج منها في ثانية. وأنهم يعملون على ما خرج منها من الثمر والزرع في الثالثة^(٨).

فالذين ضيقوا دائرة الاستثناء جعلوا المساقاة خاصة في النخل - ولعلمهم رجعوا في ذلك الى أن الاتفاق الحاصل بين الرسول ﷺ وبين يهود خير كان خاصا بالأشجار المثمرة ثم ان حديث عبدالله بن رواحة حصر هذه الاشجار في النخل

(١) فتح الباري ١٠/٥.

(٢) انظر هذا البحث: طريقة فتح خير ١٤١ وما بعدها.

(٣) النووي على مسلم ٢٠٩/١٠.

(٤) حاشية العلامة الشيخ محمد الصاوي المالكي بهامش الشرح الصغير على أقرب المسالك ٧١١/٢.

(٥) فتح الباري ١٠/٥. انظر أيضا النووي على مسلم ٢٠٩/١٠-٢١٠.

(٦) ابن قدامة: الكافي ٢٠٩/٢.

(٧) شرح منح الجليل على مختصر خليل ٧٠٦/٣. انظر النووي على مسلم ٢٠٩/١٠-٢١٠.

(٨) انظر هذا البحث. الفاظ الحوار بين الرسول ﷺ ويهود خير ص ١١٧ وما بعدها.

أصلاً وأضيف العنب قياساً. أما الذين وسعوا دائرة الاستثناء فجوزوا المساقاة في كل أصناف الشجر، وفي كل ما تدعو إليه الحاجة وتحتمه المصلحة^(١) وقالوا إن الرسول ﷺ ساقى خيبر كلها على النصف وفيها النخل وأصناف الشجر وبعضها أفضل من بعض وبعضها بعل والبعض الآخر سقي^(٢) وبين هؤلاء وأولئك توسط الذين قالوا بأنها تصح في كل شجر له ثمر يؤكل دون سواه، ولا تصح على ما لا ثمر له كالجوز أو ثمر غير مأكول كالصنوبر والقرظ^(٣).

علاقة مالك الأرض بالعامل :

إلى جانب البحث في حكم المساقاة وفي تحديد العمل الفلاحي الذي يتم بموجبها بحث القائلون بأنها استثناء من منع، في تحديد مدة عقدتها وفي واجبات صاحب الأرض وحقوقه، وواجبات العامل وما يعود إليه من منفعة وفي غيرها من القضايا التي تشعر بأنهم يتعاملون مع استثناء يخشون أن يقود من لا يحسن تطبيقه إلى الوقوع في الإثم وكانوا في مباحثهم تلك يعودون بالدرجة الأولى إلى حديث خيبر وإلى القياس والاستحسان. فعندما تناولوا بالبحث قضية تحديد زمن عقد المساقاة بينوا أن قوله ﷺ «أفركم ما أفركم الله» لا يوجب فساد عقده ويوجب فساد عقد غيره^(٤) أي أن السكوت عن تحديد الزمن عيب في عقد المساقاة وأن ما جاز للرسول ﷺ لا يجوز لغيره.

وذهب بعضهم إلى أن المدة محددة في العقد ضمناً وإن لم تذكر لفظياً.

قال أبو ثور: إذا أطلقنا المساقاة اقتضى ذلك سنة واحدة^(٥) وعلى هذا اتفق أغلب الفقهاء فعقد المساقاة محدد بزمن وهو سنة أو مدة إثمار الشجر فالبدائية تكون قبل الإثمار والنهاية عند جني الثمر.

(١) انظر: النووي على مسلم ٢٠٩/١٠-٢١٠.

(٢) انظر المنتقى للباجي ١١٩/٥.

(٣) الروض المربع: ٢٣٨/٢.

(٤) العيني: عمدة القاري ١٨٠/١٢.

(٥) م. س. ص ١٧٩.

وتمسك بعض أهل الظاهر بجواز المساقاة الى أجل مجهول مستندين في ذلك الى أن الرسول ﷺ قال لليهود: «نقركم بها على ذلك ما شئنا»^(١) دون أن يبين الأجل. ورد هذا التعليل بأن قول الرسول ﷺ المتقدم محمول على مدة العهد لأنه كان عازما على اخراج الكفار من جزيرة العرب.

أو بأن الاجل قد حدد، ولكن الراوي لم يسمعه فلم ينقله^(٢). واستنتج بعضهم من قوله ﷺ نقركم ما أقركم الله جواز الخيار في المساقاة للمالك لا إلى أمد^(٣).

واستقراء العنوانين اللذين وضعهما البخاري للحديث في كتابي المزارعة والشروط يظهر المذهب الذي كان عليه شيخ الرواية والمتمثل في أن للمتعاقدين اختيار مدة عقد المساقاة. فقد عنون للحديث في كتاب المزارعة بباب إذا قال رب الأرض أقرك ما أقرك الله ولم يذكر أجلا معلوما فهما على تراضيهما. وأخرج تحت هذا العنوان الحديث دون أن يذكر ما فعله اليهود بابتين عمر. فكأنه يشير بذلك الى أن اليهود قد رضوا بعقد ترك للمالك الأرض حرية اختيار توقيفه وفسخه متى شاء.

فما فعله عمر رضي الله عنه عندما قرر اخراج اليهود وقع بموافقتهم. فعقد المساقاة يشبه بهذا المفهوم عقد القراض أي إن المتعاقدين يجوز لهما أن يتفقا على توقيف العمل به متى أراد أحدهما أو كلاهما ذلك. أما في كتاب الشروط فقد عنون البخاري للحديث بقوله باب اذا اشترط في المزارعة ان شئت اخرجتك.

وأورده كاملا متضمنا قصة اليهود مع ابن عمر والتي كانت سببا من اسباب اخراج اليهود من خيبر. وصنيع البخاري في هذا الباب يجعل توقيف عقد المساقاة بيد صاحب الأرض. فالفرق بين العنوانين ليس هو الاختصار فقط كما ذهب الى ذلك ابن حجر^(٤) وإنما هو في الإشارة الى حكمين يجعل أحدهما عقد المساقاة عقدا

(١) العيني: ١٧٩/١٢.

(٢) الزرقاني: شرح موطأ الامام مالك ١٦٤/٣.

(٣) انظر فتح الباري ٢٤٩/٥.

(٤) م. س.

لازماً لا يجوز لأحد الطرفين فسخه إلا بموافقة الطرف الآخر ورضاه فهو يشبه عقد
الاجارة. وهذا ما ذهب اليه المالكية. قال الباجي : عقد القراض عقد جائز وعقد
المساقاة عقد لازم^(١) وجاء في الشرح الصغير على أقرب المسالك وهي المساقاة
لازمة^(٢).

أما القول الثاني فيلحق عقد المساقاة بالعقود الجائزة كالقراض فيجوز لأحد
المتعاقدين أن يوقف العمل بها مع تمكين الطرف الآخر من حقوقه . وظاهر كلام أحمد
يجعلها من هذا النوع قال ابن قدامة : وظاهر كلام أحمد أنها عقد جائز لما روي عن
ابن عمر أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ أن يقرهم بخير على أن يعملوها ويكون
لرسول الله ﷺ شطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع فقال رسول الله ﷺ : «نقركم
على ذلك ما شئنا» فلو كانت لازمة، لقدر مدتها ولم يجعل اخراجهم إليه إذا
شاء^(٣).

والواقع فالمذاهب متكاملة. فالقائلون بأن المساقاة عقد لازم وأن مدة لزومه
تخضع لنضج الثمر، نظر الى أن المساقاة تكامل بين صاحب الأرض والعامل. وأن
نتيجتها هي الثمرة التي أصبح لكل واحد منهما حق فيها. فحري بهذا العقد أن يبدأ
قبل ظهورها وأن ينتهي يوم جنيها.

ولذلك الزموا صاحب الأرض والعامل على اتمام الموسم الفلاحي لحل العقد
الذي التزم به كل واحد منهما.

والذين قالوا بأنه عقد جائز بمعنى أن نهايته يجوز أن تكون نتيجة اتفاق
الطرفين، وإن المالك يستطيع أن يستقل بقرار الفسخ، فإنهم يتفقون مع أصحاب
القول المتقدم في أن الغاية من المساقاة هو الثمرة، ولكنهم يضيفون الى ذلك امكانية
حدوث أمر طارئ يجعل استمرار العقد أمراً مستحيلاً، فيبيحون أن يحل صاحب

(١) المنتقى ١١٩/٥ وما بعدها.

(٢) محمد بن أحمد بن أحمد الدردير: الشرح الصغير ٧١٣/٣.

(٣) ابن قدامة: الكافي ٣٠٠/٢.

الأرض العقد في هذه الصورة . ويؤكدون على وجوب التراضي بينهما فيما يتعلق بأجر العامل ، ويذهبون إلى أن العقد يمكن أن يضم بندا يشير الى تلك الامكانية فالرسول ﷺ عندما قال ليهود نقركم بها على ذلك ما شئنا قد اشترط عليهم شرطا قبلوه ورضوا بأن يتركوا الارض متى طلب منهم ذلك .

وفعلا حدث ذلك في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعلى كل فالذين قالوا بأن عقد المساواة عقد لازم صدروا في ذلك عن أمرين أولهما مقصد الشريعة المتمثل في الحث على احياء الارض وتوفير الانتاج مع توفير علاقة طيبة بين المتصرف في الارض والعامل على احيائها واستخراج خيراتها . وثانيهما الاقتداء بالرسول ﷺ في امكانية وضع فصل في عقد المساواة يبين أن احد الطرفين يمكنه أن يفسخ العقد متى شاء بشرط أن يكون ذلك وفقا للشريعة الاسلامية . ذلك أن المساواة التي تقع بين الافراد تختلف عن تلك التي وقعت بين الرسول ﷺ ويهود خيبر في أمرهم يتمثل في أن الاخيرة وقعت أثر صراع كان فيه اليهود ظالمين معتدين .

أما الذين قالوا بأن المساواة عقد جائز فهم يتفقون مع المتقدمين في كل ما ذهبوا اليه ولكنهم نظروا الى ان العلاقة بين طرفيه قد تصبح مستحيلة وأن المتضرر فيها بالدرجة الاولى قد يكون صاحب الارض لذلك جعلوا بيده امكانية الفسخ بشرط أن لا يظلم ومرجعهم فيما ذهبوا اليه أن الرسول ﷺ بين في عقده مع اليهود ان اخراجهم يبقى موكولا اليه وان ذلك قد وقع فعلا لما تأكد عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أن بقاء اليهود أصبح خطرا دون أن يجني منه المسلمون فائدة ، فأخرجهم ولم يظلمهم .

ومن المسائل التي تناووها الفقهاء بالبحث انطلاقا من حديث خيبر التفاوت بين النسب العائدة الى صاحب الأرض والعامل أي هل يجوز أن تكون هذه النسب الثلث أو الربع أو غيرها من المقادير أو يجب أن تكون النسبة دائما متمثلة في النصف . ومنطلق هذه المباحث هو ما ورد في بعض روايات الحديث من أن الرسول ﷺ عامل

يهود خيبر على النصف. في حين سكنت روايات أخرى عن ذكر المقدار^(١).

كما تناولوا بالبحث مساهمة مالك الأرض والعامل في الانفاق. فذهب بعضهم الى أن الأول مطالب بالسهر على ما فيه حفظ الاصل من سد الحيطان واجراء الانهار وحفر البئر والدولاب وما يديره أما العامل فيلزمه ما فيه صلاح الثمرة وزيادتها من السقي والحرث والآبار والتلقيح والتشميس واصلاح طرق الماء. . ونحوه^(٢).

وهكذا يتضح أن الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ويهود خيبر كان مصدرا مهما لبعض الأحكام الفقهية وخاصة تلك التي تتعلق بالأرض وزراعتها واستثمار ما تخرجه للناس من خيرات توفر لهم الأمن الغذائي وتجعلهم في مأمن الخصاصة والاعتماد على الغير. وإذا ما أضفنا الى هذه الاحكام التي يمكن أن نصفها بالفلاحية والغذائية الأحكام المتعلقة بعلاقة المنتصر بالمنهزم استطعنا القول بأن هذا الحديث يمكن أن يكون مصدرا لمباحث دستورية تهم العلاقات الدولية وأخرى تنظيمية تتناول علاقة صاحب رأس المال بالعامل.

(١) الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الامام المجلد أحمد بن حنبل ٤٧٨/٥ .

(٢) المدونة الكبرى ٥/١٢ .

الخاتمة

بعد هذه العودة الى مجموعة من الأحاديث النبوية التي قدمت لنا امثلة عن الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ واليهود في حالات متعددة يمكننا أن نقف على النتائج التالية:

١ - نشأ الحوار بين الرسول ﷺ واليهود بطريقة غير مباشرة قبل الهجرة ثم ازداد نموا وتحول الى حوار مباشر لما قامت الدولة الاسلامية بالمدينة المنورة ونشأت بينها وبين اليهود علاقات سعى الرسول ﷺ الى أن تكون انسانية متسامحة ولكن اليهود كان لهم موقف آخر من هذه العلاقات وأهدافها وطرق التعامل التي تنظمها. وهكذا استمرت دوافع الحوار قائمة بين المجموعتين وشملت القضايا التي تهم الألوهية وأصل الانسان ومصيره وصلته بربه وبأخيه الانسان وبالكون. ولم يقف الرسول ﷺ أمام هذه الدوافع ولم يمنعها من التحول الى واقع عملي. ذلك ان الاسلام لم ينه عن محاورة أهل الكتاب الا في الامور التي لم ينزل الله تعالى فيها وحيا متلوا كان أو مرويا وهي من الامور الغيبية التي لا يستطيع العقل البشري ان يبت فيها ابتداء. فمحاورة أهل الكتاب في هذه الامور ممنوعة خوفا من الوقوع في الخطأ بتكذيبهم أو بتصديقهم اضافة الى أن هذه الامور ليست من الضروريات التي تؤثر في معرفة الانسان ربه وتنزيل توجيهاته الى الواقع العملي فاذا ما أراد اليهود الخوض في هذه الامور ساعين بذلك الى تحويل الدين الى مجموعة من المباحث النظرية أو التصورات الفلسفية فالمسلم مطالب بأن يقول لهم آمنا بما أنزل النينا وأنزل اليكم ويقطع أمامهم طريق الجدل العقيم والحوار الذي ينقلب الى جدال يساهم في نشر البدع والضلالات. وفيما سوى ذلك فالمسلم يجوز له تارة ويجب عليه أخرى أن يجاور من دعاه الى ذلك بشرط ان يتسلح بالعلم والمعرفة وان يتصف بالفطنة وهي امور توفرت بصفة مطلقة في الرسول ﷺ وبصفة جزئية في الصحابة. ولذلك وقعت محاورة اليهود في القضايا العقدية والتشريعية والاجتماعية وأثناء مفاوضاتهم في الحروب التي كانوا

سببا في اشتعال نارها وأدت إلى اخراجهم من الجزيرة العربية عامة ومن أرض الحجاز خاصة .

٢ - كشف الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ واليهود جانبا مهما من نفسية أولئك الذين اعتقدوا جازمين بأنهم شعب الله المختار وأحباؤه وإن العالم بمن فيه وبما ضمه من حيوان ونبات وكائنات إنما خلق ليكون تحت تصرفهم وفي خدمة اغراضهم .

ان هذه النظرة الانتقائية رسخت في الفكر اليهودي واستخدمت الوسائل الكثيرة والمتطورة لتجعل سكان العالم بأجناسهم ولغاتهم يسلمون بها ويقبلونها بل ويدافعون على صدقها .

لقد استطاع اليهود وهم يستخدمون هذه الوسائل ان يحولوا الدين المسيحي الى مجموعة من النظريات الصورية والفلسفات السلبية فحرموا اتباعه من نور التوحيد وتقديس الذات الالهية وتنزيهاها عن الولد وارادوا أن يفعلوا نفس الشيء مع الاسلام فأتاروا الجدل النظري وتلاعبوا بالألفاظ وقدموا أنفسهم مدافعين عن القدرة الالهية بما ذهبوا اليه من تجسيم ولكن طريقتهم ما أجدت مع الاسلام فقد حكم الله حكمه الحق أن الدين الالهي قد ختم برسالة محمد ﷺ وإن الناس سيتركون بعد ذلك على المحجة البيضاء ليلها كنهارها .

وهكذا عم لطف الله العباد وحفت رحمته بالفكر البشري فوضع حوار الرسول ﷺ مع اليهود الأسس التي يستعملها الانسان ليرد نظائر اسئلتهم وشبهاتهم وليبني فكرا اسلاميا صافيا لا يشوبه الشرك ولا تمازجه القياسات الفاسدة .

٣ - وإلى جانب استخدام اليهود الحوار الجدلي للتشكيك وبيان تفوقهم وسعيهم الى تظهار انهم اعلم الناس بالأنبياء والمرسلين فقد اظهر الحوار التشريعي الذي دار بين الرسول ﷺ واليهود الى أي حد كان أولئك الذين يناضلون في سبيل كونهم شعب الله المختار، مستعدين للتداول على الشريعة المنزلة واخضاعها لاغراضهم وما يتولد في مجتمعاتهم من قضايا فالشريعة الالهية يجب أن تكون طوع امرهم ومناسبة لما يريدون وضعه من احكام وتشاريع فلا وجود لثوابت دينية ولا تشريعية فالكل متغير

متبدل مسابير للمصلحة اليهودية وموافق لما يضعه الاحبار من قوانين وما ينشره من توجيهات كثيرا ما تكون نابعة من ثورات شخصية ومصالحة آنية . لقد حاوروا الرسول ﷺ في حكم الزاني وسعوا الى التضليل والتبديل والتغيير ومع ذلك فالحكم واضح في التوراة معروف لدى الاحبار مشهورة لدى خاصتهم الدوافع التي ادت الى ترك الحكم المنزل وتبديله بحكم وضعي هدفه مسايرة الاغنياء وأصحاب الامر والنهي .

٤ - ان حقد اليهود وكراهيتهم للاسلام والمسلمين لم تزدهما الايام الا قوة وتمكنا من أصحابها .

فإذا ما شعر اليهود بالضعف المادي والعجز الاستدلالي فانهم يهرعون الى التلاعب بالألفاظ ليسبوا من يتظاهرون بالسلام عليه وليكيدوا لمن عقدوا الصلح واخذوا منه الامان .

لجأ اليهود الى تمنى الموت للرسول ﷺ لأنهم يظنون أن بموته ينتهي امر المسلمين فيتفرقون قددا ويتيهون في الأرض .

لقد كان اليهود وهم يقولون للرسول ﷺ السام عليك كمنهزم لاحول له ولا قوة ومع ذلك فهو يحمل بين أضلعه حقدا دفيناً لمن أراد أن يخرج من الظلمات إلى النور وعوض أن ينقذ نفسه ويحلل الأحداث والأقوال والأفعال تحليلاً بعيداً عن الهوى يمكث يماني النفس بموت من هزمه وهلاك من أراد به خيراً . إن حقه يدفعه إلى أن يجهر بسب خصمه ولكن خوفه وتمسكه بالحياة يزينان له مخاطبة الخصم بلغة لا يفهمها ويشجعانه على التلاعب بالألفاظ .

٥- أن تشبث اليهود بحب السيطرة وأملهم في أن يقضوا على الاسلام والمسلمين وظنهم بأن نهاية صراعهم مع المسلمين لن تكون إلا لصالحهم ، أمور جعلتهم يخوضون حروباً انتهت باجلائهم وإخراجهم من أرض الحجاز . ولكن ما ركب في أنفسهم جعل البعض منهم لا يفقد الأمل في البقاء فحاور الرسول ﷺ على ذلك ونال ما يريد ولكنه قابل الاحسان بالاساءة فسعى إلى ارشاء من أرسله الرسول ﷺ ليشرف على قسمة الانتاج ، وأراد النيل من بعض الصحابة الذين كانوا اجواراً له

يعملون على وفرة الانتاج في أراضيهم . وهكذا لم ينفع مع اليهود إلا إخراجهم من الحجاز وتطهير أرضه منهم .

٦- تعامل الرسول ﷺ مع الشعب اليهودي المعقد المتكبر بالحكمة فدعاهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وعقد معهم العقود لاقامة مجتمع انساني يتكامل أفراده ويتعاونون حتى وإن اختلفت ديانتهم وتباينت نظرتهم للحياة . ثم حاورهم عليه الصلاة والسلام حوارا بناء الوصول إلى توحيد الربوبية، هدفه وإقامة الشريعة المنزلة من لدن حكيم عليم غايته ونشر المحبة والأخوة بين الأفراد والجماعات وسيلته .

لقد كان عليه الصلاة والسلام يعلم ما يريده اليهود وما يسعون إليه جاهدين ولكنه كان يسعى إلى هداية من يمكن هدايته واقناع من يرجى اقناعه وفي سبيل هؤلاء استمر عليه الصلاة والسلام يحاور اليهود ويسعى إلى ارشادهم ودعوتهم إلى ترك الضلال وإلى جانب عمله عليه الصلاة والسلام لتحقيق هذه الهداية وذلك الاقناع فإنه عليه الصلاة والسلام كان يعلم اصحابه بفضل هذا الحوار ويشرع للامة الأحكام فلا عجب بعد ذلك إذا استنبط الفقهاء من أحاديث حوار الرسول ﷺ أحكاما فقهية وقوانين تنظيمية يحتاجها المسلمون في حياتهم اليومية ومعاملاتهم مع بعضهم أو مع أولئك الذين يقبلون الحياة داخل المجتمع الاسلامي .

ثبت المراجع

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - مجموعة الكتب الستة - اسطنبول ١٩٨١
- ابن الأثير (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد)
- ٣ - منال الطالب في شرح طوال الغرائب
ط دار المأمون للتراث
- الألوسي
- ٤ - روح المعاني
ط. مصر.
- الباجي (أبو الوليد سليمان بن خلف)
- ٥ - المتتقي
ط دار الفكر العربي.
- ابن تيمية (أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم).
- ٦ - الفتاوي.
ط. المغرب.
- ابن حجر (أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد)
- ٧ - تهذيب التهذيب.
ط. لبنان بدون تاريخ
- ٨ - فتح الباري
ط. ثانية لبنان ١٤٠٢.
- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ت ٤٥٦.
- ٩ - المحلى
ط. مصر ١٣٥٠.

الدردير - أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد .
١٠ - الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الامام مالك .
وبهامشه حاشية الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي أخرجه ونسقه د .
مصطفى كمال وصفي

ط . مصر ١٣٩٣

الدارقطني

١١ - الالتزام والتتبع

الزرقاني

١٢ - شرح موطأ الامام مالك مصر ١٣٩٩/١٩٧٩
ابن سيد الناس

١٣ - عيون الاثر في فنون المغازي والشهائل والسير
ط . ثانية بيروت ١٩٧٤ .

الشنقيطي (محمد الأمين محمد المختار)

١٤ - أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن
ط . السعودية ١٤٠٣/١٩٨٣

ابن الصلاح (أبو عمرو)

١٥ - صيانة صحيح مسلم من الاخلال والغلط وحمايته من الاسقاط والسقط .
ط . دار الغرب الاسلامي ١٤٠٤/١٩٨٤ .

د . ضياء الدين العمري

١٦ - المجتمع المدني في عهد النبوة

ط أولى ١٤٠٣/١٩٨٣

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)

١٧ - جامع البيان عن تأويل القرآن حققه محمود محمد شاكر .
ط . ثانية مصر .

الطحاوي (أبو جعفر أحمد بن محمد)

١٨ - الشروط الصغير

ط. بغداد ١٣٩٤/١٩٧٤.

أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي

١٩ - عون المعبود شرح سنن أبي داود.

ط. ثانية المدينة المنورة (١٣٨٨-١٩٦٨).

ابن عاشور (محمد الطاهر)

٢٠ - تفسير التحرير والتنوير.

ط. تونس (الدار التونسية للنشر ١٩٨٤).

٢١ - النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح - تونس (الدار

العربية للكتاب ١٣٩٩-١٩٧٩).

ابن عبد البر (يوسف بن عبد البر النمري).

٢٢ - الدرر في اختصار المغازي والسير.

تحقيق د. شوقي ضيف. مصر.

أبو عبيد القاسم بن سلام.

٢٣ - الناسخ والمنسوخ في القرآن.

ط. ألمانيا الاتحادية ١٤٠٥/١٩٨٥.

عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري.

٢٤ - بهجة المحافل وبغية الامثال في تلخيص المعجزات والسير والشمال.

ط. المدينة المنورة.

العيني

٢٥ - عمدة القاري

ط. بيروت.

أبو غانم الخراساني الاباضي

٢٦ - المدونة الكبرى.

ط. عُمان ١٤٠٤/١٩٨٤.

ابن قدامة (أبو محمد موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي)

٢٧ - الكافي في فقه الامام المبجل أحمد بن حنبل.

ط. ثانية ١٣٩٩/١٩٧٩.

٢٨ - المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل.

ط. ثالثة على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ١٣٩٣.

القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري).

٢٩ - الجامع لأحكام القرآن.

ط. ثالثة ١٣٨٧/١٩٦٧.

القسطلاني (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد).

٣٠ - ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري.

ط. لبنان عن ط. مصر ١٣٢٣.

الكاساني (علاء الدين أبو بكر بن مسعود).

٣١ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. ط مصر بدون تاريخ.

ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل).

٣٢ - الفصول: اختصار سيرة الرسول ﷺ

ط. أولى سوريا/لبنان ١٤٠٠.

الكلبي (محمد بن أحمد بن جري).

٣٣ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل.

ط. ثانية لبنان ١٣٩٣/١٩٧٣.

محمد حسين فضل الله.

٣٤ - الحوار في القرآن

محمد حميد الله

٣٥ - مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة.

ط. رابعة لبنان ١٤٠٣/١٩٨٣.

- د. محمد السيد حسين الذهبي
 ٣٦ - الاسرائيليات في التفسير والحديث
 محمد بن يوسف الصالحى الشامى
 ٣٧ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد.
 ط. مصر ١٣٩٩/١٩٧٩.
 مصطفى بن أبي عبدالله بن محمد بن يونس بن النعمان.
 ٣٨ - مختصر توفيق الرحمن على متن الكنز وبهامشه الذخائر الأشرفية في الغاز
 الحنفية.
 معوض عبدالنواب
 ٣٩ - الموسوعة الشاملة في الجرائم المخلة بالآداب العامة وجرائم هتك
 العرض.
 ط. مصر ١٩٨٥.
 المقدسي (أبو عبدالله محمد بن مفلح).
 ٤٠ - كتاب الفروع.
 ط. ثانية مصر ١٣٨٨/١٩٦٧.
 النووي (أبو زكريا محيي الدين بن شرف)
 ٤١ - شرح صحيح مسلم.
 ابن هشام
 ٤٢ - السيرة النبوية.
 ط. ثانية مصر ١٩٥٥.
 ابن الهمام (كمال الدين محمد بن عبدالواحد).
 ٤٣ - شرح فتح القدير.
 ط. مصر ١٣٨٩/١٩٧٠.

فهرس الموضوعات

٥ المقدمة
٧ المدخل
٧ نشأة الحوار مع اليهود وأسبابها
١٧ الفصل الأول: الحوار الجدلي
١٧ سؤال اليهود عن الروح (الحديث الوارد في ذلك)
١٧ تخريج الحديث
١٨ خصائص الاسناد
٢١ ألفاظ الحديث
٢٤ المباحث
٤١ الفصل الثاني: الحوار التشريعي
٤١ حديث رجم اليهودي واليهودية الذين زنيا
٤٢ تخريج الحديث
٤٣ خصائص الاسناد
٤٣ ألفاظ الحديث
٤٤ اطلاع الرسول ﷺ على أمر الزانيين
٤٥ مكان الحوار
٤٦ أطراف الحوار
٤٦ اليهود المشاركون في الحوار
٤٨ مضمون الحوار
٤٨ أ - أسئلة الرسول ﷺ
٤٩ ب - أجوبة اليهود

٥٥	المباحث
٥٦	توقيت القضية
٥٧	سلطة الرسول ﷺ بالمدينة المنورة
٦٠	سلطة الرسول ﷺ بعد غزوة بدر
٦٢	الجانب التشريعي
٦٢	مصدر حكم رجم الزانية والزاني اليهوديين
٦٢	أ - التوراة
٦٥	ب - الشريعة الاسلامية
٦٦	حكم الزنا في القوانين الوضعية
٦٦	حكم الزنا في التوراة المنزلة
٦٧	حكم الزنا في القرآن والسنة
٧٣	- الفصل الثالث: الحوار الاجتماعي
٧٤	الجهر بالدعاء على الرسول ﷺ (الحديث الوارد في ذلك)
٧٤	تحريج الحديث
٧٦	خصائص الاسناد
٧٦	ألفاظ الحديث
٧٧	هيكل الحديث
٧٨	المشاركون في الحوار
٨١	سلام اليهود على الرسول ﷺ
٨٢	رد الرسول ﷺ
٨٤	رد من كان حاضرا من الصحابة
٨٧	الهداية النبوية
٩٠	المباحث
٩١	السلام على الكافر
٩٤	سب الرسول ﷺ وحده

٩٧	الدوافع النفسية
٩٨	الصحابة الذين استأذنوا رسول الله ﷺ في قتل اليهودي
٩٩	عائشة رضي الله عنها
١٠٠	حققت اليهود وضعفهم
١٠٣	- الفصل الرابع: الحوار المصيري
١٠٣	دعوة اليهود إلى الاسلام
١٠٦	محاورة اليهود قبل إخراجهم من دورهم (الحديث الوارد في ذلك) ..
١٠٦	تخريج الحديث
١٠٦	خصائص الاسناد
١٠٧	ألفاظ الحديث
١٠٧	مكان الحوار
١٠٨	ظروف الحوار
١٠٩	محتوى الحوار
١١١	المباحث
١١١	علاقة المنتصر بالمنهزم
١١٧	المباحث الفقهية
١١٨	الأكراه
١٢٣	يهود خيبر
١٢٤	حديث: إجلاء عمر بن الخطاب اليهود والنصارى من أرض الحجاز .
١٢٤	تخريج الحديث
١٢٥	خصائص الاسناد
١٢٥	ألفاظ الحديث
١٢٦	مناسبة الحديث
١٢٨	ألفاظ الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ويهود خيبر
١٣١	أخبار خيبر منذ فتحها إلى إجلاء اليهود عنها

١٣٢	تطبيق الاتفاق
١٣٤	صرف نصيب المسلمين من فتوح أرض خيبر
١٣٦	إجلاء اليهود عن خيبر
١٣٨	المباحث
١٣٨	إخراج غير المسلمين من الجزيرة العربية
١٣٨	١- تجمع اليهود بخيبر
١٤٠	٢- خيبر وحصونها
١٤١	٣- طريقة فتح خيبر
١٤٦	٤- تخلص الحجاز من الشرك والزيغ
١٤٧	- أثر اتفاق خيبر في عقد المساقاة
١٤٧	- حكم المساقاة
١٥٢	- علاقة مالك الأرض بالعامل
١٥٧	- الخاتمة
١٦١	- ثبت المراجع